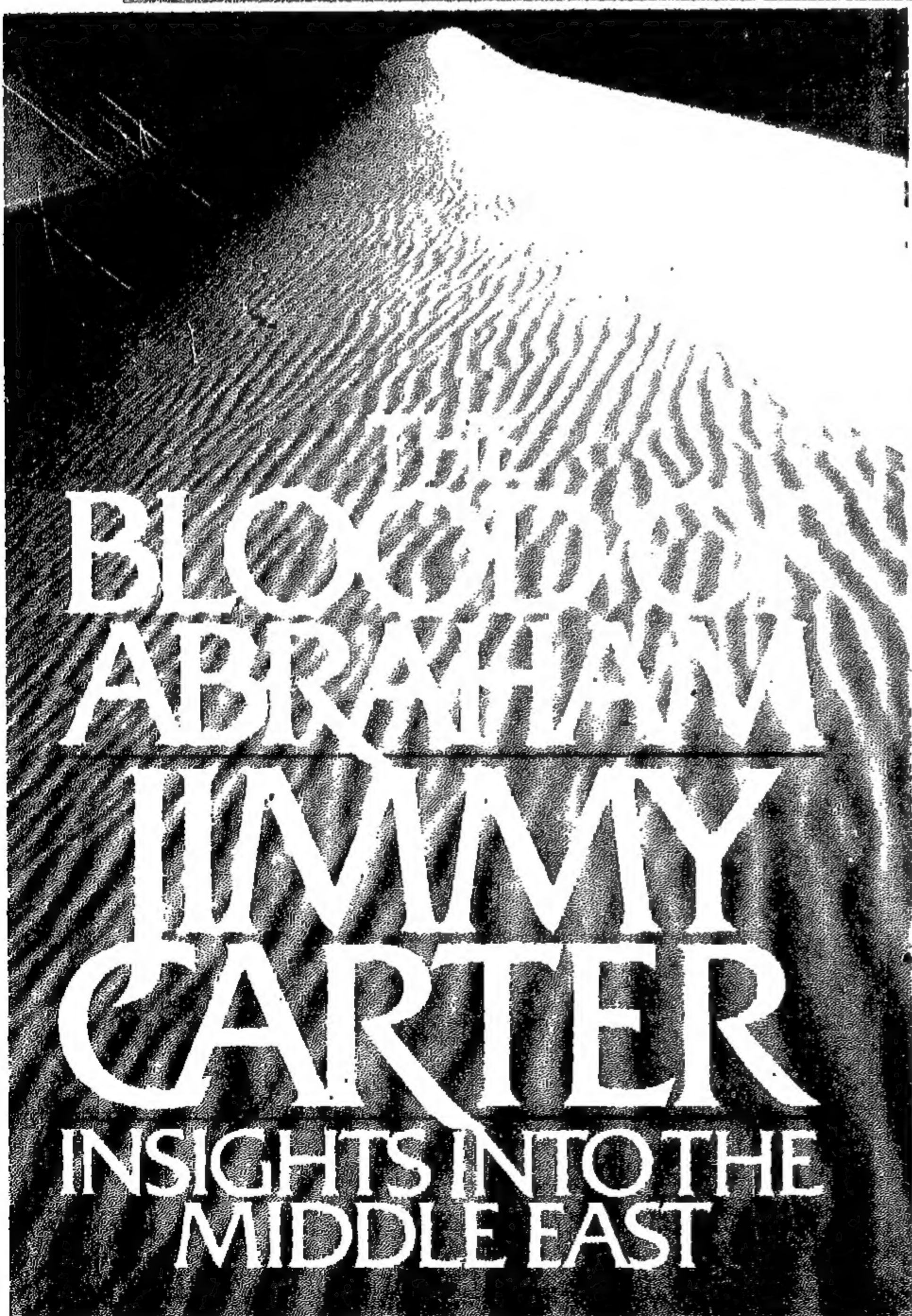


جمهورية مصر العربية
وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٨٤)

دم إبراهيم
تأملات متبصرة في أحوال الشرق الأوسط
بقلم : جيمى كارتر



ف.ي



Bibliotheca Alexandrina

بقلم : « جيمى كارتر »

مؤسسة هفتون ميغلين / بوستون
١٩٨٥

شكر

اشترك معي في كتابة هذا الكتاب كينيث شستين الأستاذ المشارك للتاريخ الشرق الأدنى بجامعة ايورى . فلقد صحبني « كن » وزوجتي روزالين في ربيع عام ١٩٨٣ في رحلة طويلة شملت مصر واسرائيل والاردن والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان والمغرب ، التقينا خلالها بالعديد من رجال الدولة والباحثين وغيرهم ممن ساهموا بشدة في معلوماتنا الأكثر حداثة عن المنطقة ثم ساعد في الاعداد لأول مشاورة تعقد في مركز كارتر الجديد بجامعة ايورى في نوفمبر من نفس العام وقد انصبت المشاورة على تحليل الوضع السياسي والاجتماعي والعسكري في الشرق الأوسط تحليلا دقيقا .

وأثناء عملي مع الرئيس جيرالد فورد الذي كان يشاركني رئاسة المشاورة حددت معي الدكتور شستين ، من كل دولة ومن الجالية الفلسطينية ، الأشخاص انذين يستطيعون تقديم وصف أكثر فاعلية وأكثر دقة لوجهات النظر المختلفة حول الشرق الأوسط . وخلال الاجتماعات الخاصة والعامة في أطلنطا ، استطعنا ان نستمع الى وجهات النظر العديدة دون تحفظ بهدف تشجيع المناقشة الصريحة والاستفسارات ومنع الاساءة لأي شخص أو انسحاب أحد ، فرد من المشتركين غاضبا .

وفي أوائل عام ١٩٨٤ أصبح « كن » مديرا لمركز كارتر ، وكرس طاقاته والتزامه القوى لجعله مركزا اكاديميا للبحث والتعليم والثقافة العامة . وخلال اعداد هذا الكتاب ، طلبت نصيحة « كن » ، وكان كريما معي فيما أسهم به . فقد زودني بمادة جديدة أثناء اعداد المخطوط وقرا المسودات العديدة بعين مؤرخ دقيقة ولهذا أشعر بامتنان بالغ .

ولقد شاركنتي زوجتي روزالين السنوات الاربع في البيت الابيض والثلاثة عشر يوما في كامب ديفيد مع بيجين والسادات ، كما شاركنتي جميع رحلاتي لزيارة شعوب الشرق الأوسط ، ولا يفينا الشكر حقها على ما قدمته من دعم وأبدته من ملاحظات عميقة قيمة منذ البداية .

وانني أعرب عن شكري كذاك لنان ا . تاليز التي تعمل في مؤسسة ميلفن التي ساعدتني في تطوير موجز الاحداث الاخيرة وتحويله الى قصة أكثر اكتمالا للشرق الأوسط منذ الماضى القديم حتى سنوات مجهولة قادمة .

وكذلك أقدم شكري الى ويليام برينك المحرر الذي عمل لمدة عشر سنوات مع وكالة اليونيتدبرس ومجلة النيوزويك ديلي نيوز والذي قضى معي اسبوعا في بليتز يراجع معي كل فصل من الفصول بأسلوبه الصحفي الدقيق ، وانتزع

منى بعض وجهات النظر الشخصية الاضافية وساعدنى فى توضيح اكثر الموضوعات غموضا .

وقام الاستاذ ناداف سافران من جامعة هارفارد والكتيب الشهير والمؤرخ، بقراءة المخطوط وقدم لى العديد من المقترحات التى ساعدت على زيادة النص دقة ووضوحا .

وقام ستيفن هوشمان الذى ساعدنى فى البحث ، بالقراءة الأخيرة للمخطوط للتقليل من الاخطاء والتناقضات وجوانب الغموض والحشو .

ويمكن ان اضيف ان بعض التكرار يقصد به الدليل على ان نفس الحدث نادرا ما يترك نفس الاثر على الاشخاص الكثيرين الذين تأثروا به . ولم تقع معظم صراعات الشرق الاوسط المتواصلة فى ارض المعارك بل فى عقول الناس الذين يعيشون هناك ولا تزال الفوارق فى المعتقدات التى نشأت منذ اقدم العصور ، سببا فى اراقة الدماء بين هؤلاء الذين يشتركون فى شىء واحد أساسى وهو : حلم السلام والعدل .»

التسلسل الزمني للأحداث

يمكن فهم الأحداث في الشرق الأوسط بشكل أفضل إذا استعرض تاريخ المنطقة . وفيما يلي قائمة ببعض الأحداث القليلة الهامة التي أدت إلى الحالة القائمة .

- ١٠٠٠ ق.م : كائنات بشرية تترك أول دليل اثري لوجودها في أريحا .
- ٣٥٠٠ ق.م : تطور الحياة في المدن في سوريا — فلسطين . ومصر .
- ٣٥٠٠ ق.م : تطور الحياة في المدن في سوريا — فلسطين . ومصر .
تبدأ تجارتها وتتدخلها السياسي في المنطقة .
- ٣٠٠٠ ق.م : الملك مينا يوحد الوجهين البحري والقبلي في مصر في دولة واحدة .
- ٢٣٠٠ ق.م : سجلات مكتوبة في سوريا ومصر تصف استمرار الصراعات بين مصر والدول الأخرى وبين قبائل البدو الرحل وسكان المدن .
- ١٩٠٠ ق.م : رحلات إبراهيم من أور إلى كنعان .
- ١٢٠٠ ق.م : موسى يقود هجرة الاسرائيليين من مصر .
- ١٠٠٠ ق.م : اختيار شاول كأول ملك للاسرائيليين (١٠٢٢) . والملك داود ، خليفته (١٠١٠ - ٩٧٠) يوجد أسباط اسرئيل الاثنى عشر ويفرض سيطرته على الاراضي الخصبة على جانبي نهر الاردن وكذلك أجزاء من سوريا والملك سليمان ، ابن داود ، يقيم أول معبد في القدس .
- ٩٣٠ ق.م : الامة الاسرائيلية تنقسم الى مملكتين أشد ضعفا ، اسرائيل (عشرة أسباط في الشمال) ، ويهوذا (سبطان في الجنوب) . وواجهت المملكتان صراعات متكررة مع جيرانها حتى تم تدمير اسرائيل على أيدي الآشوريين (٧٢١ - ٧١٥) ودمرت يهوذا في عام ٥٨٧ ق.م على أيدي البابليين الذين أسروا العديد من اليهود وهذا يشهد بداية الشتات اليهودي .
- ٥٣٨ ق.م : غزاة بابل من الفرس يسمحون لليهود المنفيين بالعودة الى القدس .
- ٣٣٢ ق.م : الاغريق بقيادة الاسكندر يغزون المنطقة . صراع المملكتين الاغريقيتين في مصر وسوريا على السلطة اليهودية في ظل جميع الغزاة يقاتلون من أجل المحافظة على حريتهم الدينية وحماية أماكنهم المقدسة .

- ١٨٧ ق.م ثورة اليهود تسفر عن اقامة دولة يهودا المستقلة .
- ٦٣ ق.م : الرومان يستولون على القدس ويسيطرون على فلسطين لكنهم يسمحون بحرية العبادة .
- ٤ ق.م : ولد المسيح . (و صلب) بعد ثلاثة وثلاثين عاما ، بعد خدمة دامت ثلاث سنوات وأقيمت الكنائس المسيحية في فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وروما .
- ٧٠ م : اخمد ثورة اليهود ضد روما وتدمير المعبد في القدس .
- ١٣٥ م : عقب المزيد من الثورات اليهودية ساد الرومان ودمروا يهودا . ونفى المزيد من اليهود بأعداد متزايدة الى مناطق أخرى وخاصة في أوروبا الشرقية والغربية .
- ٣١٣ : بعد صدور مرسوم ميلانو ، نشر الامبراطور الروماني قسطنطين التسامح الديني وباعتباره مسيحيا فقد نشر ديانتته في جميع أرجاء الامبراطورية التي تشمل سوريا وفلسطين .
- ٥٧٠ : ولد النبي محمدا في مكة وأسس عقيدة الاسلام ومات في ٦٣٢ ، وخلال عشرين عاما انتشر الحكم الاسلامي في جميع أنحاء سوريا وفلسطين وفارس وشبه الجزيرة العربية ومصر . وتحت حكم الزعماء المسلمين سمح بشيء من حرية العبادة .
- ١٠٩٩ : استيلاء الحملة الصليبية على القدس .
- ١١٨٧ : المسلمون يستردون القدس ويحتفظون بالسيطرة على فلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الاولى باستثناء فترة خمسة عشر عاما (١٢٩٩ - ١٣١٤) .
- ١٥١٦ : استيلاء العثمانيين على سوريا وفلسطين ثم بعد ذلك مصر .
- ١٨٦١ : الحرب الاهلية بين المسيحيين الموارنة والدروز في جبل لبنان تؤدي الى التدخل الفرنسي واقامة لبنان كمقاطعة تتمتع بالحكم الذاتي ضمن سوريا تحت الزعامة المسيحية .
- ١٨٨٢ : وصول اوائل الصهاينة من أوروبا الشرقية الى فلسطين وهي منطقة كانت تخضع لحكم العثمانيين لآكثر من ثلاثة قرون .
- القوات البريطانية تحتل مصر وتستمر هناك حتى عام ١٩٥٥ .
- ١٨٩٧ : انعقاد أول مؤتمر صهيوني عالمي في سويسرا .

١٩١٧ : بريطانيا العظمى وهى فى حرب مع الامبراطورية العثمانية تضدر وعد بلفور الذى وعد بوطن قومى لليهود فى فلسطين مع احترام حقوق الفلسطينيين غير اليهود . وكان يسكن المنطقة آنذاك ٦٠٠.٠٠٠ مسلم و ٧٥.٠٠٠ مسيحى و ٦.٠٠٠ يهودى .

١٩٢٢ : فرض الانتداب البريطانى بتفويض من عصبة الامم ، على فلسطين وشرق الاردن (الاردن فيما بعد) والانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان والعراق . اعترض الصهاينة بشدة على اية قيود فرضها البريطانيون على الهجرة اليهودية وشراء الاراضى ، فى حين يعارض العرب فى فلسطين صراحة مفهوم الوطن القومى اليهودى وتطوره . ويؤكد الكتاب الابيض بشأن فلسطين التزام بريطانيا العظمى المزدوج باقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين مع حماية الحقوق المدنية والدينية للسكان غير اليهود . انتهاء الحماية البريطانية على مصر ، واقامة دولة شرق الاردن تتمتع بالحكم الذاتى .

١٩٣٢ : عزز الملك ابن سعود من سيطرته على شبه الجزيرة العربية وأسس المملكة العربية السعودية .

١٩٣٦ : توقيع المعاهدة البريطانية المصرية لاستكمال استقلال مصر .

١٩٣٨ : انتاج البترول على المستوى التجارى فى المملكة العربية السعودية لأول مرة .

١٩٣٩ : بريطانيا تفرض قبودا مشددة على هجرة اليهود وعلى شراء الاراضى فى فلسطين .

١٩٤٣ : سوريا تحقق استقلالها عن فرنسا .

١٩٤٥ : استقلال لبنان عن فرنسا ، وانشاء جامعة الدول العربية وتعهد أعضائها بالتعاون معا لمنع قيام دولة يهودية فى فلسطين ، وانتهاء الحرب العالمية الثانية ، تاركة يهود أوروبا وقد هلك معظمهم نتيجة للابادة .

١٩٤٦ : استقلال مملكة الاردن عن الحكم البريطانى .

١٩٤٧ . بعد هجمات اليهود الارهابية ضد المرافق والاشخاص البريطانيين وتحت الضغط على نطاق عالمى من أجل اقامة وطن لليهود المطرودين ، تسمح بريطانيا للامم المتحدة التى تشكلت حديثا باتخاذ قرار بشأن فلسطين

نوفمبر ١٩٤٧ : بقيادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين التى اصبحت يعيش فيها حوالى مليون مسلم و ٦٠٠.٠٠٠ يهودى و ١٥٠.٠٠٠ مسيحى وتقسمت فلسطين الى مناطق

يهودية وعربية ودولية (القدس) ، واعترض العالم العربى بشسدة على التقسيم ، وابتهج أغلب اليهود ، ولكن بعضهم طالب بضرورة الاستيلاء على كل فلسطين كما أن بعضهم عارض تماما قيام دولة في فلسطين .

مايو ١٩٤٨ : انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين وعلان قيام دولة اسرائيل التى اعترفت بها على الفور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وهجوم الجيران العرب على اسرائيل .

١٩٤٩ : اتفاقيات الهدنة مع العرب اعطت اسرائيل اراضى اضافية ، ولكن العرب احتفظوا بالقدس القديمة . ورغم معارضة الدول العربية الاخرى ضمت الاردن ما تبقى من الضفة الغربية من نهر الاردن . واحتلت مصر قطاع غزة وأسفرت الانتخابات الاسرائيلية عن فوز حزب العمل وتولية السلطة حتى عام ١٩٧٧ . وظل العالم العربى في حالة حرب مع اسرائيل من الناحية الفنية .

١٩٥٢ : ضباط عسكريون شبان يرغمون الملك فاروق على التخلي عن العرش وفي النهاية يبرز البكباشى جمال عبد الناصر كرئيس للجمهورية وزعيم للعالم العربى في الخمسينات والستينات .

١٩٥٣ : حسين يصبح ملكا على الاردن وهو في سن الثمانية عشر عاما .

يوليو ١٩٥٦ : بداية أزمة السويس عندما أمم عبد الناصر القناة ونتيجة لرفض مرور اسرائيل في قناة السويس لفترة طويلة وبعد وقوع مناوشات متكررة على الحدود ، قامت اسرائيل بغزو سيناء المصرية وقطاع غزة في شهر اكتوبر واحتلت القوات البريطانية والفرنسية منطقة القناة .

مارس ١٩٥٧ : بضغط من الامم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى انسحبت القوات الاجنبية مع جميع الاراضى المصرية وقطاع غزة وعينت قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة لتشرف على المناطق الاستراتيجية في سيناء .

فبراير ١٩٥٨ : اتحاد مصر وسوريا ليشكلا الجمهورية العربية المتحدة والاحتفاظ بعلاقة وثيقة مع الاتحاد السوفيتى .

١٩٦١ : انفصال الوحدة السورية المصرية بسبب موقف مصر المسيطر على سوريا .

يونيو ١٩٦٤ : انشاء منظمة التحرير الفلسطينية بهدف تدمير اسرائيل واستعادة السيطرة على فلسطين . شن هجمات ارهابية مستمرة ضد اسرائيل .

ابريل . يونيو ١٩٦٧ : اسرائيل تهاجم سوريا اثر الغارات السورية على المستوطنات الاسرائيلية وناصر يفلق الميناء الجنوبى لاسرائيل وذلك

بفرض حصار على مضيق تيران ويطرد قوات المطاوىء الدولية من سيناء .
اسرائيل تشن هجمات اجهاضية على مطارات مصر وسوريا والعراق والاردن
وفى ستة ايام احتلت اسرائيل مرتفعات الجولان وقطاع غزة وسيناء والضفة
الغربية بما فى ذلك القدس .

اغسطس ١٩٦٧ : تصهد القادة العرب فى مؤتمر قمة عقد فى الخرطوم
بالسودان بانه لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضات مع اسرائيل والتعهد بالتأييد
الكامل لاعادة فلسطين الى سيطرة الفلسطينيين غير اليهود .

نوفمبر ١٩٦٧ : صدور قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ (ملحق ١) واصبح
اساسا لمفاوضات السلام المستقبلية . ويطلب القرار اساسا بانسحاب
اسرائيل من اراض محتلة ، وحق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل
حدود آمنة ومعترف بها ، وبحل عادل لمشكلة اللاجئين .

ويعترض الفلسطينيون على وصفهم باللاجئين ، وبدلا من ذلك فانهم
يريدون حلا سياسيا لمحتهم وليس مجرد حل انسانى .

ديسمبر ١٩٦٩ : بعد فشل المفاوضات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى
اقترح وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى شروطا سياسية للسلام بين اسرائيل
ومصر يتضمن عودة الاراضى التى احتلتها اسرائيل (بما فى ذلك الضفة الغربية)
ولكن مع بعض التعديلات . وسرعان ما رفض المشروع جميع الاطراف باستثناء
الاردن . وكانت اسرائيل قد بدأت بالفعل فى بناء مستوطنات عسكرية ومدنية فى
الاراضى المحتلة ٢ .

سبتمبر ١٩٧٠ : نشوب حرب اهلية فى الاردن بين الفلسطينيين والاردنيين
ودخلت القوات السورية الاردن ، ولكنها تقهقرت أمام تهديدات اسرائيل بالتدخل
بمساعدة من الولايات المتحدة . وفاة الرئيس عبد الناصر وتولى أنور السادات
رئاسة مصر .

فبراير ١٩٧١ : اقترح السادات بانه اذا انسحبت اسرائيل جزئيا من سيناء
فان مصر ستقوم بتطهير قناة السويس واعادة فتحها .

يوليو ١٩٧١ : بعد أشهر من الصراع ضد الفلسطينيين الذين كانوا يرغبون
فى استخدام الاردن كقاعدة عسكرية ضد اسرائيل ، واجبرت العديد من المقاتلين
الفلسطينيين على الالتجاء الى لبنان الضعيف سياسيا .

يوليو ١٩٧٢ : السادات يطرد الخبراء العسكريين السوفيت من مصر .

سبتمبر ١٩٧٢ : الارهابيون الفلسطينيون يقومون بقتل الرياضيين
الاسرائيليين فى اولمبياد ميونيخ .

أكتوبر ١٩٧٣ : مصر وسوريا تهاجمان القوات الاسرائيلية في سيناء
ومرتفعات الجولان على التوالي . الا أن الاسرائيليين الذين اخذوا على غمرة
اجبروا القوات العربية بالتراجع تجاه دمشق وعبر قناة السويس . وفرض
العرب حظرا بتروليا على الولايات المتحدة وزاد ثمن النفط أربعة أضعاف .
وهدد السوفييت بالتدخل العسكري المباشر لحماية القوات العربية . وبعد ستة
عشر يوما من الحرب صدر قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٨ (ملحق ٢) . الذي أكد
القرار رقم ٢٤٢ ، ودعا الى عقد مؤتمر سلام لجميع أطراف النزاع .

ديسمبر ١٩٧٣ : عقد مؤتمر جنيف لمدة يومين طبقا لقرار الامم المتحدة رقم
٣٣٨ برئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبحضور مصر والاردن
واسرائيل ، ولم توجه الدعوة لمنظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر وآثرت
سوريا عدم الحضور .

يناير ١٩٧٤ : توقيع اتفاقية فض الاشتباك في سيناء بين مصر
واسرائيل التي أسفرت عن الفصل بين القوات العسكرية للبلدين ووضع
مراقبين دوليين تابعين للأمم المتحدة بينهما .

مايو ١٩٧٤ : التوصل الى اتفاق فض الاشتباك بين سوريا واسرائيل
كجزء من تنفيذ قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٨ .

أكتوبر ١٩٧٤ : مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الرباط يعلن بالاجماع
أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب
الفلسطيني ويأسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية يلقي خطابا في
الامم المتحدة .

مارس ١٩٧٥ : الرئيس جيرالد فورد يعلن « إعادة تقييم » سياسة
الولايات المتحدة في الشرق الاوسط للضغط على اسرائيل لتتعاون من أجل
التوصل الى اتفاق الانسحاب الثاني من سيناء . وبعد شهرين طالبه ستة
وسبعون من أعضاء مجلس الشيوخ « بالاستجابة لاحتياجات اسرائيل
الاقتصادية والعسكرية » .

سبتمبر ١٩٧٥ : التوقيع على الاتفاق الثاني للانسحاب من سيناء
بين مصر واسرائيل . والولايات المتحدة تعد بعدم الاعتراف أو التفاوض مع
منظمة التحرير الفلسطينية الا اذا اعترفت المنظمة بحق اسرائيل في الوجود
وقبلت قرارى الامم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

١٩٧٦ : اندلاع الحرب الاهلية في لبنان من جديد بسبب طنب
الفلسطينيين الاحتفاظ بحرية المناورة هناك ، وبسبب رغبة المسلمين في
الحصول على نصيب أكبر من السلطة السياسية والازدهار الاقتصادي ،
وبسبب مساعى المسيحيين للحفاظ على ما يتمتعون به من امتيازات

سياسية . وفي شهر يونيو يرسل الاسد قواته الى لبنان للوقوف ضد تحالف المسلمين والمتطرفين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك بموافقة كل من الولايات المتحدة واسرائيل . تعارض مصر والعراق بشدة هذا التدخل في بادئ الامر ولكن بحلول شهر نوفمبر يساند العالم العربي سوريا .

ربيع ١٩٧٧ : الرئيس جيمي كارتر يلتقي بكل من زعماء اسرائيل (في مارس) ومصر (في ابريل) والاردن (في ابريل) وسوريا (في مايو) والمملكة العربية السعودية (في مايو) لاستتجلاء امكانية القيام بمبادرات سلام .

مايو ١٩٧٧ : انتخاب مناحم بيجين كرئيس لوزراء اسرائيل .
اغسطس ١٩٧٧ : الولايات المتحدة تسعى لايجاد وسيلة لاشتراك الفلسطينيين في الوفد العربي في مؤتمر جنيف الذي سيعقد من جديد حول الشرق الاوسط .

اكتوبر ١٩٧٧ : صدور بيان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حول الشرق الأوسط (ملحق ٣) .

نوفمبر ١٩٧٧ : السادات يزور القدس وبيجين يصل الى الاسماعيلية ردا للزيارة في ديسمبر وتبدأ المحادثات .

يناير ١٩٧٨ : بيان مصري — امريكي يطالب بتطبيع العلاقات بين العرب والاسرائيليين ، وبانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة وبحدود آمنة ومعترف بها ، ويحل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها بما في ذلك حقوق الشعب الفلسطيني في المشاركة في تقرير مصيرهم .

مارس ١٩٧٨ : ردا على هجمات منظمة التحرير الفلسطينية اسرائيل تغزو لبنان والولايات المتحدة تحت على انسحاب اسرائيل . قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة تحل محل الاسرائيليين . كارتر ينقل الى بيجين أفكار السادات بشأن تحقيق تسوية شاملة .

يوليو ١٩٧٨ : فشل المفاوضات في لينز كاسل (بانجلترا) بين مصر واسرائيل ، السادات يرفض اجراء أي مزيد من المباحثات مع الاسرائيليين .

اغسطس ١٩٧٨ : السادات وبيجين يقبلان دعوة كارتر للتفاوض حول اتفاقية سلام في كامب ديفيد .

سبتمبر ١٩٧٨ : التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد (ملحق رقم ٤) بعد حوالي أسبوعين من المحادثات المكثفة .

نوفمبر ١٩٧٨ : العرب يدينون اتفاقية كامب ديفيد في مؤتمر قمة بغداد ويتعهدون بمقاومة السادات .

يناير ١٩٧٩ : الشاه يخادر ايران ، وبعد أيام قليلة يعود الخميني الى ايران قادما من فرنسا .

مارس ١٩٧٩ : مع تعثر المحادثات ، كارتر يزور مصر واسرائيل للتوصل الى شروط اتفاق السلام . التوقيع على اتفاق السلام في واشنطن التي تطالب الاسرائيليين بالانسحاب من سيناء واقامة علاقات تجارية ودبلوماسية طبيعية بين البلدين بما في ذلك تبادل السفراء . نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة الى تونس .

نوفمبر ١٩٧٩ : اعتقال بعض المواطنين الامريكيين في ايران .

ديسمبر ١٩٧٩ : القوات السوفيتية تغزو افغانستان .

يناير ١٩٨٠ : كارتر يعلن ان منطقة الخليج الفارسي منطقة حساسة بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة ، ويتعهد بالتصدي لأي محاولة للسيطرة عليه من جانب أي قوة خارجية .

سبتمبر ١٩٨٠ : نشوب الحرب العراقية الايرانية .

يناير ١٩٨١ : الامراج عن الرهائن في ايران .

يونيو ١٩٨١ : اسرائيل تتصف المفاعل الذري العراقي وتدمره .
اعادة انتخاب بيجين رئيسا للوزراء .

اغسطس ١٩٨١ : الامير فهد ولي العهد السعودي يقدم مشروعا للتسوية في الشرق الأوسط .

اكتوبر ١٩٨١ : اغتيال السادات وتولى حسنى مبارك رئاسة مصر .

ديسمبر ١٩٨١ : اسرائيل تعلن تطبيق القانون الاسرائيلي على مرتفعات الجولان .

ابريل ١٩٨٢ : تطبيقا لاتفاقية السلام ، اسرائيل تعيد بقية سيناء الى مصر بما في ذلك حقول البترول والقواعد الجوية وازالة مستوطناتها .

يونيو ١٩٨٢ : اسرائيل تغزو لبنان بهدف تدمير منظمة التحرير الفلسطينية واقامة نظام حكم صديق . وعلى الرغم من تعهد بيجين في بادئ الامر بأن اسرائيل لن تتوغل في لبنان اندفعت القوات الاسرائيلية لمحاصرة بيروت .

سبتمبر ١٩٨٢ : ريجان يطالب بتنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد مع منح الفلسطينيين حق الحكم الذاتي بالاشتراك مع الأردن (ملحق ٥) . بيجين يرفض هذا الاقتراح . والعرب يقترحون في مؤتمر قمة فاس مشروعهم الخاص (ملحق ٦) لتحقيق التسوية الذي فرضته كل من اسرائيل وليبيا والفلسطينيين

المتشددين . القوات البحرية الامريكية تدخل بيروت للاشراف على رحيل اغلب مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية الى البلاد العربية ثم تنسحب . اغتيال الرئيس اللبناني بشير الجميل في انفجار شحنة ناسفة ، ليخلفه شقيقه امين الجميل . ابادة مئات الفلسطينيين واللبنانيين المسيحيين في مذبحة صبرا وشاتيلا على ايدي ميليشيات الكتائب في منطقة تقع بالقرب من بيروت ويشرف عليها الاسرائيليين . قوات حفظ السلام الامريكية والاوربية تعود الى بيروت . مصر تسحب سفيرها من اسرائيل احتجاجا على اعمال اسرائيل في لبنان .

ابريل ١٩٨٣ : مقتل اكثر من خمسين شخصا في هجوم ارهابي على السفارة الامريكية ببيروت . الملك حسين يرفض طلب الولايات المتحدة في الانضمام الى محادثات السلام مع اسرائيل ومصر وبعد فشله في الحصول على موافقة من منظمة التحرير الفلسطينية .

مايو ١٩٨٣ : اسرائيل ولبنان يوقعان اتفاقا للانسحاب الذي ترفضه سوريا فورا . منظمة التحرير الفلسطينية تواجه تمردا داخليا ضد دور ياسر عرفات القيادي .

١٩٨٣ : مقتل ثمانية وسبعين جنديا فرنسيا من القوات البحرية الامريكية في هجوم انتحاري في بيروت . واسحاق شامير يحل محل مناحم بييجين في رئاسة الوزراء .

نوفمبر ١٩٨٣ : الولايات المتحدة واسرائيل توافقان على تشكيل لجنة لاستكشاف اشكال التعاون الاستراتيجي بين اسرائيل ومصر واعتراض كل من الاردن وسوريا ومصر ودول عربية اخرى بشدة على هذا المشروع .

ديسمبر ١٩٨٣ : اجبار عرفات وقوات منظمة التحرير الفلسطينية على الخروج من شمال لبنان على ايدي المنشقين وبمساعدة سوريا . عرفات يجتمع مع الرئيس مبارك في القاهرة مما سبب ذمرا بين صفوف الاوساط الفلسطينية المتشددة . الولايات المتحدة تشيد بالزيارة ، واسرائيل تدينها .

يناير ١٩٨٤ : وقف انعقاد البرلمان الاردني منذ اكتوبر عام ١٩٧٤ . ويعود الى الانعقاد بدعوة من الملك حسين ، ومن بين اعضائه نواب فلسطينيون . مصر تستمر في انتهاج سياسة الدبلوماسية الهادئة بهدف تشجيع المفاوضات .

فبراير ١٩٨٤ : الولايات المتحدة تعلن سحب قواتها البحرية من لبنان والملك حسين وعرفات يجتمعان لمنقشة الخيارات السياسية .

مارس ١٩٨٤ : تحت ضغط من سوريا ، اللبنانيون يقومون بالغاء اتفاق الانسحاب مع اسرائيل والمعقود في مايو ١٩٨٣ . اجراء محادثات الصلح بين

الطوائف السياسية . استمرار العنف على مستوى محدود ، واستمرار احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني ، وبقاء سوريا في مناطق أخرى .

مايو ١٩٨٤ : الولايات المتحدة تزود المملكة العربية السعودية بصواريخ ستنجر أرض - جو للدفاع عن أرضها ضد أية هجمات محتملة من جانب إيران ، ادانة سبعة وعشرين اسرائيليا بالقيام بأعمال ارهابية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية .

يوليو ١٩٨٤ : اجراء الانتخابات الاسرائيلية بدون نتائج نهائية .

سبتمبر ١٩٨٤ : تشكيل حكومة الوحدة الوطنية برئاسة شيهون بيريز لمواجهة المشاكل الاقتصادية الملحة . الأردن ومصر يستأنفان علاقتهما الدبلوماسية .

نوفمبر ١٩٨٤ : بدء المفاوضات الاسرائيلية - اللبنانية بهدف انسحاب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبناني .

يناير ١٩٨٥ : بدء الانسحاب الأولى .

المقدمة

لقد تميز تاريخ الشرق الأوسط بقدر هائل من المعاناة والصراع بين شعوبه . غير أنه لم يحدث في أى وقت من تاريخه المعاصر أن كان سوء الحكم على الأمور سبباً بشعاً للمعاناة لما حدث في سبتمبر عام ١٩٨٢ عندما قتل مئات الأشخاص العزل في مخيم صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان . ويبدو أنه خلال اللعبة التاريخية للسياسات والصراعات على الأراضي ، غالباً ما يلقى الأبرياء مصرعهم وبأعداد غفيرة .

إن مأساة صبرا وشاتيلا ، والاحداث التي أدت الى وقوعها ، تبرهن بوضوح مدى تعقد العلاقات المتداخلة التي طالما ثببت من عزم أولئك الذين ينشدون السلام في المنطقة ومن الضروري أن نفهم أكثر هذا الجزء من العالم لنعرف المزيد عن الاحداث الجارية ، وتاريخه المعاصر وماضيه السحيق .

في يونيو ١٩٨٢ — أى قبل وقوع المأساة بثلاثة شهور — كان مناحم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى قد بعث بقواته الى لبنان تؤيده الميليشيات المسيحية المارونية اللبنانية (الكتائب) ، وعلى ما يبدو بموافقة واشنطن . لم يكن هذا الاجراء من خصائص السياسة الاسرائيلية ، فقد أحجم الزعماء الاسرائيليون السابقون عن اتخاذ أى اجراء عسكري الا في حالة الانتقام من هجمات ارهابية محددة ، أو كرد على تهديد مباشر لامن اسرائيل . ولم تمض ايام معدودة حتى كانت بيروت تحاصر من كل جانب .

وافادت التقارير ان الآلاف قد لقوا مصرعهم وأن عشرات الآلاف قد شردوا خلال الحصار والقصف اللذين استمرتا عشرة أسابيع . وبهذا حقق بيجين أحد أهدافه الرئيسية وهو طرد ياسر عرفات وأثنى عشر الفا من مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . ومن ثم غادرت قوات حفظ السلام الأمريكية والأوربية لبنان بعد الانتهاء من عملية الاشراف على الانسحاب . وكان القادة الاسرائيليون ومؤيدوهم الأمريكيون في غاية السرور للنجاح الظاهر لهذه المغامرة العسكرية .

وفي هذه الأثناء كان بشير الجميل أحد قادة الكتائب وصديق اسرائيل يستعد لتولى منصبه كرئيس للبنان . ولكن بعد ايام قليلة من الانسحاب قتل الرئيس المنتخب بشير الجميل في حادث انفجار قنبلة . وبعد ذلك قامت قوات الكتائب بطريقة منظمة بقتل مئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين الضعفاء الذين كانوا يقيمون في مخيم صبرا وشاتيلا للاجئين ، وذلك في احدى مناطق بيروت التي يسيطر عليها الاسرائيليون . وخلال

يومى المذبحة وبعدها تم دفن المئات من الضحايا سرا فى قبور جماعية . وكانت المحصلة النهائية أكثر من ١٤٠٠ قتيل ومفقود ، أغلبهم من الاطفال والنساء وكبار السن . ولم يظهر أى دليل على تواجد قوات من منظمة التحرير الفلسطينية أو الميليشيات بين الفلسطينيين فى المخيمات .

وكان رد فعل العالم الذى صدمته هذه المأساة هو الادانة والشجب . وعلى الرغم من أن الكتائب هم الذين نفذوا عمليات القتل ، فإن قادة الحكومة الاسرائيلية هم الذين واجهوا النقد الشديد . وكان رد الفعل بين أكثر العرب اعتدالا بنفس درجة العنف الذى يكنه المد اعداء اسرائيل . وشعر المصريون على وجه الخصوص بالحرج بسبب هذه النتيجة المؤسفة التى أسفرت عن معاهدة السلام التى وقعوها مع اسرائيل ، وسحبوا سفيرهم من تل أبيب . وبين عشية وضحاها كان السوريون ومؤيدوهم السوفيت قد كسبوا فرصة جديدة لتعويض حظهم ، وربما الانتشار أخيرا فى لبنان .

ومع ذلك ، فلم يكن رد الفعل فى أى مكان آخر أكثر غضبا أو الما من رد فعل المجتمع الديمقراطى الاسرائيلى . فقد عمت المظاهرات الشعبية الصاخبة والمطالبات باجراء تحقيق فوري وغير محدود . وأشار شيمون بيريز زعيم المعارضة الى « أن هذا العمل البغيض كما وصفه الحاخامات يتناقض تماما مع تقاليد الديانة اليهودية » . وطالبت الصحف الاسرائيلية الرئيسية باستقالة بيجين رئيس الوزراء ، واريل شارون وزير الدفاع والقادة العسكريين المسؤولين عن عملية لبنان . وعندما رفضت حكومة بيجين المطالب المتزايدة باجراء تحقيق ، خرج أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ مواطن — أكثر من عشرة فى المائة من سكان اسرائيل — فى مظاهرات للتعبير عن استيائهم وللمطالبة بتحديد الاشخاص المذنبين ومعاقتهم . وأسفرت هذه الضغوط أخيرا عن اجبار بيجين على تشكيل لجنة للتحقيق فى دور اسرائيل فى هذه المذبحة .

وفى الوقت نفسه فقد تم تعيين أمين الجميل ، شقيق الزعيم اللبناني القتيل ، رئيسا للبنان . وكانت القوات الامريكية قد هادت الى بيروت كجزء من القوات المتعددة الجنسيات لاعادة الشكل العام للنظام فى العاصمة التى مزقتها الحرب . وبدلا من البقاء على الحياد ، فقد وجد الأمريكيون أنفسهم متحالفين مع حزب الكتائب التابع للجميل ضد الاغلبية التى تضم المسلمين والدروز ومسيحيين آخرين .

وتمثل أحداث هذا الشهر بعض العناصر المثيرة للقلق فى صراعات الشرق الأوسط ، ويظهر ذلك فيما يلى :

استمرار اراقة الدماء بسبب التنافس القديم بين الاسرائيليين والعرب وبين المسيحيين والمسلمين .

تسدره القوات العسكرية الاسرائيلية المؤكدة على الاستيلاء على الارض ، وفشلها في تحقيق الاستقرار الدائم او الامن في المنطقة .

عدم فاعلية الدول العربية في ابتكار او تحقيق سياسة متماسكة فيما بينها للتشامل مع الوجود الاسرائيلي .

الاستمرار المثير للدهشة لمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية مع وجود اعتقاد مصرى متزايد بأن هذه المعاهدة يمكن ان تسهم في الهجمات الاسرائيلية على العرب الآخرين .

سوء توجيه السياسة الامريكية ، التي ساعدت على وجود الأوضاع العدائية مثل وضع سوريا والاتحاد السوفيتي .

الانتقاسات المتزايدة داخل اسرائيل نفسها بشأن الحكمة والنتائج النهائية للسياسات التي انتهجها بيجين وحكومته .

ولكن هل هناك اى امل في تحقيق السلام في الشرق الاوسط ؟ وما سبب سلسلة الاحداث المتعاقبة هذه خاصة بعد مرور اربعة اعوام على توقيع اتفاقية كامب ديفيد ؟ . لقد قضيت جزءا هاما من حياتي العسامة في محاولة الاجابة على السؤال الاول بايجابية ومحاولة معرفة الاجابة على السؤال الثانى .

يمتد الشرق الاوسط بالتحديد ليشمل جميع الدول التي تحصد السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط ، ويمتد من المغرب الى تركيا والبحر الاحمر . وخليج العقبة والخليج الفارسي . ويتناول هذا الكتاب هذا الجزء من الشرق الاوسط الذى يضم الدول المعنية اساسا ومباشرة في الصراع حول مستقبل الاراضى المقدسة — اى اسرائيل وجيرانها — (مصر والاردن وسوريا والاراضى المحتلة وتشمل الضفة الغربية وقطاع غزة) والمملكة العربية السعودية ، وربما يعتبر الشرق الاوسط اكثر المناطق عرضة للانفجار والمستهدفة للاستيلاء عليها في العالم ، كما ان عدم استقراره يعتبر اكبر تهديد للسلام .

وكانت هذه المنطقة — لقرون عديدة — مركزا هاما للطرق التجارية ، مركزا للصراع من اجل السيطرة على الاراضى المليئة بالثروات التي تحيط بالاماكن المقدسة للديانات الثلاث الكبرى التي تدعو الى التوحيد : اليهودية والمسيحية والاسلام — وهى عقائد الذين يشتركون في دم « سيدنا » ابراهيم — علاوة على ان شبة الجزيرة العربية بها اكبر احتياطات النفط في العالم الحر ، وهو الوقود الذى تعتمد عليه دول اخرى في العالم الى حد كبير .

كما أن الدولتين العظميين ذاتهما لديهما مشروعات استثمارية ضخمة اقتصادية وسياسية وعسكرية في الشرق الأوسط ، الأمر الذي دفعهما الى حماية مصالحهما الخاصة وبصالح حلفائهما وتوسيع نفوذهما من أجل المستقبل . وكنيجة لهذه القوى ، الداخلية والخارجية ، فإن الصراعات في المنطقة تهدد باستمرار بتوقف الامدادات الحيوية من البترول ، ويحرم الجماهير من المطالب المتزايدة للحصول على فوائد مالية واجتماعية لا يمكن ان تتحقق الا بالسلام .

ولفهم جذور الكراهية واراقة الدماء والتي لا تزال تميز العلاقات بين شعوب المنطقة ، فانه من الضروري الرجوع الى الكتب المقدسة التي ظهرت في العصور القديمة . وبدرجة ملحوظة فان « ارادة الله » هي الأساس لكل الاجادلات الخفية والهجمات الارهابية الأكثر شراسة بين اليهود والمسلمين والمسيحيين .

فكيف نكون وعود الله السابقة اداة للصراع الذي استمر حوالى أربعين قرنا بعد ان أصبح سيدنا ابراهيم أبو العرب واليهود في الأرض المقدسة ، وبعد حوالى ٣٠٠٠ عام منذ حكم الملك داود العظيم ، وبعد حوالى ٢٠٠٠ عام بعد ان بشر المسيح برسالته الثورية لنفس الأرض ، وبعد ١٣٥٠ عاما منذ انتهاء عهد النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » . والشئ المحزن انه بالنسبة « لأهل الكتاب » الذين يعترفون ويعبدون نفس الاله ، فان الكتب المقدسة تعتبر مصدرا للخلاف أكثر من العيش في سلام .

وخلال مناقشتى حول الصراعات بين هذه الديانات مع الرئيس المصرى أنور السادات ، أشار مرارا وفي أغلب الأحوال بشكل عرضي الى الاخوة بين العرب واليهود وكيف أنهما أبناء أب واحد هو « سيدنا » ابراهيم . وإشارة الرئيس السادات الى « سيدنا » ابراهيم دفعتنى الى إعادة دراسة قصة « سيدنا » ابراهيم وأبنائه الأوائل ، ومعرفة مغامراتهم من وجهة نظر اليهود والمسيحيين والعرب على التوالى وتساعلت كيف يمكن للمؤمنين بديانات مختلفة والمقتنعين بنفس التاريخ ان يعتقد كل منهم انه هو شعب الله المختار ؟ .

ومن المتصور ان نتذكر ان وطن سيدنا ابراهيم وهو ، « أور » في العصر البابلى كان ربما في العراق بالقرب من نهر الفرات بالخليج الفارسى . وتنفيذا لأوامر الله رحل سيدنا ابراهيم وأسرته الى الشمال الغربى على بعد مسافة تصل الى أكثر من ١٢٠٠ ميلا ، واستقر لفترة من الزمن في سوريا الشمالية ، ثم أمره الله عندما بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما بالذهاب الى أرض كنعان الموعودة (غالبا هي الأرض الواقعة بين نهر الاردن والبحر الأبيض المتوسط) . والى سوف تؤول اليه والى نسله الى ما شاء الله . وعندما وصلوا وجدوا مجاعة كبيرة . ولهذا انتقل « سيدنا » ابراهيم وأسرته بعيدا الى الجنوب ، الى مصر

وعاش « سيدنا » ابراهيم في مصر في بحبوحة من العيش ، وبعد فترة ابعده فرعون الى ارض كنعان مع جمهور كبير ، وبسبب كبر حجم عدد افراد أسرته وراثهم ، تبين لهم أنهم لن يستطيعوا العيش سويا ، الأمر الذي أدى الى قيام « سيدنا » ابراهيم بالسماح لابن أخيه « لوط » أن يختار الاراضى الخصبة الواقعة في وادى نهر الأردن وحول البحر الميت . وأخذ « سيدنا » ابراهيم ما تبقى من الاراضى وهى المناطق المرتفعة الواقعة في الغرب .

وكان « سيدنا » ابراهيم حكيما وانسانا طيبا ، ووعدده الله مرة اخرى بمباركات كبيرة اخرى ، بما في ذلك الاراضى الواقعة من النيل الى الفرات وان يرث ما وراءهما .

ولم ترزق زوجة « سيدنا » ابراهيم « السيدة سارة بأطفال ، ونهنا منحت زوجها جارية مصرية اسمها « السيدة » هاجر ليتزوجها ، واحتقست السيدة هاجر ، التى كانت حاملا في ذلك الوقت ، السيدة سارة ، فأجبرتها السيدة سارة فيما بعد على مغادرة المنزل . وعثر ملاك الرب على « السيدة هاجر في منطقة قفر ، وبشرها بالعودة الى منزل « سيدنا » ابراهيم ووعدتها بولد يكون له نسل كبير . وكان « سيدنا » ابراهيم قد بلغ من العمر خمسة وثمانين عاما عندما ولد « سيدنا » اسماعيل من السيدة هاجر . وبعد ثلاثين عاما أخذ الله على سيدنا ابراهيم عهدا آخر فوعده بأن « السيدة » سارة سوف يكون لها ابن اسمه اسحاق وتتكون من ذريته الأمم وأن سيدنا اسماعيل سوف ينجب اثنى عشر امرا ويكون له كذلك امة كبيرة . وتم ختان سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وجميع الخدم والعبيد للتصديق على العهد كما أمر الله ، وولدت السيدة سارة لسيدنا ابراهيم الابن الموعود سيدنا اسحاق ، وأجبرت فيها بعد السيدة هاجر وسيدنا اسماعيل على ترك المنزل . وقد سبب ذلك حزنا عميقا لسيدنا ابراهيم ، ولكن التوراه تقول « ان الله ظل يبارك سيدنا اسماعيل حتى نهاية ايامه .

ورزق اسحاق وزوجته « رفقة » بتوام ، يعقوب وعيسو ، اللذين اذثقا بسبب الفيرة ثم تصالحا فيما بعد ، وتعاهدا على الحب لأنها يحملان دما واحدا . وبعد موت السيدة سارة رزق سيدنا ابراهيم بستة أبناء آخرين من زوجته « كيتورا » ، الذين كون نسلهم القبائل الكاملة للشعب الذى عاش في لبنان وسوريا والأردن ومصر ودول افريقيا الشمالية الأخرى . ومات سيدنا ابراهيم عن مائة وخمسة وسبعين عاما ودفنه ولداه اسحاق واسماعيل بجوار السيدة سارة بالقرب من منزله في الخليل .

وأوحى الرب فيما بعد لاسحاق : «سوف أجعل له ذرية ليتكاثروا مثل عدد النجوم في السماء ، وسأعطى الى نسلهم كل هذه الامم ، وسيمبارك نسلهم في جميع امم الأرض » . والمسلمون يعتبرون انفسهم من نسل « سيدنا » ابراهيم

من خلال « سيدنا » اسما عيل ، ولكنهم يبجلون كذلك بعض شخصيات الكتاب المقدس مثل اسحاق وموسى والأنبياء والمسيح . ونزل فيما بعد الوحي على محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو جبريل ، وهذا يؤكد ايمانهم بأن السماء تباركهم بصفة خاصة .

ويشارك اليهود في دم سيدنا ابراهيم من خلال اسحاق وذريته ، ولكنهم يؤكدون الوراثة الخاصة ليعقوب .

وكان يعقوب اصغر توأمي اسحاق ، ولكن بمساعدة أمه تمكن من خداع أخاه عيسو ، الذي كان يفضل اسحاق ، بعيدا عن مباركة والده . ووعده اسحاق يعقوب بأنه سيصبح سييدا على أخوته ، ولكن عندما اكتشف الخدعة ، أخبر عيسو ، بأنه يجب أن يعيش معه سيفه ، وأن يخدم أخاه ، مضيفا الى « أن عيسو سوف يخضع يعقوب ويعاقبه بقسوة » .

وتغير اسم يعقوب الى اسرائيل عندما تصالح الاخوان ، ومن نسله جاءت القبائل المتقدمة وحملت اسمه الدولة الحديثة . وبعد أن دفن اسرائيل (يعقوب) وعيسو والدهما اسحق ، أقاما سويا في أرض كنعان حتى أصبحت عائلتهما كبيرة للغاية وثرية . وبعد ذلك رحل عيسو ونسله بعيدا الى الغرب في آدوم ، وبقي اسرائيل في كنعان .

ورحلت اسرة اسرائيل الى مصر في فترة قحط شديدة وأصبح نسله عبيدا للفرعون . وبعد أن عاشوا في أرض غريبة لمدة ٤٣٠ عاما ، أوحى الله الى موسى بتحرير أبناء اسرائيل الاثني عشر والخروج بهم من مصر الى الحرية وكان تعداد الاثني عشرة قبيلة من سلالة اسرائيل ٦٠٣ر٥٥٠ رجلا وكانوا أقوياء البنية ، بالإضافة الى عدد لا يحصى من الكهنة والنساء والأطفال ورجال طاعنين في السن أو غير قادرين على الحرب .

وكانوا قد وعدوا بأرض كنعان وطنهم ، لكن بسبب آثامهم فقد أجبرهم الرب على التيه في البرية حتى جاء جيل جديد ، وقادهم يشوع عبر نهر الأردن وأقاموا في « أرض الميعاد » وناضل الاسرائيليون ضد أعدائهم وكانوا يفتخرون عليهم عندما يكون الرب راضيا عن أعمالهم . وبعد حوالي ألف عام من عصر ابراهيم ، (وقبل مولد المسيح بنفس المدة) اتحدت الاثنا عشرة قبيلة تحت زعامة الملك داود في شكل أمة قوية . ووعده الله داود بسبب ايمانه بأن مملكته سوف تستمر الى الابد .

ومع ذلك فإن سيدنا موسى قد أوضح للاسرائيليين بأن وعود الله تلزم دائما شعبه المختار بأن يكون مطيعا ومخلصا للعقيدة والقانون السماوي . وكان لداود وابنه سليمان العديد من الخلفاء ، أغلبهم لم يكن مطيعا ، وانقسمت الأمة الى أمتين منفصلتين في عهدهم : يهودا واسرائيل . وفشلت الامتان في

الوصول الى مستوى الاخلاص والعدل للرب ، ولهذا فقد تم تدميرهما بواسطته اعدائهما . وتم تدمير اسرائيل حوالى عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، ويهودا حوالى عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، ووقع اليهود فى الأسر ولكن بعضا منهم عاد الى القدس تباعا حيث عاشوا تحت سيطرة اجنبية ولكنهم كانوا قادرين على المحافظة على عاداتهم وعقيدتهم الدينية .

وهذا العرض المختصر للتاريخ القديم للكتاب المقدس يعتبر أمرا هاما حتى يومنا هذا باعتباره أساسا مشتركا لكل من اليهودية والاسلام . ويعتبر اليهود أن وحى الله الذى أنزله على ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى يطبق عليهم فقط . كما يعتقد المسلمون أن جزءا من هذا التاريخ له أهمية جوهرية ويستخلصون منه المبرر لوضعهم المميز فى نظر الاله ، كما اوحى فيما بعد لمحمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه لن الامور الهامة للغاية بالنسبة لمسيحيى العالم أن يعلموا أن المسيح ، وهو من نسل الملك داود ، هو تلبية لوعود الله السابقة بشأن المباركة الدائمة ، وأن مملكته ستستمر على مدى الازمان وبين جميع شعوب الأرض ، لذلك فانه ينبغى على المسيحيين والمسلمين أن يعلموا أن وعود الله ليست مقصورة على شعب موسى . والمسيحيون يؤمنون بأن الله بارك ابراهيم بسبب ايمانه ، وليس بسبب جنسه ، وأنه أب لكل الذين يشاركون ايمانه بالله .

وخلال مقابلاتى الطويلة مع رئيس الوزراء بيجين ومقابلاتى الاطول مع الرئيس السادات ، تناقشنا فى الديانات الثلاث المؤمنة بوجود الله ، وتأثير تلك الديانات على العلاقات القديمة والحديثة بين شعوب الشرق الأوسط ، وكذلك ، تأثيرها علينا كأفراد : فنحن الثلاثة نمثل اليهود والمسيحية والاسلام . ونحن نسعى لتحقيق السلام ، ويبدو أن السادات كان مغرما بالحديث فى هذا الموضوع ، وكان يشير دائما الى خطته بشأن بناء مجمع مقدس فوق جبل سيناء حتى يمكن للمؤمنين بالاديان الثلاثة أن يمارسوا عبادتهم سويا .

وكان بيجين مهتما بشكل خاص بشأن تحليل التاريخ ، وخاصة فيما يتعلق بمدى تأثير الايمان فى يهود الدياسبورا (الشتات) وكيف انه جعلهم وحدة بالرغم من عهود الاضطهاد التى عانوا منها ، وتجزئتهم داخل اقلية وطنية تنافرت بين اهم متعددة . وكنت مطلعا على الاساس الدينى لبعض التزاماته السياسية بخصوص استيعاب اراض اضافية داخل اسرائيل ، وقد لاحظت هتاف مؤيده فى الحملة الانتخابية عندما كانوا يرددون : « بيجين ملك اسرائيل » وهذا الهتاف كان تذكرة حذيفة من جانب أتباع ورئيس الوزراء بمجد اسرائيل القديم ، عندما قاد الملك اليهود ، وعندما حقق الملك داود العديد من الانتصارات وحكم أغلب اراضى المداقة .

وربما مراعاة لمعارضتي القوية والعننية لخطط بيجين الخاصة باستيعاب كل اراضي الضفة الغربية وغزة ، فانه نادرا ماكان يستند الى اى امر من الله بخصوص ضرورة وجود خطوط جغرافية خاصة توضع حدود سيطرته . وباعتباره دارسا للتوراة فانه كان يتلو احيانا فقرات من الكتاب المقدس مثل ما معناه ؟ . « اذا نسيت القدس ، فاجعل ياربى يدي اليمنى تصاب بالشلل » ، بهدف التأكيد على أنه لن يجعل هناك من يشاركه السلطة في القدس . ولا أتذكر المناسبة التي اثار فيها بيجين مناقشة عن المسيحية أو الاسلام ، أو اشترك في اى تحليل مقارنة للمعتقدات الدينية . والواقع ان التعليقات التي اثارها السادات حول مقاسمتنا لدى ابراهيم كانت تسبب نوعا من الارتباك لبيجين الى حد ما .

وكان السادات شأنه شأن بيجين رجلا ورعا . وكان يناقش ونحن في اجنحتنا الخاصة وخلال نزهاتنا الصباحية في كامب ديفيد عن معتقداته الاسلامية . وكان سعيدا عندما كان يجيب على استلتي العديدة . وأثناء اعدادى لمناقشات السلام حول الشرق الاوسط ، قمت بدراسة مختصرة للقرآن ، الامر الذي جعل مناقشتي مع السادات لها دلالة اكبر ، ولكنه كان يعرف قدرا كبيرا عن اليهودية والمسيحية اكثر من معرفتي عن عقيدته .

ان اليهودية والاسلام لهما تأثير عميق على الحكومات والسياسة العامة في اسرائيل وفي الدول العربية . فاسرائيل تعتبر دولة يهودية تم انشاؤها لتكون وطننا لليهود الذين يحصلون تلقائيا على حق المواطن بمجرد وصولهم الى اسرائيل . حتى هؤلاء اليهود غير المتدينين يعلنون في كثير من الأحيان عن تأييدهم لأكثر السياسات الاسرائيلية اثارا للجدل حول الكتب المقدسة . كما أن طريقة حياتهم الاجتماعية والسياسية متأثرة بالتقاليد العميقة لليهودية .

ويعتبر الاسلام كذلك أكثر من مجرد ديانة . فأحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تعتبر مرشدا للوجود القبلي والعائلي : كيف تعامل الأصدقاء والأعداء والضيوف ، والذين يؤذون جيرانهم أو الذين اديهم خصومات قانونية . والقرآن الى جانب الأحاديث التي نقلت عن محمد (صلى الله عليه وسلم) تعتبر قوة ملزمة حيث تمد الدول العربية بلفية مشتركة وثقافة مشتركة ، باستثناء لبنان . وهو دين مشترك بين الدول تستمد منه القوانين الاساسية . وهذا التجانس بين الحكومة والدين يتجه الى تعزيز مفهوم الوحدة بين الامم الاسلامية ، وبين اسرائيل واليهود في مختلف دول العالم الامر الذي تفتقده ، بشكل كبير الدول المسيحية حاليا .

وبالرغم من وجود لغة وعادات وديانة مشتركة ، وبغض النظر عن رغبة القادة ذوي النفوذ في التنسيق ووحدة الهدف ، فان العالم الاسلامي لا يزال

ممزقا نتيجة للصراعات التي لم تعد مقصورة على الحرب مع اسرائيل . فالحرب المدمرة بين ايران والعراق تهدد سلام جيرانها تهديدا خطيرا .

ونعتبر الثورة أمرا محتمل حدوثه باستمرار في الأمم التي بها أقليات دينية عرقية كبيرة لا تتفق مع الصفوة الحاكمة . فالثورة الايرانية والصراع السيادي في لبنان قاما لمواجهة خلفية من مثل هلاخ الجماعات المتنافسة التي تسعى الى تعزيز قواتها وهيبتها . كما أن اختلاف الأديان والجنس والأصل ، تسهم كلها في التوترات السياسية التي تعم كافة أرجاء المنطقة ، وليس فقط داخل الدول العربية ، ولكن أيضا بين المواطنين داخل اسرائيل .

بيد أن السبب الرئيسي لاستمرار اراقة الدماء في المنطقة يرجع الى هذا الصراع من أجل الأرض . ضاعف الاسرائيليون مساحة الاراضي التي يسيطرون عليها بعد حرب عام ١٩٦٧ الخاطفة ثلاثة أضعاف على حساب مصر والأردن والفلسطينيون وسوريا ، وهذه الدول عاشت لسنوات عديدة وهي مؤمنة ايمانا قويا بأنها غير قادرة على قهر اسرائيل عسكريا .

ولكن في أكتوبر عام ١٩٧٣ وقع الهجوم المفاجيء من جانب سوريا ومصر . وأثبتت الدفاعات الاسرائيلية كفاءتها ، ولكن القوات العربية حاربت بكفاءة عالية ، وكانت قادرة على استعادة مفهومها النفسي لهذا المساواة . فقد اكتسبت هذه القوات قدرا كافيا من الكبرياء والثقة بالنفس . الأمر الذي سمح للقادة المصريين والسوريين بقبول اتفاقية انسحاب محدودة مع اسرائيل . بالرغم من أن الاسرائيليين استمروا في احتلال أجزاء حيوية من أراضيهم .

كذلك فإن حرب ١٩٧٣ غيرت من الدور الأمريكي في الشرق الاوسط . فبعد المساعدات التي قدمتها أمريكا بخصوص شروط وقف إطلاق النار ، فقد تم الاعتراف بها كوسيط يحظى بالقبول من الجانب العربي والاسرائيلي . وكان واضحا من الحرب أن القوة الساحقة للعسكرية الاسرائيلية لا يمكنها وحدها ضمان أو فرض الحل السلمي للخلافات .

وبمرور الوقت انتخبت رئيسا للولايات المتحدة في عام ١٩٧٦ ، وشعرت أن القادة في المنطقة يمكن أن يرحبوا بالمبادرات التي تقدمها الولايات المتحدة لتحقيق هدف السلام . وكان قد صدر قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ في نوفمبر عام ١٩٦٧ الذي ينادى بالأرض مقابل السلام ، وسيادة واستقلال جميع الدول في المنطقة ، وانتهاء حالة الحرب وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين ، وتقديم مساعدة خارجية لتسوية الخلافات القائمة ، وانتهاء الصراع المستمر (ملحق رقم ١) وهذا القرار كان من الممكن أن يكون الأساس لجميع الجهود المستقبلية لتحقيق السلام ، إلا أن الفلسطينيين رفضوا هذا القرار لأنه لم يعترف

بمطالبهم الخاصة بحقوقهم في أن يكون لهم وطن ، أو بحقوقهم في إنشاء دولة . وجاء قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ في نهاية حرب ١٩٧٣ ، وطالب بوقف إطلاق النار الفوري واقترح اجراء مفاوضات تحت رئاسة مشتركة للدولتين العظميين (ملحق رقم ٢) .

وبطريق غير مباشر بدأت تتبلور مواقف جديدة في اسرائيل وبين جيرانها ، فقد لمس القادة الاسرائيليون الدليل على حرص الولايات المتحدة على أمن دولتهم . في حين وقفت أغلب الدول الغربية الاخرى على الحياد على أفضل الأحوال . وفي مواجهة اعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط التي أعلنها الرئيس جيرالد فورد في عام ١٩٧٥ ، والتي كانت تهدف الى فرض ضغط على اسرائيل ، قام مؤيدو اسرائيل في الولايات المتحدة باستعراض « عضلاتهم » السياسية ، ووقع ستة وسبعون سيناتورا امريكا على خطاب يحذرون فيه الرئيس من اتخاذ أى عمل يمكن أن يحرم اسرائيل من احتياجاتها العسكرية أو الاقتصادية . وكان الاسرائيليون يثقون تماما في قوتهم العسكرية وفي تأييد الولايات المتحدة لهم سواء في البيت الابيض أو في الكونجرس على وجه الخصوص .

وكان الرئيس السادات قد سبق أن حطم الروابط القوية مع الاتحاد السوفيتي ، وكان يؤمن أن الولايات المتحدة يمكن الوثوق بها لحماية كل من المصالح الاسرائيلية والعربية في أوقات الازمات ، كما أثبت كذلك أنه يرغب في التفاوض بطريق مباشر مع اسرائيل مستعينا بالرئيس الامريكي ووزير خارجيته كوسيطين .

وكان من الواضح تماما أن مصر تميل الى الانسحاب من هذا الصراع القائم مع اسرائيل اذا حصلت على شروط مقبولة ، واثبت السادات أنه هو وبلده على استعداد لمواجهة أى ادانة من جانب الدول العربية الاخرى بسبب اجراء مثل هذه المفاوضات .

بيد أن الرئيس السوري حافظ الأسد لم يكن مرحبا بالتعامل مع اسرائيل على أساس ثنائي . وكان قد أذعن لشروط وقف إطلاق النار مع اسرائيل على مضض شديد في نهاية حرب ١٩٧٣ ، كما وافق على قرارات الأمم المتحدة الرئيسية فقط بشروط صارمة . وفي ديسمبر عام ١٩٨٣ لم يحضر جلسات مؤتمر جنيف التي استغرقت يومين ، وقد عقد هذا المؤتمر وفقا لقرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ .

وبحلول عام ١٩٧٦ تراجع الأردنيون ليصبح لهم دورا ثانويا في رسم سياسة المنطقة ، لأنهم فقدوا السيطرة على الضفة الغربية في حرب ١٩٦٧ ، وبقي الأردنيون بمعزل نسبي عن حرب عام ١٩٧٣ ولهذا ظلوا

بعيدين عن عملية التفاوض ، وفي مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الرباط في أكتوبر ١٩٧٤ تم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية تحت زعامة ياسر عرفات باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وكانت منظمة التحرير تريد الضفة الغربية وغزة كحد أدنى لتنشئ منها دولة فلسطينية مستقلة غير تابعة لأي سيادة أجنبية . وقد حدد قرار مؤتمر الرباط بشكل كبير من سلطات الملك حسين في المساومة مع إسرائيل حتى بالنسبة لوضع الأراضي الأردنية التي فقدتها في الضفة الغربية ، وفي هذا النطاق أبدت الأردن تشددها في الخلافات المتعلقة بهذه الأرض وشعبها .

وخلال مفاوضات فك الاشتباك بعد حرب ١٩٧٣ تعهد وزير الخارجية هنري كيسنجر والرئيس فورد — سرا — بعدم الاعتراف أو التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى يعترف قادة المنظمة بحق إسرائيل في الوجود وقبول قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ . وأمام هذه الظروف لم تقبل منظمة التحرير الفلسطينية هذا الوضع ، ولهذا استبعدت المنظمة كمفاوض ، سواء مع الولايات المتحدة أو إسرائيل ، وقد تركت سلسلة الأحداث هذه الأراضي المحتلة بدون صوت عربى على مائدة المساومات المحتلة سواء من جانب سكانها الفلسطينيين أو من الأردن .

وأثناء ذلك وعبر الخليج الفارسي بدأت بذور الثورة تنبت في إيران بسبب حكم الشاه المطلق ، والطلب المتزايد للحصول على مزيد من عوائد الثروة النفطية الوطنية ، ونتيجة لرد فعل الزعماء الدينيين المحافظين المعارضين لتحرك الشاه السريع نحو إقامة مجتمع غربى وعلمانى . وكان أهل الشيعة من المسلمين ينتقدون على وجه الخصوص حقوق المساواة المرأة ولغير المسلمين ، وينتقدون أيضا غياب التأثير الإسلامى فى الحكومة ، والاتفاقيات التجارية الأجنبية بخصوص بترول إيران ومنتجاتها الزراعية ، واضطهاد الدولة الوحشى لكل من يتظاهر ضد سياسات الشاه .

وخلال منتصف السبعينيات لم يكن هناك أى تفكير جدى سواء من جانب أجهزة مخابراتنا أو من جانب القادة السياسيين فى أوروبا أو الشرق الأوسط ، بأن الشاه سيتم عزله بالفعل . ونظرا للتقارير الواردة عن زيادة أعمال العنف فى إيران أثناء زيارة الشاه الأولى لوشنطن فى نوفمبر ١٩٧٧ ، فقد أطلعت الشاه على ضرورة مخاطبة القوى الثورية المضادة من بين الطلبة الإيرانيين فى الولايات المتحدة والمتظاهرين فى شوارع إيران . لكن الشاه قلل من أهمية هذه النشاطات باعتبار أن القسامين بهما « قلة من الشيوعيين والمتعاطفين معهم » ، الذين ليس لهم مطالب مشروعة أو أى تأييد شعبى . وأصر على أن حبس الاصوات المعارضة وفتح النار

من جانب قوات الشرطة التابعة له على الجماهير المتظاهرة تعتبر من أفضل الناس لاخذ هذه الفتنة ، بالواقع أن الشاه قد ذهب الى حد أنه اقترح ان يقوم القادة الغربيون بمحاكاة تشدده خشية أن تفتح مبادئنا الديمقراطية للساحة الداريق أمام موجة عارمة من احتجاج جماهيري لا يمكن السيطرة عليه .

وباعتباري رئيسا لدولة كان يجب على أن أواجه هذه المسؤول المتعددة في الشرق الأوسط ، ولكن كانت هناك دلائل تشير الى أن التوفيق يعتبر أمرا ممكنا . فاسرائيل ، جيرانها السرب يعتبرون في حالة حرب من الناحية الفنية ، ولكن المنطقة يسودها الهدوء بكل ما تحمله الكلمة من معنى . كما كانت الزعامة في جميع الدول الرئيسية في المنطقة كما هي مستقرة في مواقعها . وكانت الدلائل تشير الى أن السادات ربما يكون مستعدا لاجراء مفاوضات أخرى ، أما القوات السورية فانها تحافظ على استقرارها الظاهري في لبنان ، هذا فضلا عن أن الجهود الموفقة التي بذلها السعودية للتخفيف من حدة الانقسام بين الزعماء العرب ، جعلت الولايات المتحدة وغيرها من الدول تشعر بأن أية خطوات أخرى لاحقة تجاه السلام يمكن أن يقبلونها . وبالرغم من أن الفلسطينيين مازالوا مستبعدة من أمة وحادثات سلام ، فانه من الممكن تخطي هذا الحاجز من خلال حسم ملك الاردن . وكانت الانتخابات الاسرائيلية على الابواب عام ١٩٧٧ وكان هناك أمل في امكانية تشكيل تحالف حاكم اكثر قوة يتمتع بتأييد شعبي يمكنه من القيام بتحركات دبلوماسية جريئة في مجال التفاوض من أجل السلام .

وكنيت على استعداد للاشتراك شخصيا في هذه المهمة ، اذا اقتضت الضرورة فقد تمت خلال الشهر القليلة الاولى لتولى منصبى ، باجراء محادثات مع اسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل (في مارس) . ومع الرئيس المصري أنور السادات (في ابريل) ، ومع حسين ملك الاردن (في ابريل) ، ومع الرئيس السوري حافظ الأسد (في مايو) . ومع ولي العهد السعودي الأمير فهد في (مايو) واخيرا مع رئيس الوزراء الاسرائيلي المنتخب حديثا مناحم بيجين (في يونيو) . وبعد كل هذه الاجتماعات صممت على مواصلة جهودنا من أجل تحقيق السلام . وكان أغلب القادة العرب يؤيدون هذه الجهود ، وأن كانوا غير موافقين على تورطهم المباشر في أمة مفاوضات مبكرة . وكان السادات ، بيجين فقط هما اللذان لديهما الاستعداد للانضمام الى محادثات حقيقية . خصوصاً البعثات الأساسية وهي : الأرض وحق اسرائيل في العيش في سلام مع جيرانها ، حقوق الفلسطينيين .

وقد تحقق بعض التقدم الهام في سبتمبر عام ١٩٧٨ في كامب ديفيد ، خلال المفاوضات اللاحقة التي أسفرت عن معاهدة سلام بين مصر اسرائيل

عام ١٩٧٩ ، غير أن الاحداث التالية حالت دون حدوث أى تقدم آخر . فقد رفض الاردنيون والفلسطينيون المشاركة في المحادثات التي كانت ستفنى بالعودة التي قدمت للفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولم يتم احترام الالتزامات التي قدمت في كامب ديفيد بشأن الاراضى المحتلة وحقوق الفلسطينيين . كما أدى غزو اسرائيل للبنان الى تقويض أى تقدم نحو السلام .

ومع توقف عملية السلام فان تدخل القوى الخارجية وتحالفها مع العناصر المتنازعة في الشرق الاوسط أصبح أمرا ضروريا بشكل متزايد . لم يكن التنافس من أجل فرض النفوذ في المنطقة بين الدول الشرقية والدول الغربية بالشئ الجديد . فقد كانت القوى الخارجية ، منذ أكثر من ألف عام قبل « سيدنا » ابراهيم ، تتصارع على طول السواحل الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، سواء من أجل تجارتهم أو من أجل أطماع سياسية ، أو بسبب حرمان أى عدو من التمتع بخيرات المنطقة . وبمقد ذلك خضعت هذه المنطقة الساحلية خلال أربعة قرون حتى نشوب الحرب العالمية الأولى لسيطرة الأتراك باعتبارها جزءا من الامبراطورية العثمانية ، باستثناء مصر التي خضعت للنفوذ الفرنسي ، ثم النفوذ الانجليزى منذ فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ .

وتفرغت بريطانيا وفرنسا بعد انتصارهما في الحرب العالمية الاولى لتقسيم الاراضى العثمانية فيما بينهما . وبتكليف من عصبة الامم تم الاعتراف بالحكم الفرنسي على سوريا ولبنان ، في الوقت الذي احتفظ فيه البريطانيون بسيطرتهم القوية على مصر والعراق ودولة شرق الاردن الجديدة وفلسطين . ومن ثم ناضل السكان العرب واليهود من أجل تحقيق السيادة على فلسطين ، ولكن ظلت السيطرة السياسية النهائية في يد بريطانيا .

وكانت الدولتان الاوروبيتان ملتزمتين أمام عصبة الامم وأمام شعوب تلك الدول الاصلية بتحقيق استقلال تلك الدول . وقد تم اعتبار فلسطين مسألة ميثوس منها وذلك لانه لن يمكن التوصل الى اتفاق بين العرب واليهود على اقامة حكومة واحدة تضم الطرفين . وعلاوة على ذلك كان على البريطانيين ان يضعوا في اعتبارهم وعد بلفور ، الذى يطالب : « باقامة وطن قومى للشعب اليهودى في فلسطين بدون الاضرار بالحقائق المدنية والدينية للطوائف الاخرى غير اليهودية » ، تلك الورطة التي لا تزال تمانى منها المنطقة حتى وقتنا الحالى .

ومع حلول الحرب العالمية الثانية كان البريطانيون والفرنسيون لا يزالون يسيطرون على الشرق الاوسط ، ولكن نيران الحركة الوطنية المتزايدة اشتعلت في كل منطقة . وبذل النازيون كل ما في وسعهم لزيادة اشتعال

لهيبتها ، وان لم ينجحوا الا نجاحا محدودا في ذلك ، وحتى بعد سقوط فرنسا فقد حل البريطانيون بسرعة محل قوات فيشي في لبنان وسوريا . وظلت المملكة العربية السعودية المستقلة تقف على الحياد من الصراع حتى وقت متأخر ، ثم أعلنت الحرب على ألمانيا . وفي ايران تحالف الشاه رضا بهلوى في بادئ الامر مع المحور ، ولكن البريطانيين والروس قاموا فيما بعد بخلعهم . واعتلى ابيه محمد رضا بهلوى العرش في عام ١٩٤١ بمساندة الحلفاء ، وظل يحكم حتى خلعه الثورة في عام ١٩٧٩ ، اى بعد حوالى ثمانية وثلاثين عاما من ارتقائه العرش .

وكان النفوذ البريطانى مسيطرا على مختلف أنحاء المنطقة مع حلول عام ١٩٤٥ عندما انتهت الحرب ، وحاول السوفييت — بلا جدوى — احتلال شمال ايران بصفة دائمة ، وأصبح الصراع على النفوذ بين الاتحاد السوفيتى والدول الغربية بمثابة عامل هام في الحياة السياسية للمنطقة بأسرها ، وحصلت كل من سوريا ولبنان على استقلالهما بعد نهاية الحرب ، وسلمت بريطانيا العظمى مسئولية ادارة فلسطين الى الامم المتحدة ، وسحبت جميع قواتها من المنطقة في عام ١٩٤٨ تاركة وراءها ما أصبح معروفا بالقدس المقسمة ، ودولة اسرائيل الجديدة ، والضفة الغربية كجزء من الاردن ، وقطاع غزة الذى تحتله مصر .

وبدا النفوذ الاوروبى يتلاشى تدريجيا بعد الحرب العالمية الثانية ، على وجه الخصوص بعد اخفاق الجهود الفرنسية والبريطانية — بمساعدة اسرائيل — في انتزاع قناة السويس من مصر في عام ١٩٥٦ . وزاد بعد ذلك النفوذ السوفيتى والامريكى ليملا الفراغ السياسى الذى نشأ بعد ذلك .

بيد أنه في السبعينيات اضطربت المصالح من جديد ، ونشأت تحالفات جديدة بين دول أوروبا وبعض مناطق الشرق الاوسط ، وكان البترول أحد الاسباب الرئيسية وراء هذه الاوضاع . وقد أسفرت حاجة أوروبا الملحة لضمان استمرار تدفق الطاقة عن اتخاذ موقف أكثر توازنا ازاء الصراع العربى — الاسرائيلى بوجه عام ، وأكثر تنافسا ازاء وضع الفلسطينيين من الصراع بصفة خاصة . وقد ظهرت كل هذه الاتجاهات بشكل واضح خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين اسرائيل وجيرانها العرب ، عندما لم تسمح أى من الدول الأوروبية بتزويد طائرات الولايات المتحدة بالوقود ونقلها المؤن الى اسرائيل خلال الايام الاخيرة من الصراع . وكان هذا الوضع بمثابة قطيعة واضحة مع الولايات المتحدة واسرائيل ، ويمثابة مظهر لاجتماع الاوروبيين على الوقوف بجانب الدول العربية .

ولكن هذا الاهتمام والنشاط المتجدد بين أوروبا والشرق الاوسط ربما يكون خادعا ، فلا تملك اى من هذه الدول أو حتى دول السوق الأوروبية المشتركة القوة أو النفوذ لتحل محل الولايات المتحدة كقوة أساسية لتحقيق السلام في المنطقة . وعلاوة على ذلك فانه حتى اذا وافق العرب والاسرائيليون على أن يكون الاوربيون وسطاء اكفاء ، فانه من غير المحتمل أن تقسم اى دولة أوروبية باستثناء جزء جوهري من موالدهم السياسية المحدودة خاصة في هذا الجو المشحون الذي يسود المنطقة ، وذلك لان شعوبهم من المحتمل الا تساند هذه الجهود لفترة طويلة . ولايزال العالم العربى ينظر الى الدول الأوروبية وخاصة الدولتين العضوين الدائمين في مجلس الامن (بريطانيا وفرنسا) كدولتين غير متحيزتين في سياستهما المتعلقة بالصراع العربى الاسرائيلى .

ولكن ما هى مصالح السوفييت في الشرق الاوسط ؟ ، وإلى اى مدى تختلف هذه المصالح عن مصالح الولايات المتحدة ؟ ان الاتحاد السوفيتى شأنه في ذلك شأن بعض الدول الأوروبية الغربية ، كان بسبب قربه من المنطقة مرتبطا بالشرق الاوسط خلال فترات تاريخية مختلفة ، بينما ظلت الولايات المتحدة ، التى تبعد عن الشرق الاوسط بخمسة آلاف ميل ، حتى وقت قريب بعيدة عن القضايا الداخلية للمنطقة . ويشترك السوفييت في الحدود مع كل من تركيا وايران وافغانستان ، ويؤمنون أن لديهم مصالح اقليمية في سوريا والعراق ولبنان وشبه الجزيرة العربية شأنهم في ذلك شأن الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى .

كذلك فان هناك شك سوفيتى قديم حول مفهوم الثقة أو الصداقة مع الجيران ، لهذا فانه ليس مستغربا ان يصبح الشرق الاوسط — الذى تسوده الاضطرابات — الاولوية الاولى من حيث الاهمية بالنسبة للاتحاد السوفيتى — فالسوفييت يخشون اى وجود أو نفوذ غربى غير ملائم ، في هذه المنطقة . كما أنهم يشعرون بالقلق ازاء تغلغل أية مفاهيم اسلامية الى الاجزاء الجنوبية من اراضيه الواسعة حيث تعيش اقلية مسلمة تمثل عشرين في المائة من مجموع السكان .

وتلعب كل من المصالح العلمية والايديولوجية دورا في المخططات السوفيتية في المنطقة ، كما اتضح ذلك من اسلوبهم العدواني باغراء المصريين والسوريين بالوقوف الى جانبهم في الخمسينات . علاوة على ان غزوهم لافغانستان في ديسمبر عام ١٩٧٩ يمكن اعتباره بمثابة اجراء دفاعى بهدف اقامة دولة تابعة اخرى لهم على حدودهم الجنوبية ، وبمثابة حافز ايديولوجى بهدف نشر المفهوم الماركسى — اللينينى . وبصرف النظر عن اهدافهم النهائية أو دوافعهم فانه ليس هناك أدنى شك في أن السوفييت

سيبذلون كل ما في طاقتهم للحفاظ على وجودهم وتوسيع نطاقه في الشرق الأوسط .

بيد أنه بسبب القوى الغربية المتنافسة ، وبغض (بضم الباء) المسلمين الطبيعي للشيوعية الملحدة ، والخوف من الدمار الداخلي ، ظل النفوذ السوفيتي في المنطقة محدودا . ويدرك العرب اتجاه السوفيت الموضح وهو التحرك ومحاولة إقامة حكومة عميلة ، تخدم مصالحهم من أجل حماية أمنهم . وبالرغم من هذه العوامل المتضاربة ، فقد عقد السوفييت معاهدات صداقة وتعاون طويلة الأجل مع كل من العراق وإثيوبيا وأفغانستان واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وسوريا .

وهناك دافع آخر وراء وجود السوفييت في الشرق الأوسط وهو مطالبة موسكو بأن تكون على قدم المساواة مع الولايات المتحدة في المنطقة . فهم يريدون أن يكون لهم عملاء تابعين لهم مثل عنصر تمثل منظمة التحرير الفلسطينية ، وسوريا ، وليبيا ، وغيرها من الدول الأخرى ، تماما كما لنا نحن أصدقاء في إسرائيل وفي مصر وفي بعض الدول العربية المعتدلة مثل الأردن ، والدول الواقعة في شبه الجزيرة العربية .

وفي الوقت نفسه لا يريد السوفييت أن يتم استبعادهم من أية عملية لتحقيق السلام ، ولهذا فإنهم أبدوا فكرة عقد مؤتمر جينيف عام ١٩٧٣ ، وكذلك الاعلان الأمريكي السوفيتي لعام ١٩٧٧ (ملحق رقم ٣) .

واخيرا وبالرغم من أن السوفيت يهتمون بتحقيق نفوذ أكبر في المنطقة ويرحبون أحيانا بل ويشجعون وقوع انقسامات وخلافات فيها ، فإنهم لم يتدخلوا مباشرة في انتاج البترول أو في الاستيلاء على حقول البترول أو منع الناقلات من نقل البترول . وهم يعملون فقط على « المحافظة على حالة الغليان » باستخدام التنافس المحلي ، والعداء الوطني ، والنزاع العربي - الإسرائيلي من أجل خدمة أهدافهم . فهناك سبب وراء الجدل بأن الاتحاد السوفيتي « يحتاج » الى إسرائيل من أجل أن يزيد العداء العربي للدولة اليهودية ، من اعتماد العالم العربي على موسكو بهدف الحصول على الأسلحة وعلى التأييد السياسي .

ومما لا شك فيه أن العداء الأمريكي السوفيتي ، والتنافس فيما بينهما قد زاد بالفعل من صعوبة الوضع في الشرق الأوسط . فتجمد العلاقات وانهاه أغلب المفاوضات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي خلال السنوات القليلة الماضية يساعد على ايجاد مجالات للاتفاق يمكن أن تنهى المأزق الذي يواجه عمليات السلام في الشرق الأوسط وإسرائيل والولايات المتحدة على الأقل متفقتان بأن اشتراك السوفييت بأية صورة في الجولة القادمة

للمحادثات سوف يضيء ، عاملا آخر من عوامل النزاع وسوف يزيد من تعقيد الأمور . وبمقتضى المساواة فإن الاسرائيليين وكثير من العرب لا يثقون في السوفييت ، وبالرغم من اختلال توازن الدبلوماسية الأمريكية وميلها نحو اسرائيل ، فلا يزال القادة العرب — الذين سيترشون بالوجود الاسرائيلي — يعتبرون الولايات المتحدة أكثر القوى الخارجية التي تستطيع أن تحقق — للمنطقة — استقرارا جديدا . وخطوة أخرى تجاه حسم الخلافات القائمة . وستصبح احتمالات السلام مستبعدة أو ليس لها وجود ، إذا ما تجاهلت الولايات المتحدة هذا الواجب ، كما أن السوفييت سوف يسندون في الاستفادة من عدم التواجد الأمريكي .

رائد اعدادى لهذا الكتاب في (يناير عام ١٩٨٥) كانت القوات الاسرائيلية لا تزال متواجدة في الجنوب اللبناني وفي الضفة الغربية وغزة وفي مرتفعات الجولان . وكان لا يزال وضع السفير المصري كما هو عليه بعد سحبه من اسرائيل ، كما كان « سلام بارد » غير محدد المعالم لا يزال بسود الادين . وكانت رغبة الملك حسين في احياء عملية السلام والتفاوض باسم الفلسطينيين لا تزال محبطة بسبب عدم حصوله على تأييد من منظمة التحرير الفلسطينية ومن قادة الدول العربية المستقلة . وكانت الولايات المتحدة تسعى من هزيمة نكراء ومكلفة في بيروت ، وظهر الرئيس السوري الاسد كقوة خارجية في لبنان لا يمكن تحديها .

وعلى احسن الاحوال فقد كان يعم الشرق الاوسط حالة من الجمود. تتفاقم باضطراد نتيجة للسياسات والتصريحات والاعمال على كافة الجوانب التي تزيد من الشكوك والمخاوف وسوء الفهم . وبالرغم من حالة الضعف التي تعاني منها الولايات المتحدة في ذاك الوقت في المنطقة ، فقد كانت لا تزال تربطها علاقات طيبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى مع بعض الدول المعنية ، وخاصة مع اسرائيل ومصر والمملكة العربية السعودية . بيد أن الروابط بين الولايات المتحدة وكل من سوريا ولبنان كانت لا تزال متوترة ، في حين فقد الاردن الثقة في التزام واشنطن تجاه عملية السلام ، وظلت العلاقات الرسمية مع الفلسطينيين كشعب غير قائمة .

وفي بعض الاحيان استطاع المسئولون الأمريكيون ، في ظل ظروف صعبة على حد سواء ، أن يجمعوا الاطراف المتنازعة معا ، وأن يحققوا في بعض المناسبات بعض النجاحات المحدودة مثل : تبني قرارى الامم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وتأييدهما ، ودبلوماسية كيسنجر المكونية في عهد الرئيس نيكسون وفورد التي أسفرت عن اتفاقتى فك الاشتباك في سيناء واتحادات كامب ديفيد ، ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .

ان اهداف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط قد أعلنت مرارا ، ولكن كالعادة أسى فهمها . ومن السهل تعدادها (ولكن من الصعب للغاية تحقيقها) .

وتتمثل هذه الاهداف في :

- ان تعيش اسرائيل وجيرانها العرب في سلام وأمان .
- ان تصبح كل دولة مستقلة تتمتع بالحكم الذاتي ، والا تتعرض لاي تدخل خارجي .
- ان يحصل الفلسطينيون في الضفة الغربية وغزة على حقوقهم المشروعة بما في ذلك حقهم في تقرير المصير .
- ان تنسحب اسرائيل من الأراضي المحتلة .
- منح لبنان السيادة الكاملة والاستقلال مع انسحاب جميع القوات الاجنبية من اراضيهِ .
- ان يكون الشرق الاوسط بمعزل عن اي مواجهة بين القوتين العظميين .
- تحقيق أقل حد ممكن من التدخل السوفيتي في شؤون المنطقة .
- انتهاء حالة الحرب بين ايران والعراق والعسودة الى حدودهما الوطنية السابقة .
- تحقيق الرخاء الاقتصادي وحياء كريمة لشعوب المنطقة .

وهذه الأهداف تبدو معقولة ومتوازنة للغاية حتى بالنسبة لأغلب شعوب الشرق الأوسط . فلماذا اذن يكون من الصعب — بل من المستحيل — تحقيق السلام في المنطقة ؟ . من الواضح ان شعوب كل دولة تريد وضع نهاية لاراقة الدماء والمعاناة . ولكن ما الذي يمنع قادتهم من الذهاب الى مائدة المفاوضات ؟ ان الأطراف المتنازعة تؤمن بعدالة قضيتها . كما ان بعض هذه الأطراف على استعداد لمواجهة الموت دون أن تغير من موقفها ، أو حتى الاعتراف بالوجود المشروع لاعدائها . وتتصرف هذه الاطراف من منطلق أنها تنفذ ارادة الله .

ان أغلب الحقائق ليست محل جدل . فكيف اذن يمكن وجود مثل هذا التضارب الحاد في الآراء بين الشعوب التي تعيش في نفس المنطقة ؟ ان سماع الأصوات في كل دولة ، ودراسة تاريخ كل شعب عن قرب ، يمكننا من التوصل الى الاجابة على هذه الاسئلة .

اسرائيل

كانت اول زيارة لى لاسرائيل فى مايو عام ١٩٧٣ تلبية لدعوة الجنرال اسحاق رابين — احد ابطال حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، والذي اصبح فيما بعد أحد أعضاء الوزارة الاسرائيلية — وكان قد سبق له أن زارنا فى قصر الحاكم بولاية « جورجيا » كمبعوث الى واشنطن . وكنت أنا وروزالين مهتمين منذ فترة بالمنطقة من خلال قراءتنا الأسبوعية للكتاب المقدس ، ولذلك فعندما أتاحت لنا الفرصة رحبنا بزيارة اسرائيل التى تعتبر بلدا ديمقراطيا حديثا ومثيرا للاعجاب ، وذلك بعد الانتهاء من مهمة عمل لعدد من البلدان الأوروبية لولاية « جورجيا » .

وباعتبارى حاكما للولاية فقد كنت ضيفا رسميا على جولدا مائير رئيسة الوزراء ، ولكن لم أثقل بالأعباء واعتبرنا هذا الجزء من رحلتنا بمثابة اجازة ، وقد أمدتنا الحكومة الاسرائيلية بسيارة مرسيدس قديمة مجهزة بالأثاث وسائق ومرشد شاب شجعنا على اختيار خط سير رحلتنا .

وثناء اعدادنا للرحلة انغمست أنا وروزالين فى قراءة الخرائط ، واطلعنا على التاريخ القديم والحديث لاسرائيل وكنت موزعا بين متعة زيارة الأماكن المسيحية المقدسة التى كنت أتوق الى رؤيتها منذ كنت طفلا وبين المعلومات التى كان من الواجب أن اعدّها لمستقبلى السياسى . وكانت خططى فى ذلك الوقت معروفة فقط لمجموعة من الناس عندما أعلنت قرشىحى لمنصب رئيس للولايات المتحدة — ولهذا كنت أمامنا سلسلة من الحلول الوسط نختار منها ما يحلو لنا لقضاء الأيام الثمينة فى اسرائيل . وكان يومى يبدأ كل صباح فى منطقة القدس مبكرا . وكنت اتجول قبل شروق الشمس فى انحاء المدينة القديمة ، وكنت أريد أن اراها وهى تعاود نشاطها عندما يتواجد بها عدد قليل من السياح ، وأشعر بعبقها الذى كانت عليه منذ ألفى عام عندما كان المسيح يتجول فى نفس هذه الشوارع ، وقمنا بزيارة الأفران الصغيرة حيث تعد أرغفة الخبز اللذيذ والمقاهى الصغيرة لشرب القهوة ، أو الشاي ، ومراقبة البائعين وهم ينظمون بضائعهم ليشاهدها المارة طوال اليوم . وأجريت احاديث طويلة مع بعض الأثريين الأمريكيين الذين اشتركوا فى اكتشاف مدينة داوود التى وردت فى الكتاب المقدس وهم يسعون الى استكمال مايمكن استكماله من أعمالهم خلال الساعات الأكثر برودة . ووصفوا لى كيف أن حطام المدن القديمة قد رفعت من مستوى الشوارع بمتوسط قدم كل قرن . فقد كانوا يخفرون لمق ثلاثين قدما ، وعرضوا على بعض العملات الرومانية التى يرجع

تاريخها الى عهد الملك سيروودوت والتي عتروا عليها على عمق حوالى ثلاثين قدما تحت الأرض . وهذا جعل الأمور أيسر في فهمنا لماذا كانت مناظر المسدن التي قمنا بزيارتها في القدس وبيت لحم والخليل وأريحا الناصرة (تزارينا) مختلفة كلية عما كنا نتوقعه ، وكانت هذه المدن تبدو مدفونة ومزدحمة وتعج بالحركة التجارية وليست مدنا بدائية وبسيطة كما تصورنا ، وشعرنا فقط عندما رحلنا الى الأماكن المفتوحة وراينا جبل الزيتون ويستان القبر المقدس وقانا الجليل وجبل الكرمل وبحر الجليل وجبل التجلى وكفر ناحوم وبيت صيدا ونهر الأردن ، اننا نشاهد هذه الأماكن كما كانت تبدو في عصر التوراة . وخلال ترحالنا وجدنا ان البلد مسترخية بشكل يثير الدهشة ، وراينا فقط خلال رحلتنا عددا قليلا من الرجال بالزى العسكرى وكانوا في الغالب ينظمون حركة المرور في بعض التقاطعات المزدحمة . كما كانت هناك علاقات بسيطة تربط بين مختلف طبقات الشعب بما في ذلك اليهود والعرب .

وبعد زيارة كنيسة نتافيا والمنازل الموجودة تحت الارض في الناصرة (تزارينا) التي قيل أنها مماثلة للمنازل التي كان يسكنها اليهود ، استمتعنا بدعوات غداء مثيرة وصاخبة الى حد ما مع العمدة المسلم ونائب العمدة المسيحي ومع عمدة الناصرة العليا اليهودي وعدد من أسرهم وأصدقائهم . ولعمدة ساعات تناولنا كميات ضخمة من لحوم الضأن المشوى بأصابعنا وكذلك فاكهة وخضراوات وخبز ، وتناولنا أيضا كميات من المشروبات الروحية وأخيرا القهوة السوداء التي يتم اعدادها بالطريقة المحلية .

وقد أثار فضولنا كيف أن المسؤولين في الناصرة يسهون لزيادة حجم السياحة وتحقيق التقدم الاقتصادي . وبعد الظهر ذهبنا الى مدينة جديدة لمقابلة بعض المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفيتي الذين كانوا يتدفقون بشكل منتظم ، وكان طلاء الشقق الجديدة التي نقلت اليها كل أسرة لم يجف كلية ، وكانت هناك خطة لبناء ثلاثة آلاف وحدة أخرى لاسكان الذين يفدون ، وقال لنا العمدة أن هناك مئات من المصانع حول منطقة الناصرة سوف تتيح فرصة العمل لكل من المقيمين القدامى والجدد . وكانت الهجرة قد زادت بعد نصر اسرائيل الكبير في حرب ١٩٦٧ حيث بلغت أعلى مستوى لها في العام الذي كنا فيه . وقد اشتكى بعض السكان القدامى من المعاملة الخاصة التي يحظى بها القادمون الجدد ولكن هذه الاصوات المعارضة لم تكن منتشرة أو مستمرة ، وتكلمنا مع العديد من المقيمين السوفييت الذين اعربوا عن فخرهم لانهم بدأوا يدرسون اللغة العبرية منذ اليوم الأول لوصولهم الى منازلهم الجديدة . وبعد ذلك قمنا بزيارة بعض المستوطنات (الكيبوتزات) التي تقع بالقرب من بحر الجليل وفي المنطقة التي تقع جنوب صحراء النقب وابلغونا في « ايليت هشناهار »

الواقعة شمال الجليل بأن المستوطنة اليهودية قد أنشئت منذ أربعة وخمسين عاماً ، وباعتبارى مزارعا فقد كنت مهتما بمعرفة زراعة التفاح وقدرتهم على المحافظة عليه في مخازن باردة للبيع منه طوال العام تقريبا ، وكيف أنه يتم حلب أبقارهم ثلاث مرات يوميا (بدلا من مرتين كما هو معتاد) بهدف زيادة الانتاج وبالتالي الارباح . وهذه المستوطنة التى تضم المئات من المواطنين تعتبر كذلك مركزا سياحيا وتستقبل العديد من الزائرين من الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأخرى ، وكان اليوم هو يوم السبت وسألنا اذا كنا نستطيع أن نحضر احدى الصلوات . وفى الوقت المحدد دخلنا المعبد ووقفنا داخله فى هدوء . ولم نجد سوى شخصين يصليان . وعندما سألت عما اذا كان ذلك أمرا مألوفا ابتسم ورشدنا وهز كتفيه معبرا بأن هذا أمرا لا أهمية له . وفى يوم تناولنا غداء من سمك بعلرس فى عين حيفا الواقعة على ساحل بحر الجليل وصعدنا الى مرتفعات الجولان وذهبنا الى مستوطنة ميفوها ، ووجدنا هناك روحا عالية تفوق روح الرواد الأوائل ، وتأثرنا للاخلاص الهادى الذى يميز العائلات الشابة التى تعمل فى الزراعة سويا ويبدو عليهم أنهم يشتركون فى كل شئ ، وكان يبدو عليهم الفخر لعملهم اليدوى الصعب ولعدم تواجد السلع العالمية فى منازلهم . وأخذنا قادة المستوطنة الى المرتفعات العربية الشاهقة المنحدرة التى تطل على الجليل كى نشاهد مكان المدافع التى أقامها واستخدمها السوريون ضد الاسرائيليين خلال حرب ١٩٦٧ ، وتمكنا من هذا المكان المميز من مشاهدة القرى الصغيرة الواقعة على شاطئ البحيرة والمنازل أسفل الوادى والسيارات فى الشوارع والجرارات وهى تحرث الحقول ، وكانوا مكشوفين ومعرضين للهجوم تماما بحيث يمكن قذفهم بحجر من المكان الذى نقف فيه ، وبالطبع يمكن اطلاق صاروخ أو قنبلة عليهم . وكان من الواضح أن السيطرة على هذا الموقع يعتبر أمرا هاما بالنسبة لاسرائيل وأثناء وقوفنا كان الشباب الاسرائيلى يتكلم بحماس متزايد وكأنهم يتحدثون ويتناقشون عن عدو غائب ، وشرح كل فرد من المجموعة الصغيرة من الرجال والنساء كيف كانت اسرائيل محاطة بأعداد اقوياء قرروا تدمير أمتهم الضعيفة ، وقالوا ان الارهابيين الفلسطينيين كانوا يختبئون على طول الحدود ، يساندونهم عرب آخرون ويقومون بغارات متعددة ضد التجمعات الاسرائيلية غير المحمية . وكان السوريون على وجه الخصوص يسعون الى تشكيل كتلة متحدة من الدول العربية بهدف القضاء على اسرائيل فى البحر وكانت قوة اسرائيل تختبر يوما تلك القوة التى يجب الا تفقدها .

وأخبرنا مضيفونا الاسرائيليون بفخر أن المستوطنات مثل مستوطنتهم هذه أنشأت مزارع منتجة من الاراضى الصحراوية فى الاراضى العربية المحتلة الأخرى مما يساعد على تدعيم الاقتصاد الاسرائيلى . وقالوا ان الزراعة كانت أهم صناعة اسرائيلية وخاصة فى مجال البرتقال ، ويلعبها فقط عمليات صقل المناس

الذى يصدر على نطاق واسع ، واخذوا عهدا ان يقوموا بعملهم ولا يستأجرون
اى مساعدين . وهذا جانب مثير من روح اسرائيل . ولم يكن هناك عسدد
كبير من المستوطنين فى الاراضى المحتلة ولكن هؤلاء الناس اقتنعوا بأن مستوطناتهم
لها قيمتها سواء من الناحية الاقتصادية أو العسكرية ، وقرروا البقاء فيها
وأوضحوا لنا بأنهم لن يسمحوا بوجود أسلحة للعدو تطلق نيرانها من هذه
المنحدرات مرة أخرى . ولكى احصل على فهم أفضل لقدرة اسرائيل العسكرية
فقد طلبت رؤية بعض المرافق البحرية — والاطلاع على برامج التدريب التى
يتم وضعها للجيش المدنى ، والحصول بقدر الامكان على ملخص شامل
لقوة اسرائيل بالنسبة لجيرانها العرب . وقمنا بزيارة جبل الكرمل لنرى اين
كان النبى ايليا يقوم باظهار قوة الدب المعجزة أمام الملك اخاب ، وكذا انبياء
البعل (الملوك المحليون عند الكنعانيين والفينيقيين) . ثم نزلنا الى القاعدة
البحرية بحيفا وقمنا برحلة بحرية على ظهر أحد زوارق المسوارىخ ، وكان
مضيفونا فخورين للغاية لان هذه الزوارق قد تم خطفها بطريقة خفية من
الفرنسيين فى شيربورج بالرغم من فرض حظر بيع الاسلحة لاسرائيل بعد
حرب ١٩٦٧ وكانت هذه الزوارق سريعة وفعالة كما ان جزءا كبيرا من اطقمها
من النساء .

ومن شاطئ البحر اتجهنا شرقا ، ثم جنوبا الى الضفة الغربية على
مقربة شديدة من نهر الاردن . فلقد قرانا كثيرا عن هذا النهر ودرسنا
وقمنا له ، ولهذا كنا نتصوره مجرى قويا له تيارات شديدة ومواصفات
سحرية ، ولقد أصبنا بالدهشة عندما شاهدناه فلم يكن فى الواقع فى
اتساع العديد من الروافد التى تجرى فى انهار اصغر فى جورجيا ، وكان
طبيعيًا ان يكون المجرى صغيرا وعلمنا ان كثيرا من مياه النهر تم تحويلها
الى اراضى اسرائيل ، وكان هذا هو السبب الاول الذى ادى الى العسداء
بين اسرائيل وجيرانها . واثناء ذهابنا الى الجنوب ابعدنا سلك شائك وعوائق
طريق على شاطئ النهر وعن منطقة أمن ضيقة نسبيا ، ولكن تمكنا من ان
نرى نهر الاردن من بعد . وعند جسر اللنبي بجوار اريحا لاحظنا لفترة
سيلا من البشر يتحرك ذهابا وايابا بين الدولتين . وابلغنا المسئولون
الاسرائيليون انه يتم نوع من التفتيش الأمنى الروتينى عند عبور النهر ،
وقالوا انه خلال السنوات الثلاث الأخيرة زار أكثر من ثلاث أرباع المليون
من العرب اسرائيل بشكل شرعى ، وقال أحد الحراس وهو يغمر بعينه بأنه
يمكنهم تقدير عدد الزوار غير الشرعيين الذين زاروها ، ولكن بعضهم ، مشيرا
الى الارهابيين الذين تم القبض عليهم ، لم يستطع العودة الى وطنهم
فى الأردن .

وفى بيت ايل التى تقع على بعد اميال قليلة من القدس ولا تزال
واقعة فى الاراضى المحتلة حضرنا حفل تخرج فى معسكر لتدريب الجنود

الاسرائيليين ، ولكن هذا المرفق يستخدمه الاردنيون لنفس الغرض قبيل حرب الأيام الستة ، وقال القائد الذى تلقى تدريبه الأساسى فى الأسطول الأمريكى ، أنه استخدم بعض التقنيات المشاقة للغاية لتطوير القدرات الجسمانية والعقلية لقواته ، كما أن هذا القائد قد أتم لفترة قصيرة فى قاعدة عسكرية بالقرب من منزلنا فى جورجيا ، وعند توزيع الجوائز طلب منى المشاركة فى احتفالات التخرج ، وكان الجنود يقفون بصلابة وانتباه خلال المناداة على أسمائهم فردا فردا ، وأثناء المناداة على كل خريج كان يتقدم بخطى سريعة الى منصة الاحتفال ليسلمه القائد شهادة التخرج ، أما أنا فكنيت أقدم له « سيف الروح » — وهو التوراة .

وكانت آخر زيارة عسكرية لنا مع الميجور الياهو زئير رئيس المخابرات العسكرية الذى وصف لنا بالصور والخرائط والرسوم البيانية التنظيم البديع للدبابات والطائرات العربية التى تم تعبئتها ضد اسرائيل ، وأعرب عن الحاجة لشحنات أسلحة أكثر من الولايات المتحدة . ولكنه هو وغيره من القادة العسكريين كان لديهم روح من الثقة المتناهية ، وقالوا أنه رغم أن خمسة فى المائة من القوات الاسرائيلية تظل فى الخدمة ، فإن جهاز المخابرات العسكرية ممتاز ويتم تعبئة الجيش فى فترة قصيرة (خلال خمسة شهور فى يوم عيد الغفران اصيبوا بصدمة نتيجة الهجوم المباغت من جانب مصر وسوريا) .

وتحدثت بصيغة شخصية مع بعض أعضاء الحكومة الاسرائيلية ، ووجهوا لنا دعوة لحضور مناقشة مسائية فى قاعة اجتماعات كبيرة . وكانت جولدا مائير رئيسة الوزراء وغيرها من الزعماء العسكريين والسياسيين يحدد مناقشة بعض الموضوعات الموجهة من الحكومة ليسمعهما عدد كبير من مستمعى الاذاعة . ولاحظت لافتات بعدم التدخين حول القاعة الامر الذى التزم به الجميع باستثناء رئيسة الوزراء ، ولكن مرشدنا قال شارحا لقد كان أماننا أن نختار اما عدم وضع لافتات بعدم التدخين الامر الذى يسمح لكل فرد أن يدخن ، أو وضع اللافتات والتغاضى عن شخص واحد يدخن ، وقررنا أن تدخين شخص واحد فقط لن يكون أمرا بالغ السوء .

واستمعنا باعجاب لأبا اييان وحاييم بارليف واسحاق رابين الذين كانوا يتحدثون باللغة الانجليزية ، وكان الجو العام يتسم بالمرح ويدل على التوفيق والتقدم وسجلت بعض التعليقات العامة والخاصة التى تشير الى الموقف السائدة فى ربيع عام ١٩٧٣ ، مثل : « الولايات المتحدة هى صديقنا الهام الوحيد » . « الروس يرغبون حاليا تحقيق السلام فى الشرق الاوسط لانهم لا يستطيعون مواجهة أية هزيمة كبرى أخرى لحلفائهم العرب » . « الأوربيون قلقون على الأمور الاقتصادية وتعتبر فرنسا عدوا لنا فى دول

السوق الأوروبية المشتركة . فهي ملتزمة تجاه أى خطأ » . « بالرغم من أننا نقوم بعمليات تجارية واسعة هناك ونشتري الماس من أجل صناعة المجوهرات ، فإن جنوب أفريقيا لا يمكن أن يستمر الحال فيها كما هو عليه الآن » .

وبخصوص مسألة الإبقاء على جزء كبير من الضفة الغربية يقول التعليق : « ان مساحة امتنا مزحمة للغاية والتقسيم أمر مرغوب فيه ، والعرب يتعارضون معنا وليس لهم ولاء للعلم الاسرائيلى . كما ان الاسرائيليين العرب أكثر الجماعات تزايدا فى الأرض . فهم يمثلون الآن ٣٥ فى المائة من سكان الضفة الغربية وسيزداد عددهم الى أكثر من نصف عدد السكان » . « لا ينبغي على أحد ان يخشى العرب فقد هزموا هزائم منكرة وسوف يلتهمون السلام » .

« ان سلاح البترول العربى لا يعتبر تهديدا حقيقيا انهم فى حاجة الى دولارات أكثر من حاجة العالم الى بترولهم » .

« اسرائيل تحصل على ٩٠ فى المائة من احتياجاتها البترولية من سيئاء وايران ، وليس لدينا أية مشاكل فى الحصول على وقود كاف » . « ان نيكسون لم يخل أبدا بتعهداته ، ولكن ربما نصوت لصالح السيناتور سكوب جاكسون » . وعندما سئلوا لماذا لا يعتمد الاسرائيليون بشكل أكبر على الأمم المتحدة فى عرض مشاكلهم أجابوا « سنتجه الى الأمم المتحدة اذا كانت هناك تسع وثلاثون دولة يهودية ودولة عربية واحدة » .

واختتمت اقامتى أنا وروزالين فى اسرائيل بزيارة رئيسة الوزراء جولدا مائير لشكرها على ما قدمته دولتها من كرم الضيافة ، ولم تكن مشغولة ذلك الصباح بأعباء الدولة ولهذا مكثنا معها فترة طويلة . وعندما سألنا عما اذا كانت هناك أية مسائل تشغلنا ، أجبت ان هناك مسألة ذات طبيعة دينية ترددت فى ذكرها خاصة انى أعلم انها ولدت فى أمريكا وأنها سواء هى أول الاعضاء البارزين فى وزارتها كانوا معروفين بأنهم يهود غير متمسكين بدينهم . وشجعتنى رئيسة الوزراء بابتسامة علت وجهها على الاسترسال ، ثم أخبرتها عن قداس السبت فى ايليت هاشاهر وغيباب الاهتمام الدينى بين الاسرائيليين ، فعلقته على ذلك بقولها : انه فى عصر التوراة كان الاسرائيليون يفتخرون عندما كانوا مرتبطين بالرب وهزموا عندما لم يخلصوا له . وضحكت بصوت عال ووافقتنى ، ولكنها أضافت أن هذا الأمر لا يعنىها لان هناك من المؤكد عددا لا بأس به من اليهود المتشددىين . وكانت تشير بذلك الى اليهود المتدينين فى البرلمان الاسرائيلى الذين يعتبرون فى بعض الاحيان بمثابة شوكة فى جانبها . وأضافت قائلة : « اذا حضرت دورة للكنيست

فانك ستراهم وهم يعملون وستعرف أنهم لم يفقدوا ايمانهم » ومع نظمهم اسرائيل الانتخابى الذى يحتاج الى تحالف الاحزاب لتشكيل الاغلبية الحاكمة فان احزاب الاقلية الدينية لها تأثير يفوق قوتهم العددية . ولم أدركهما لم تدرك السيدة مائير ذلك وقتئذ ، ولكن عضوا من احد احزاب الاقلية الكبيرة قدر له أن يلعب دورا رئيسيا فى تاريخ بلدها ، وان كثيرا من قوته السياسية كانت قد نبعت من معتقداته الاساسية التى تركز على تفسير جامد للكتاب المقدس . وكان مناحم بيجين قد شغل عام ١٩٧٣ منصب رئيس حزب حيروت الذى كان يشغل ٢٢ فى المائة فقط من مقاعد الكنيست . وخلال أربع سنوات شغل منصب رئيس وزراء اسرائيل وبعد فترة سألت مائير عما اذا كان هناك آخرون فى صحبتنا ، فأخبرناها بأنه يوجد سكرتيرى الصحفى « جودى بويل » واحد رجال شرطة ولاية جورجيا وهما ينتظران فى الخارج وانهما يرغبان بشدة فى مقابلتها وعندئذ دعتهما للدخول ، واثناء زيارتنا كانت السيدة مائير تدخن باستمرار ، وأخيرا لاحظت أن جودى ينظر بنهم شديد الى سيجارتها ، فقدمت له سيجارة وأخذها جودى فى خجل مشيرا بقوله : « هذه أول مرة أحصل فيها على سيجارة من رئيس وزراء » . وأشارت الى عدم وجود التحذير الخاص بأن التدخين ضار للصحة على علبة السجائر ، وقالت « سوف تلاحظ ايها الشاب أن سجائر شبيسترفيلد ليست خطيرة على صحتك فى اسرائيل » .

وعلى الرغم من أننا سمعنا أنباء عن معارك جوية بين اسرائيل ومصر فوق سيناء (وكنا نخشى أن يحد ذلك من تحركاتنا) الا أننا وجدنا اسرائيل تنعم بالامن واعتداد بالنفس والرفاهية والثقة والانسجام ، وتركنا الشرق الاوسط ونحن مقتنعون بأن قوات اسرائيل العسكرية لا يمكن قهرها ، وانها يجب ان تظل قوية للدفاع عن هذه الدولة الصغيرة ضد جيرانها العرب . ولم نقم بزيارة أية دولة عربية أو أى اتصال شخصى مع الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة .

وفى ذلك الوقت لم يكن يراود الامريكيون أية تساؤلات يصعب الاجابة عليها . فالاسرائيليون هم المسيطرون ، والعرب خاضعون لهم ، والوضع السياسى والعسكرى يبدو أنه سيظل ثابتا بشكل دائم . ولكن فى القاهرة ودمشق وربما فى موسكو كانت الخطط السرية للحرب قد أصبحت فى طريقها للتنفيذ .

وبالنسبة لى كان لا يمكن الاقتراب أو دخول اسرائيل بدون التفكير أولا فى الكتاب المقدس وفى تاريخ الارض وشعبها . وكانت الاسماء والصور تعتبر جزءا لا يتجزأ من حياتى باعتبارى مسيحيا . ولكن كثيرا منها حملت

مغزى جديدا ومختلفا كلية عندما أصبحت رئيسا للولايات المتحدة واشتركت في مفاوضات حياة أو موت لحل بعض من مشاكل القرن العشرين . ومن النادر فعسلا أن نجد الماضى السحيق يتداخل مع الحاضر المعاصر ليس فحسب بالنسبة للمؤرخين ورجال الدين في فصولهم وفي دراساتهم بل أيضا بالنسبة لرجل الدولة في قاعات الحكومة وبالنسبة للمقاتلة العسكريين في ميادين القتال .

وفي اسرائيل تعتبر دراسة الكتاب المقدس لها معنى واحد وهو ان أى تفسير له يلعب دورا أساسيا ، فهو يوضح الحياة الدنيوية للامة . وعلى الرغم من أن غالبية الاسرائيليين ليسوا متدينين بشكل خاص فان كثيرا من الذين التحقوا بالاحزاب السياسية كانوا يطالبون بتحقيق ائتلاف حكومى يصدق على بعض الممارسات الدينية مقابل الحصول على مساندتهم . وتجرى مناقشة المعتقدات الدينية في الكنيسة بانفعال شديد فى أغلب الاحوال والحكومات يمكن أن تبقى أو تسقط بسبب الولاء السياسى لعدد قليل من الممثلين المنتخبين الذين يحصرون اهتمامهم حول تفسير ضيق للكتاب المقدس . والاتجاه الحديث للجماعات الدينية هو وضع تمييز حاد بينهم وبين الاحزاب الرئيسية ، وان يظهروا بشكل أكثر وطنية وأكثر تشددا ، كما أن الاقليات الأكثر محافظة تأخذ موقفا مضادا ، فترى أن اقامة النظام المدنى لدولة اسرائيل يعتبر خرقا لأوامر الله ، أن اسرائيل هى بؤرة للجلد الدينى المعنيف ، ولكن يهود العديد من الامم الاخرى يراقبون جيدا ما يجرى فى اسرائيل ، وفى بعض الاحيان يتورطون مباشرة فى هذه المناقشات ، ومع ذلك فان أية خلافات بينهم حول هذه الموضوعات أو قضايا أخرى يتم التجاوز عنها بشكل كبير من أجل توحيد تأييدهم لاسرائيل ، فمن بين الاربعة عشر مليونا من اليهود فى العالم يعيش حوالى ستة ملايين فى الولايات المتحدة وربما يعيش من ٢ الى ٣ مليون فى الاتحاد السوفيتى و ٥٣ مليون فى اسرائيل . ويوجد حوالى نصف مليون يهودى فى كل من بريطانيا وفرنسا ، وأكثر من ذلك بقليل فى أمريكا اللاتينية . والباقى موزع بين عديد من الامم المختلفة . وهذا الوضع يقدم مساندة قوية لاسرائيل فى عديد من الاماكن لأنه بصرف النظر عن جنسية اليهود فانهم فى مختلف العالم يقدمون لاسرائيل وسائل الحياة والرخاء ، مع وجود استثناءات قليلة لهذا الوضع . واليهود يعلمون جيدا أن أربعة ملايين فلسطينى يساندوهم مائة مليون مسلم منتشرون فى كل مكان وأصدقاء وحلفاء للدول العربية ، يطالبون بحقوقهم فى اقامة وطن لهم على نفس الارض . وهذا الوضع يعتبر أمرا مخيفا للذين كرسوا أنفسهم من أجل المحافظة على رخاء تلك الدول الصغيرة وتوصلوا الى أن الصراع الموروث له جذور عميقة ولا يمكن التسامح عنه فى الغالب ، فالعديد من اليهود والفلسطينيين يصفون أنفسهم بأفضل الصفات ، بينما يصمون بعضهم البعض اما بالامبريالية أو بالارهاب ولا يمكن استبعاد القوتين العظيمين من هذا التحيز العدائى ، فالولايات المتحدة تعطى

مساندة قوية للإسرائيليين ، والاتحاد السوفيتي يسعى بكل الوسائل الى زيادة تدعيم علاقاته مع شعوب العالم العربي .

وثمة أوجه تشابه وخلاف بين اليهود والعرب الفلسطينيين . فمنذ عهد الملك داوود ظل مفهوم الدولة اليهودية حيا - حتى بالرغم من أن الشعب اليهودي قد تشتت بين دول العالم . وظلت قلة قليلة منهم تعيش في فلسطين تحت حكم العديد من الغزاة . واستمر المسيحيون والعرب المسلمون في المعيشة معا على نفس هذه الأرض ولكن دون أي أمل أو حتى مجرد تفكير في إقامة دولة مستقلة ، ولكن اهتمامهم ينصب على الاسرة والقبيلة ، وبالنسبة للمسلمين كان اهتمامهم ينصب على عالم الاسلام الرحب . وبدأت تظهر أفكار قوية بخصوص القومية بين العرب خلال الخمسين عاما الماضية ، عندما شاهدوا الصهاينة يهاجرون الى فلسطين ويشترون الاراضي لاقامة مساكن دائمة لهم . وفي نضالهم من أجل تقرير المصير الذي سالت فيه الدماء أحيانا ، عاش اليهود والعرب كجيران غير متحابين تحت السيطرة البريطانية وحتى بعد الحرب العالمية الثانية وإقامة دولة اسرائيل .

وعندما وصلت الى الشرق الاوسط كنت أشعر بانطباع ملح يتلخص في وجود خلاف في مدى مشاركة الشعب في تشكيل السياسة الوطنية ، ففي بعض الدول العربية التي تخضع لأعنف نظام ديكتاتوري فإنه من الصعب ملاحظة تعبيرات الرأي الحر بين الأشخاص العاديين حتى بين كبار التجار والصحفيين والطلبة في الجامعات . ولكن في اسرائيل فقط حيث تسود الديمقراطية وعدم وضع أية قيود على حرية التعبير فإن أي شخص يمكنه أن يسمع آراء متعددة حول الخلافات بين الفلسطينيين والعرب الآخرين والإسرائيليين وغالبا بين الإسرائيليين والزوار البارزين .

ففي شهر مارس ١٩٧٩ بعد أن زرت مصر وذهبت الى اسرائيل للتوصل الى اتفاقية سلام بين البلدين ، طلب مني أن أقف عند مدخل القدس لأتلقى الترحيب الرسمي من العمدة تيدي كليك ورئيس حاخامات المدينة ، وعندما اقتربنا من المنصة أبلغني ضابط الامن الاسرائيلي أنه من المحتمل أن يتم قذفى بالببيض والخضروات من بعض المتظاهرين الذين يعارضون اجراءات السلام ، وقال انه توجد مظلات سوف تفتح لحمايتي اذا استدعى الامر . وعندما خرجنا من السيارة رفعت يدي لتحية الجماهير الغفيرة الواقفة عبر الطريق . وكانوا بعيدين بدرجة لا تسمح بوصول أي شيء الى مكاني ، وكان البعض منهم يبدو عليه الغضب الى حد ما . وكان هناك عدد كبير من اللافتات أغلبها مكتوب باللغة الانجليزية ولكن لم تصدر أية أصوات من الواقفين ، وكان أبرز هذه اللافتات تلك المكتوب عليها

العبارات التالية : « أهلا بشقيق بيلي » . وضحك جميع الأمريكيين وزال التوتر واكلنا خبزا وملحا كما جرت العادة في مثل هذا الاحتفال دون اية احداث واتجهت بعد ذلك الى مقابلة رئيس الوزراء .

وفي زيارة اخرى عندما القيت خطابا في الكنيست ، كان بمثابة صدمة لي ان لاحظ درجة الحرية المسموحة لاعضاء البرلمان بطريقتهم غير المنظمة نسبيا في تبادل الآراء . وعلى الرغم من اننى انهيت ملاحظاتي بقليل من المقاطعة ، فقد كان من المستحيل سواء بالنسبة لرئيس الوزراء أو زعيم المعارضة ان يتحدثا . وبدلا من ان يشهر رئيس الوزراء بيجين بالصرخ بسبب المقاطعات المستمرة وبسبب ابعاده بواسطة احد أعضاء المجلس ، فقد كان يبدو عليه التلذذ من هذه المعركة الكلامية ، وأعرب عن نخره بسبب وجهات النظر الصاخبة دون تحفظ . وخلال جلسة خاصة لتوجيه اللوم الى رئيس الوزراء مال على وقال فخورا : « هذه هي الديمقراطية في مجال التطبيق » . ومع وجود بعض الاستثناءات احيانا بسبب الرقابة العسكرية فان حرية التعبير تسود جميع وسائل الاعلام ، وهناك رغبة مأموسة في الاحاديث الخاصة التي تجرى في اسرائيل لاكتشاف كل مظهر من مظاهر الحياة السياسية الداخلية والدواية . وبين بعض العرب الاسرائيليين فقط توجد قيود على حرية التعبير بسبب الشك الطبيعي نحو جماعة دسفير ليس لديها وضع سياسى قوى ومستقل . وكذلك هناك قيود صارمة مفروضة على النشاط السياسى للعرب الفلسطينيين في الاراضى المحتلة .

وعلى الرغم من ظهور خلافات جوهرية بين زعماء الاحزاب السياسية المعارضة أثناء المناقشات الاسرائيلية فان هذه الخلافات تذوب وتصبح غير ذات موضوع نسبيا عندما يتعلق الامر بأمن اسرائيل .

وهكذا فان اليهود يتسمون بوحدة الصف والديانة المشتركة والتاريخ الواحد وذكريات المعاناة الرهيبة — الامر الذى جمعهم في قوة وتحالف لا مثيل له في الشرق الاوسط وربما في أى مكان في العالم .

وعند تقدير مواقف الاسرائيليين تجاه منطقتهم ومستقبلها فليس هناك مجال لاي انسان مفكر أن يتجاهل تجربة اليهود في الماضي . فاليهود عانوا لعدة قرون من آلام الشتات وواجهوا التمييز العنصرى في كل دولة عاشوا فيها .

نفى أوروبا بالرغم من مساهمات اليهود المأموسة للجميع سواء في مجال الاجتماع أو العلوم أو التنمية الاقتصادية للمجتمعات فان العديد من اليهود قتلوا وطرد غيرهم من مكان الى آخر بفعل الحكام المسيحيين . وبالرغم من أن المسيحيين واليهود لم يحصلوا على نفس الحقوق كالمسلمين ،

فان الذين ظلوا في منطقة الشرق الاوسط الاسلامية كأقلية قد عوملوا بطريقة أفضل من غير المسيحيين في الدول المسيحية وذلك لان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أمر أتباعه بالاعتراف باليهودية والمسيحية باعتبارهما أصل معتقداتهم ، كما أمرهم بتكريم أنبيائهم وحماية معتقداتهم . وفي النهاية جاء الى غرب أوروبا حكم أكثر مساحة بحرية عصر النهضة في القرن التاسع عشر ، وتعرضت الهمة النيرة لليهود المشددين لخطر عندا بدأوا يفقدون تماسكهم الذي جاء نتيجة لتقسيم والاضطهاد ؛ وبدأوا يتبعون الاندماج في المجتمعات المسيحية والحياة الاجتماعية في ذلك الوقت . ولكن حوالي ثلاثة أرباع اليهود كانوا يعيشون في دول أوروبا الشرقية حيث استمرت معاناتهم ، وهناك ذوات تدور الصهيونية وترفع . وبالرغم من أن غالبية المهاجرين الأوروبيين ذهبوا الى الولايات المتحدة فقد تردد المزيد من الأصوات التي تطالب باقامة دولة يهودية في وطنهم القديم وذلك من أجل الهروب من مضطهديهم ، وتلبية لتعاليم الكتاب المقدس . وفي عام ١٨٨٠ لم يكن هناك سوى ٣٠ ألف يهودي في فلسطين مبعثرين بين ٦٠٠٠٠٠ من العرب المسلمين والمسيحيين ، ولكن منذ ذلك الحين فان كل مرحلة من مراحل الاضطهاد في أوروبا جاءت ومعها موجة من المستوطنين الصهاينة . ووصلت موجة كبيرة الى فلسطين في ثمانينات القرن التاسع عشر قبل وبعد الحرب العالمية الاولى ، ومرة أخرى في أواخر عشرينات القرن العشرين . وفي عام ١٩٣ زاد عددهم الى أكثر من ١٥٠ ألف وتضاعف هذا الرقم وزيادة خلال العشر سنوات التالية . وأصبح العرب في فلسطين أكثر انزعاجا وخوفا . فانهضوا سياسيا وعسكريا ضد هؤلاء المستوطنين الجدد الذين يعيشون بينهم ولكن بخلاف هذه القضية لم يتوصلوا الى اتفاق بينهم . وبعد الحرب العالمية الأولى تم اقتراح عدة خطط مختلفة تستهدف حل الخلافات بين اليهود والعرب ولكن كانت ترفض من جانب أو آخر وغالبا من الطرفين وسعى البريطانيون الذين ورثوا الحكم من الاتراك العثمانيين في فلسطين الى الحد من الخصومات الدموية بين الطرفين بالحد من هجرة اليهود الى الارض المقدسة ، بالرغم من الإدعاءات البائسة من الذين واجهوا تهديدا وتفرقة عنصرية في أوروبا .

وبعد ذلك جاءت الإبادة المزعومة التي لا يمكن وصفها ، والتي قبلها أو تجاهلها في ذلك الوقت من شعوب الارض في الدول المتقدمة بما في ذلك الولايات المتحدة . وعندما أثرت الحقائق بوضوح كبير على وعي المجتمع الدولي التي جرحت مشاعره بشدة ، اتخذ اجراء أوصل جهود الحركة الصهيونية لاستميتة ، بلا كلل ، الى تشكيل دولة اسرائيل . وقد توج هذا حلم اليهود الذي لا نهاية له وهو الاقامة والعيش في كنف حكومة يتم اختيارها بأنفسهم في وطنهم الديني . وكان الانتصار على الخلافات التي لم يكن

من الممكن تجاوزها ، وما بقى من ذكريات عن التاريخ المأساوى قد شكل وصيغ موقف العالم اليهودى ، علاوة على أن ضعف وعزلة إسرائيل وحرمانها من حلفاء أقوياء ووجودها وسط أعداء من العرب لاسبيل الى تغييرهم قد حول الوعد بوجود دولة الى دفاع مستميت بالرغم من التضحيات السياسية والاقتصادية التى قد تحتاجها مثل هذه الظروف .

وقد حظى قرار التقسيم النهائى الذى أصدرته الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ على رضا غالبية اليهود ، ولكن القوات العربية عارضت أى اغتصاب شرعى لأى من الأراضى التى عاث فيها الفلسطينيون منذ قرون عديدة . وبدأ العرب الفلسطينيون فى تكثيف هجماتهم المسلحة ضد اليهود ونشبت حروب ضارية بين الجيران ، وفى العام اللاحق — فى شهر مايو — انسحبت القوات البريطانية وأعلنت إسرائيل أنها دولة مستقلة . وهنا انضمت قوات عربية تمثل مصر ولبنان وسوريا وشرق الأردن والعراق الى الفلسطينيين فى مهاجمة الدولة الجديدة .

وكانت بعض القوات العربية ، شأنها شأن الاسرائيليين ، قد حاربت مع الحلفاء ضد قوات المحور ، وحصلوا على أسلحة من سادتهم الأوروبيين ، كما أن بعضهم قد تم تدريبه تدريباً جيداً . ومع ذلك فإن المصريين والسوريين واللبنانيين والعراقيين كانوا يناضلون من أجل إقامة حكومات قادرة على البقاء ، وكما أنهم كانوا لا يزالون منقسمين على أنفسهم ، وكانت قواتهم الوطنية المجزأة غير منظمة تنظيمياً جيداً ، وكان هناك بعض الشك حول أهدافهم المحددة . وبإستثناء الأردن فإن حكومات جيران إسرائيل قد مزقتها الانقسام وسقط العديد منها سواء عن طريق الانقلابات أو الثورات .

أما اليهود فقد كانوا على عكس هذا يحاربون من أجل بقائهم ومن أجل استمرار وجود دولتهم الجديدة ، كما أن قواتهم كانت متماسكة وأفضل تدريباً وأفضل قيادة وتتمتع بروح معنوية عالية . وتمكن الاسرائيليون بمساعدة السوفييت من الحصول على أسلحة حديثة من تشيكوسلوفاكيا ساعدتهم على الانتصار فى نهاية الأمر .

وانتهت الحرب عام ١٩٤٩ بعقد الهدنة بين إسرائيل وبين الدول التى تجاورها ولعبت المراق البعيدة على حدود إسرائيل دوراً صغيراً فى المعركة ، ولم تزعج نفسها بالاشتراك فى مفاوضات الهدنة .

وكان من أهم العناصر البارزة فى الوثائق التى تم التوقيع عليها عام ١٩٤٩ هو قبول إسرائيل لبدأ تقسيم فلسطين والاتفاق على إشراف

الملك الأردني عبدالله على ما هو معروف باسم الضفة الغربية . وكان الفلسطينيين في ذاك الوقت غير قادرين على تشكيل دولة مستقلة ، كما أن الأردنيين كانوا يرغبون في الحصول على أكبر مساحة ممكنة من الضفة الغربية لنهر الاردن ، ولهذا لم يكن هناك أى اعتبار جاد لاقامة دولة مستقلة للفلسطينيين في حين أن رغبتهم في ايجاد وطن لهم قد توزعت بين الاردن واسرائيل ومصر .

ودفعت حالة الحرب بين الاسرائيليين والعرب الى فرار العديد من اليهود من الدول الى اسرائيل . وفي نفس الوقت فان اللاجئين الفلسطينيين من اسرائيل والضفة الغربية قد تبعثروا بصورة أوسع في أنحاء الدول الضعيفة . وشن الفلسطينيون من كل ناحية حرب العصابات لانهاك الاسرائيليين سيطرت الدول الأوروبية على القناة ، واجبار المصريين على الاعتراف باسرائيل دبلوماسيا . وكانت الاضربة العسكرية في مواجهة دفاعات جمال عبد الناصر غير المؤثرة ناجحة ، ولكن قيام كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بجهود قوية في الامم المتحدة ، بالإضافة الى الضغط السياسى الدولى — أجبر الفزاة على الانسحاب . ومع ذلك نجحت اسرائيل في الحصول على ضمانات من الامم المتحدة بنزع سلاح أجزاء كبيرة من سيناء مع تواجد قوات حفظ السلام الدولى وكذلك حقها في الملاحة من خلال مضائق تيران . وعرف العرب من هذه الحرب أن اسرائيل لن تتردد في استخدام قواتها العسكرية لضمان أمن حدودها وحماية نفسها . كما أن حرب السويس عمقت كذلك مفهومهم تجاه اسرائيل باعتبارها قوة غربية في منطقتهم لاتزال تساندها القوى الاستعمارية في الغرب .

وباستثناء بعض غارات الحدود المتقطعة فان السنوات العشر التالية اتسمت بسلام نسبي ، ولكن أصبح واضحا أن كلا الجانبين يعدان لحرب أخرى . وكانت اسرائيل ومصر تتسلحان بأقصى سرعة ممكنة وتقومان بمناورات عسكرية من حين الى آخر ، وخلقت الكراهية التى يكنها الشعبان تجاه بعضهما اعتقادا بأن الحرب لا يمكن تجنبها .

وأخيرا وفي عام ١٩٦٧ طرد الرئيس جمال عبد الناصر قوات الطوارئ الدولية التابعة للامم المتحدة وأعاد تسليح سيناء المصرية وفرض حصارا على الملاحة الاسرائيلية في مضائق تيران .

وكانت هذه التصرفات بمثابة ضربة قوية للاقتصاد الاسرائيلى وتهديد عسكري لا يمكن تجاهله . وبشكل عام اعترف الطرفان بوضوح بأن هذه التصرفات كانت مبررا للحرب .

وبالرغم من الجهود المضنية التى بذلتها كل من الامم المتحدة والولايات المتحدة وغيرها من الدول العربية من أجل منع نشوب معارك جديدة

مان محتومة :الاسرائيلية قررت في الايام الاولى من شهر يونيو شن هجوم
سد كل من سوريا ومصر ، ونشبت الحرب ، وبالرغم من تحذيرات اسرائيل
لحسين فان القوات الاردنية هاجمت اسرائيل ، وخلال ستة ايام حققت القوات
الجوية والبرية الاسرائيلية نصرا بشكل يفوق كل التصورات ، فقد اتجهت
القوات الاسرائيلية غربا عن طريق قطاع غزة وصحراء سيناء الى قناة
السويس وشرقا لاحتلال الضفة الغربية وشمالا للاستيلاء على مرتفعات
انجلان وبهذا النصر المذهل عم شعور من الفخر والنشوة جميع أرجاء
اسرائيل . ومع ذلك كان هناك رد فعل دولي عنيف وظهرت اتجاهات
جديدة للمعارضة والتأييد ، فقطع السوفييت علاقاتهم الدبلوماسية مع
اسرائيل وعرضوا تقديم مساعدات غير محدودة للعرب . كذلك فان العلاقات
القوية بين اسرائيل وبعض الدول الاوروبية الصديقة قد اهتزت بشكل
لايس خاصة ان العديد من هذه الدول انضم الى اداة التوسع الاسرائيلي
في الاراضي العربية . وفي الوقت نفسه فان مساندة الولايات المتحدة لاسرائيل
زادت ، كما زادت المعونة العسكرية والمالية لها خلال الفترة اللاحقة .

وداخل اسرائيل نفسها كانت هناك معارضة قوية لاعادة الاراضي
المحتلة ، ولكن كان الاتجاه السائد بين الزعماء الاسرائيليين يكمن في الحفاظ
على هذه الاراضي المحتلة باستثناء بعض الاجزاء التي ما زالت غير محددة
من الضفة الغربية ، والمقايضة عليها في مقابل تحقيق سلام آمن مع العرب .

وادت الجهود التي بذلت في اسرائيل للاعداد لاستبدال الارض مقابل
السلام الى ظهور اتجاهات سياسية أصبحت لها أهمية متزايدة في السنوات
التالية . وكان أشهر مشروع هو الذي أعده ايجال آلون ، أحد
ابطال الحرب وعضو الحكومة الاسرائيلية ، فقد اقترح آلون احتفاظ
اسرائيل بشريط من الارض يكاد يكون غير أهل بالسكان من الضفة الغربية
يقع خلف نهر الاردن واقامة تحصينات ومستوطنات لتكون بمثابة خط دفاعي
ضد أي هجوم محتمل قادم من الشرق . واحتفاظ العرب بالمناطق الشمالية
والجنوبية من التندس المكتظة بالفلسطينيين باعتبارها جزءا من الاردن ويتم
اتصالها بالاردن جغرافيا عن طريق مصر من خلال منطقة محيطة بأريحا .
وإدان مناحم بيجين هذا المشروع بشدة ، وفرر بيجين الذي أصبح زعيما
للمعارضة وعضوا في الكنيست وغيره الاحتفاظ بكل اراضي الضفة الغربية
باعتبارها جزءا من اسرائيل . كذلك فان الملك حسين رفض أي مشروع لتقسيم
الضفة الغربية . والواقع ان جميع الدول العربية المجاورة لاسرائيل رفضت
التفاوض على أساس شروط اسرائيل ، واستمر المصريون خلال الشهور
اللاحقة في ضرب القوات الاسرائيلية في سيناء ، وقامت الطائرات الاسرائيلية
بالرد على ذلك بشن غارات على القاهرة وغيرها من المدن .

ومنذ زود السوفييت المصريين بأسلحة مضادة للطائرات بل انهم نشروا
مظلة من بعض طائراتهم المقتلة لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ولكنهم بذلك
لم يؤثروا كثيرا في ضربات اسرئيل الانتقامية في عمق مصر .

وفي الوقت نفسه استمر رجال العصابات الفلسطينيين وخاصة في الاردن
الذين شجعتهم دول عربية اخرى ، في شن هجماتهم عبر الحدود كما تم تنفيذ
اعمال ارهابية ضد الاسرائيليين في ، مختلف دول العالم ، وأوقعت اسرائيل
غاراتها ليس بسبب تهديدات الارهاب ولكن لانها كانت في غاية الانشغال بالتطور
المستمر على المسرح السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تأسست عام
١٩٦٤ اصبحت قوة عسكرية خطيرة واثباتا سياسيا قويا ، وقادرة على الحصول
على مساندة قوية على المسرح الدولي من جانب العرب والاتحاد السوفيتي وأغلب
دول العالم الثالث وبعض الاوروبيين .

واصيب الاسرائيليون الذين كانوا منشغلين بتدعيم وجودهم في الضفة
الغربية وقطاع غزة ومواصلة بناء اقتصادهم بذهول تام في اكتوبر ١٩٧٣
عندما شن الرئيس أنور السادات هجوما مشتركا من جانب قواته عبر قناة
السويس ومن جانب السوريين على مرتفعات الجولان ، وحقق العرب
انذين كانوا مسلحين تسليحا جيدا بأسلحة سوفيتية انتصارا ، ولكن
قوات الدفاع الاسرائيلية والامدادات العسكرية الاضافية من الولايات المتحدة
حولت مسار الحرب . واستخدمت الدولتان العظميان - أثناء استمرار
القوات الاسرائيلية في التقدم - مفرزها لغرض وقف القتال ، وبدأت
المفاوضات من أجل سحب القوات المتحاربة من خط الصدام المداشر .
وكانت الولايات المتحدة الوسيط الرئيسي في هذه العملية حيث دعم
هنري كيسنجر ، وزير خارجيتها ، بالتنقل بين الدول كالمكوك الحثيث .
عالم الاتفاق .

وفي ديسمبر عام ١٩٧٣ تقابل وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد
السوفيتي واسرائيل . مصر والاردن في جنيف طبقا لقرار الامم المتحدة رقم
" ٢٤٢ " (ملحق ٢) وكان هدفهم التوصل الى اتفاقيات لفك الاشتباك
وانهاء حرب اكتوبر رسميا . ووضع أساس لمبادرات سلام اخرى في
المستقبل ، ورفضت سوريا الحضور ، كما لم يتم دعوه زعماء منظمة التحرير
لفلسطينية لحضور هذا الاجتماع . ومع ذلك تم توقيع اتفاقيات بين اسرئيل
وكل من مصر وسوريا لفك الاشتباك وتثبيت الخط الفاصل بين قوات
الدول مع استمرار احتلال القوات الاسرائيلية لسبنا ومرتفعات الجولان .
ومع استمرار الولايات المتحدة في القيام بدور الوسيط . وهذه الاتفاقيات

جلبت من الولايات المتحدة الضامن الفعلى لادعسان اسرائيل كما زادت من تعهداتها تجاه اسرائيل .

وبعد توقيع الاتفاق الثانى بين اسرائيل ومصر فى سبتمبر عام ١٩٧٥ كانت هناك فترة من الهدوء النسبى فى المفاوضات الدولية . وعلى أية حال فقد كان موعد الانتخابات الوطنية فى اسرائيل قد اقترب ، وكانت نتائج الانتخابات الوطنية فى اسرائيل قد اقتربت ، وكانت نتائج الانتخابات الاسرائيلية التى تمت فى ديسمبر عام ١٩٧٣ تنبىء بما كان سيحدث عام ١٩٧٧ . ولكن قليلا من الناس كان يدرك أو يؤمن بهذه الدلائل . ففى عام ١٩٧٣ خسر حزب العمل فى الكنيست برئاسة رئيسة الوزراء جولدا مائير خمس أصوات بينما زاد عدد أعضاء الليكود (أساسا حزب حروت) الذى يتزعمهم مناحم بيجين ثلاثة عشر عضوا ، وظل لحزب العمل الاغلبية . وكان قادرا على تشكيل ائتلاف حكومى يضم عددا من أعضاء الاحزاب الصغيرة . وقدمت السيدة مائير استقالتها عام ١٩٧٤ وخلفها اسحاق رابين فى منصب رئاسة الوزراء ، ومع ذلك ففى مايو عام ١٩٧٧ اثرت الانتخابات عن ظهور زعيم جديد . وكسب الليكود أربعة أعضاء جدد من الكنيست ، فى حين أن ائتلاف حزب العمل فقد تسعة عشر عضوا . وشكل الليكود حكومة جديدة وأصبح مناحم بيجين رئيسا للوزراء ، وكان زعيما جريئا وقويا .

وانهى انتصار بيجين المفاجىء السيطرة المستمرة لحزب العمل على مقاليد الأمور منذ استقلال اسرائيل . ومن الأمور الهامة أن نشير الى أن حزب حروت بزعامة بيجين كان قد تشكل جزئيا من منظمة ارهابية غير رسمية . وظهرت تناقضات حادة بين حزب حروت وبين بيجين وغيره من زعماء اسرائيل بخصوص حقوق اسرائيل فى كل اراضى فلسطين التاريخية . وعلى أية حال فقد كون بيجين تحالفا يمثل الاغلبية ويتمسك — كما حدث فى عام ١٩٤٩ — بانتهاء اراضى غزة وضفتى نهر الاردن شرعا الى دولة اسرائيل — وتعين عدم مبادلتها بسلام دائم مع العرب . وكان هناك تباين فى الراى العام ولكن لم يكن هناك شك فى أن اتجاهه المصقور ، فى عام ١٩٧٧ ، كان يخيم على حكومة اسرائيل فبيجين لم يتغير ولكن اسرائيل تغيرت .

وعلى الرغم من أن العديد من العوامل أثرت فى نتيجة الانتخابات فإن عامل السن والخلافات العرقية قد رجح الليكود بشكل كبير على تحالف حزب العمل . فاليهود الشرقيون (السفارديين) الذين قدمت أسرهم من آسيا وافريقيا أعطوا تحالف الليكود نسبة اثنين الى واحد فى عام ١٩٧٧ . وكان يميل هؤلاء اليهود القادمون من دول اسلامية الى تأييد سياسة أكثر تشددا فى معالجة مشاكل العرب الفلسطينيين ، كذلك فإن

السفارديين كانوا يستأعون من اليهود الاثرياء والمتعالين الذين هاجروا من أوروبا وأمريكا والمعروفين باسم « الاشكنازيين » والذين كانوا يكونون الغالبية العظمى من قادة اسرائيل السابقين . وعلى الرغم من أن بيجين لم يكن — بالمولد — واحدا منهم الا أن فلسفته وسلوكه كانا يجذبان أصوات السفارديين وكانت معدلات مواليد السفارديين أعلى من معدلات الاشكنازيين وأصبحوا الآن هم واطفالهم يشكلون أغلبية اليهود في اسرائيل وكانت مساندتهم بمثابة عامل هام في زعامة تحالف الليكود لاسرائيل .

ولكن شخصية مناحم بيجين كانت العامل الرئيسي في النصر ، وباعتباره زعيما يتمتع بالشعبية ومتحدثا ساحرا فقد كان قادرا على اقناع العديد من الاسرائيليين بشجاعته وثباته في العمل على تحقيق الاهداف السياسية لاسرائيل ، تلك الاهداف التي لم يتحرف عنها على الاطلاق ، ونصب نفسه كبطل للناخبين السفارديين المطحونين ، ووضع اجابات سهلة للاستئلة الصعبة الخاصة بالسلام والحرب والدين والفلسطينيين والنظام المالي والاقتصادى . وكانت رسائل بيجين يمكن فهمها بسهولة وكانت لديه فكرة واضحة : متى يجب أن يرضخ وما الذى يجب ألا يتخلى عنه في المفاوضات مع الجيران العرب ومع الولايات المتحدة . كما أن وعوده للاستهلاك المحلى كانت جذابة (وهى أمور تعتبر غالبا من الامور المنكبة للنظام الاقتصادى الاسرائيلى) .

ولد مناحم بيجين في بولندا من أبوين بولنديين ، وبعد أن اجتاحت الالمان بلاده مات والداه وشقيقه على ايدى النازى ، وهرب بيجين الى قطاع لتوانيا التابع للاتحاد السوفيتى ، حيث التقى القبض عليه وأرسل الى سيبيريا لنشاطه انسياسى غير المقبول باعتباره صهيونيا . وبعد قضاء حوالى عام في السجن أمضى فترة منه في حبس انفرادى تم الافراج عنه وتمكن من الذهاب الى فلسطين عام ١٩٤٢ . وهناك أصبح قائدا لجماعة عسكرية سرية تعرف باسم الارجون التي تتمسك بمعظم طلبات الصهيونية . وحارب بكل سلاح ممكن ضد البريطانيين الذين وصفوه بأنه أخطر ارهابى في المنطقة .

إن رجلا بهذه الشجاعة والايمان الثابت بأهدافه ليعتز بأن يلقب « باليهودى المقاتل » . وكانت صورة رئيس وزراء اسرائيل الجديد تؤكد أنه رجل مستعد لاستخدام العنف لتحقيق الاهداف التي يؤمن بها .

وفي يناير عام ١٩٧٧ توليت منصب رئيس الولايات المتحدة وحضر الرئيس السادات الى واشنطن في زيارة رسمية في شهر ابريل . وفي أول ليلة بعد العشاء الرسمى صعدنا سويا الى الطابق الخاص بالمعيشة بالبيت الابيض .

وخلال محادثة خاصة طويلة أخبرنى السادات بوضوح أنه يرغب فى اتخاذ خطوات هامة نحو السلام ، وناقشنا بعض العناصر الخاصة بإمكانية إجراء مفاوضات مباشرة فى المستقبل بخصوص : الحدود الدائمة لإسرائيل ، ووضع القدس ، وحرية التجارة والحدود المفتوحة بين البلدين حتى الاعتراف الدبلوماسى بإسرائيل وتبادل السفراء .

وبعد انتخاب بيجين بشهر ، أكدت بياناته الصحفية معتقداته القديمة بما فى ذلك إصراره على توسيع حدود إسرائيل الى ضفتى نهر الأردن . ومع ذلك فعندما حضر الى واشنطن لمقابلتى وجدته يرغب فعلا فى انتهاج الاهداف الهامة التى سبق أن ناقشتها مع السادات ، وكان من المفروض وقتئذ عقد مؤتمر جنيف آخر يحضره كافة الاطراف المتنازعة فى الشرق الاوسط بحضور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كشريكين فى العملية .

وفى نوفمبر ١٩٧٧ قام السادات بمبادرة سلمية مثيرة بذهابه الى القدس . واستقبل بيجين السادات بالترحاب واستمع — بهدوء مصطنع — الى الرئيس المصرى وهو يقدم للكنيست اقصى ما يمكن أن يقدمه الفلسطينيون والدول العربية المجاورة لإسرائيل من طلبات . وتقابل الزعيمان فيما بعد فى مصر ولكن كان من الواضح أنهما غير قادرين على تحقيق أى تقدم آخر تجاه السلام .

وفى العام التالى وجهت الدعوة للرجلين ومستشاريهما البارزين للحضور الى كامب ديفيد فى شهر سبتمبر لمدة أسبوعين من أجل إجراء مفاوضات مكثفة . وكان هدفى هو جعل الاسرائيليين والمصريين يتقابلون فى مكان واحد بعيدا عن الصحافة حتى يمكنهم تفهم أبعاد العديد من أهدافهم والفوائد التى تعود على بلديهما اذا تمكنا من تسوية خلافاتها . وكان يجب أن نواجه بعض القضايا الرئيسية مثل الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة ، والحقوق الفلسطينية ، والامن الاسرائيلى ، وانتهاء الحظر التجارى ، وفتح الحدود بين إسرائيل ومصر ، وحق السفن الاسرائيلية فى العبور فى قناة السويس والموضوعات العديدة الخاصة بالقدس . واثناء المفاوضات كنا نأمل أن نتوصل الى تحقيق سلام دائم بين الدولتين يقوم على اعتراف دبلوماسى كامل تنص عليه معاهدة سلام ثنائية .

كان بيجين والسادات غير متفقين من الناحية الشخصية ، ولهذا قررنا بعد عدة محاولات غير مسارة أنهما لا يجب أن يتفاوضا مع بعضهما البعض ، وبلا من ذلك تعاملت مع كل منهما على حدة أو مع ممثليهما .

وعلى الرغم أن ذلك الوضع كان أكثر صعوبة بالنسبة لى اذ كان يستلزم الامر أن اذهب من مفاوضات الى آخر - فقد كانت هناك مميزات لهذه الطريقة وذلك لمنع المناقشات الخطابية والجدل الشخصى بين الزعيمين (١) .

لقد حضر بيجين الى كامب ديفيد بهدف اعداد بيان عن المبادئ العامة للتوصل الى اتفاق سلام ، وترك العمل الخاص لايجاد حل للموضوعات الصعبة لن هم فى المرتبة الأدنى . وكان من الواضح أنه مهتم بمناقشة موضوع سيناء أكثر من اهتمامه بمناقشة مسألة الضفة الغربية وغزة . وبعد بداية المفاوضات المطولة ، بذل بيجين أكبر جزء من طاقته فى بحث تفصيلات كل اقتراح والمعنى المقصود لكل جملة أو كلمة . أما الاعضاء البارزون فى الفريق الاسرائيلى مثل موسى ديان ، وزير الخارجية ، وعزرا وايزمان ، وزير الدفاع ، والجنرال اهرن باراك فقد كانوا يرغبون بقدر الامكان فى التوصل الى اتفاق كامل ، وكانوا قادرين على اقناع بيجين بأن أى اقتراح خاص بهذا الموضوع يعتبر مفيدا لاسرائيل .

وكان السادات أكثر أعضاء الوفد المصرى استعدادا للمساعدة ، وكانت طلباته تتلخص فى انسحاب جميع الاسرائيليين من اراضى سيناء المصرية ، وان أى اتفاق ثنائى يجب أن يقوم على أساس اتفاق مقبول فيما يتعلق بالأراضى المحتلة والحقوق الفلسطينية والتزام اسرائيل بضرورة حل أى مشاكل تظهر فى المستقبل مع جيرانها حلا سلميا . وكان غالبا ما يترك التفاصيل الخاصة بالمفاوضات لغيره .

وفى مرات عديدة كان بيجين ولسادات على استعداد لانهاء المناقشات والعودة الى باديهما ، ولكننا تمكنا أخيرا من بحث اتفاقيات كامب ديفيد بما فى ذلك الاطار العام لمعاهدة السلام بين البلدين . وقد اتفق الزعيمين ومستشاريهما على الفقرة الخاصة بأكثر الموضوعات حساسية وهو وضع المدينة المقدسة على النحو الآتى :

« ان القدس مدينة السلام تعتبر مدينة مقدسة للديانات الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، وأن جميع الناس يجب أن تكون لهم حرية دخولها وحرية ممارسة العبادة والزيارة والاقامة فى الاماكن المقدسة دون تفرقة أو تمييز ، وستكون الاماكن المقدسة لكل عقيدة تحت اشراف وادارة ممثلى كل عقيدة وسيقوم مجلس بلدى يمثل سكان المدينة بالاشراف على الخدمات الاسياسية فى المدينة مثل المرافق العامة والنقل العام والسياحة ، وسوف يضمن لكل طائفة صيانة مؤسساتها الثقافية والتعليمية » .

(١) للاطلاع على وصف كامل لمفاوضات كامب ديفيد انظر جيمى كارتر مذكرات الرئيس (نيويورك بانام ١٩٨٢ ص ٣١٩ - ٤٠٣) .

ومع ذلك وفي الدقيقة الأخيرة وبعد عدة أيام من الاتفاق بالاجماع قرر كل من السادات وبيجين ان هناك عناصر موضع جدل في الاتفاقيات ، وطلبوا الفاء هذه الفقرة الخاصة بالقدس من النص النهائي . وتم التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد في سبتمبر عام ١٩٧٨ (ملحق ٤) .

وكان من الواضح لنا ان الجانبين قد قدما تعهدات من الصعب تنفيذها . فبعض التنازلات التي قدمها بيجين كانت مرفوضة من شركائه السياسيين المقربين له في اسرائيل مال قبوله كتابة « الحقوق المشروعة للفلسطينيين » . ولكن بيجين سار قدما وبشجاعة لكسب موافقة الكنيست على انسحاب جميع الاسرائيليين من سيناء . ومن ناحية أخرى سرعان ما أثبت عدم رغبته في تنفيذ أصعب تعهد بخصوص اعطاء الفلسطينيين الحكم الذاتي الكامل وانسحاب اسرائيل العسكرية وانهاء الحكم المدني من الضفة الغربية وغزة . وواجه السادات كذلك ادانة من زملائه العرب الذين فرضوا عقوبات شديدة ضد مصر اثبتت عدم جدواها في النهاية ، سواء كانت عقوبات دبلوماسية او اقتصادية او تجارية ، بهدف عزل ومعاقبة السادات .

وبالرغم من هذه المشاكل فقد عقدت معاهدة السلام بين اسرائيل ومصر المرتكزة على اتفاقيات كامب ديفيد وتم التوقيع عليها في البيت الابيض في مارس ١٩٧٩ . ومنذ ذلك الحين حرص الجانبان على المحافظة على نصوصها .

ولم يرغب الاردنيون او الفلسطينيون في المشاركة في محادثات السلام اللاحقة للمساهمة في تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد بخصوص حقوق الفلسطينيين والضفة الغربية وغزة . وساعد هذا الرفض واصرار الفلسطينيين وأغلب العرب الآخرين على رفض الاعتراف بشرعية الدولة الاسرائيلية ، على تأكيد مخاوف الاسرائيليين الخاصة بأن وجودهم سوف يكون مهددا مرة أخرى عندما يعد أعداؤهم القوة الكافية للدخول في معركة عسكرية . وقد أسفر هذا الاعتقاد بدوره عن ظهور اتجاه متشدد للغاية بين قادة حكومة الليكود عبر عنه بوضوح رئيس الوزراء في الضفة الغربية في شهر مايو عام ١٩٨١ عندما قال : « أنا مناحم بن زئيف وحنا بيجين ، أقسم يمينا مخلصا ألا نتخلّى ، طوال خدمتي لبلادي كرئيس للوزراء ، عن أي جزء من يهودا والسامرة وقطاع غزة أو مرتفعات الجولان (١) » .

ولسوء الحظ فان هذا التصريح يتعارض مع الشروط الاساسية لاتفاقيات كامب ديفيد .

(١) يهودا والسامرة هي الاسماء التي يطلقها بيجين على الضفة الغربية .

ومن وجهة نظر بيجين فان اتفاقية السلام مع مصر كانت اجراء له اهميته بالنسبة لاسرائيل ، اما بخصوص الضفة الغربية والفلسطينيين فان الامر يحتاج الى مواجهتها بالحيلة والدهاء ، وتمكن بيجين بالمعاهدة الثنائية من ابعاد قوة مصر الهامة من المجال العسكري للشرق الاوسط ، الامر الذى يعطى للاسرائيليين الفرصة لتجديد حريتهم فى الاستمرار فى تحقيق اهدافهم الخاصة نحو تحصين وتوطين الاراضى المحتلة وابعاد التهديدات بتوجيه ضربات عسكرية ضد البعض من جيرانها . وتحت قيادة بيجين قام الاسرائيليون عام ١٩٨١ بشن غارة جوية دمرت المفاعل النووى العراقى ، واعلنوا « ضم » مرتفعات الجولان وبذلوا جهودهم المكثفة لاقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية ، وبعد ذلك جاء الغزو الكامل للبنان عام ١٩٨٢ ، وكل هذه التصرفات ادينت بشدة من جانب العالم العربى كما ان الشعب الاسرائيلى قد انقسم على حكومته من جراء هذه السياسة العسكرية . وكان هناك على وجه الخصوص نوع من الاسى بسبب ارتفاع نسبة الضحايا بين القوات الاسرائيلية فى لبنان ، وكانت الحكومة الاسرائيلية تحصل على مساندة نسبيا من جانب واشنطن .

لقد اثبتت اسرائيل انها واحدة من اقوى دول العالم من الناحية العسكرية بصرف النظر عن الذى بدأ بشن الهجمات أولا اثناء الحروب الخمسة التى شاركت فيها من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٢ ، فقد تمكنت اسرائيل من نشر المزيد من القوات ، واستطاعت ان تتفوق بها على أعدائها ، ومع ذلك فان هذه الانتصارات كانت مكلفة للغاية سواء من الناحية المالية او الناحية البشرية . وكان الجانبان بعد كل حرب يدخلان فى سباق جديد تسليح ، وكان على اسرائيل ان تقترض مبالغ كبيرة . وتم اتفاق حبه الم ثاى دخلها القومى فى شئون الدفاع وفى خدمة الدين الوطنى . ومات الآلاف المؤلفة فى الحروب ، وفى كل مرة تحتل اسرائيل اراضى جديدة او تستولى عليها كانت اعداد كثيرة من العرب المسيحيين والمسلمين يتم طردهم من ديارهم او يخضعون للحكم العسكرى . وكانت عمليات التهجير المستمرة لعدد من الاشخاص تؤدي الى استمرار تفاقم المواجهة العسكرية الخطيرة بالفعل ، وزيادة حدة الخوف والكراهية والنفور بين الجانبين ، وصعوبة تحقيق أية مصالح نهائية يتعين الوصول اليها قبل تحقيق السلام والعدل والامن فى المنطقة .

ولم تسفر أى من الحروب السابقة عن حل لاي من المسببات الرئيسية للصراع المستمر . وخلال زيارتى لاسرائيل منذ تركت البيت الأبيض ، ومن خلال مقابلاتى المكثفة مع اساتذة وزعماء سياسيين وكذلك من خلال محادثاتى مع عديد من المواطنين الاسرائيليين العاديين ، لاحظت نفورا مستمرا

ازاء مواجهة سؤال حرج مؤداه : وماذا نفعل بالنسبة للفلسطينيين والكثير منهم اختاروا التظاهر بأنهم غير موجودين ؟ ! .

ففى حوار مع بعض الأصدقاء بالقرب من قيصريّة مثلاً ، قالت امرأة بليغة فى تحمس الى حد ما : « لقد عشت فى هذا المجتمع لأكثر من ثلاثين عاماً ولم أتم زيارة الضفة الغربية على الإطلاق ، وبالنسبة لى فهذا المكان يعتبر عالماً آخر . والواقع أنه توجد قرية عربية على بعد أميال قليلة من هنا ولكن لم أجر أية اتصالات أو أحاديث مع أى من سكان هذه القرية ولست متأكدة اننى أرغب فى ذلك على الإطلاق ان الهوة بين الاسرائيليين اليهود وغير اليهود تزداد اتساعاً باستمرار .

وثمة سؤال آخر أساسى يتعلق بالأرض ولا سيما اراضى الضفة الغربية وغزة . ففى خلال أغلب فترة الانتداب البريطانى عندما كانت المنطقة تخضع لتوجيهات لندن كان أمام اليهود فرصة كبيرة لشراء الاراضى التى يرغبونها ، واختاروا بحكمة التمرکز فى أقل الاراضى سكاناً ، والاكثر خصوبة والتي تقع على الساحل ومناطق الوديان ومن خلال هذه الحدود نشأت اسرائيل . بيد أن قضية الأمن والاهداف الايديولوجية لسنوات عديدة لاحقة ، وكذلك عرض الحكومة للعديد من المساكن المناسبة والرخيصة فى المناطق الواقعة على اطراف القدس ، شجعت عدداً كبيراً من الاسرائيليين على الإقامة فى الضفة الغربية ، وهذا أحد اسباب النزاع الرئيسية بين العرب والاسرائيليين ، ويعتبر بالنسبة لأغلب المسؤولين الأمريكيين مخالفاً للقانون الدولى وعقبة رئيسية أمام السلام .

وهاتان القضيتان الأساسيتان تبرزان مدى التعقيد والتصلب الواضحين فى القضايا الأخرى بيد اننى لا أزال مقتنعا أن السلام يمكن تحقيقه وأن أغلبية الاسرائيليين يرحبون الآن أو فى المستقبل بالموافقة على شروط للتوصل الى اتفاق يمكن أن يقبله أغلب جيرانهم العرب .

وبالرغم من أن غالبية الزعماء فى الاحزاب السياسية الرئيسية فى اسرائيل مقتنعون بأن استمرار التواجد الاسرائيلى يجب أن يبقى فى الضفة الغربية ، فان الكثير منهم يعتقدون أن اسرائيل ستستفيد اذا أمكن حـل القضية الفلسطينية دون استمرار خضوع ٤١ مليون من غير اليهود للحاكم العسكرى . ومن بين العرب الذين يعيشون فى اسرائيل ذاتها ، فان أكثر من نصف الفلسطينيين فى العالم يعيشون تحت سيطرة اسرائيل ، وربما نصف مليون عربى من غير الفلسطينيين يعيشون تحت السيطرة الاسرائيلية فى جنوب لبنان .

ويسهم الاحتلال الاسرائيلى لجنوب لبنان فى ايجاد المزيد من الانقسامات السياسية فى اسرائيل . فقد أعلن العديد من الزعماء الاسرائيليين

في مناقشات سياسية دارت مؤخرا ، ان غزو لبنان عام ١٩٨٢ واحتلال اراضيها ، يعتبر نكبة سياسية ، وان استمرار المواجهات العسكرية والتركيز على الانشغال بالاراضي المحتلة ، يعتبر امرا غير مجد امام السعى لتحقيق الاستقرار الاقليمي والسلام الدائم . وأرجعوا مقدمهم للتأييد عبر البحار ، وزيادة هجرة اليهود من اسرائيل ، الى ابتعاد حكومتهم عن المثالية التي كان ينتهجها الزعماء السابقون ، والى النكبات الاقتصادية والى استخدام القوة ضد لبنان بدون وجه حق او بسبب الثأر . وقد أدت هذه الاصوات الى تحقيق درجة من الاعتدال داخل كل من الحزبين الرئيسيين في انتخابات عام ١٩٨٤ ، بما في ذلك التعهد بالانسحاب الاسرائيلي المسلح من لبنان في اقرب فرصة ممكنة . وبصرف النظر عما تم اتخاذه من قرار بالنسبة للبنان فان الموضوع الرئيسي الذي لا يزال يناقش في اسرائيل هو ما الذي يمكن عمله بشأن الضفة الغربية وغزة وسكان هذه المناطق . ولا يبدو أي من هذه الخيارات باقا لاسرائيل :

● الانسحاب كما جاء في قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ وكما اشير اليه في اتفاقيات كامب ديفيد ، بما في ذلك حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، ولو على الاقل ان تكون لهم السيادة المطلقة في الاراضي التي سوف ترتبط مع الاردن في صورة من صور الاتحاد الكونفدرالي . وهذا التصرف كان محل معارضة شديدة من جانب مناحم بيجين وأتباعه ، وكان من المشكوك فيه ان يحظى هذا القرار بتأييد سياسي في اسرائيل بدون قيادة قوية فعالة .

● الضم القسري للمنطقة وضما رسميا الى اسرائيل ، الامر الذي يمكن ان يعطى عددا كبيرا من المواطنين غير اليهود الحق في التصويت ومساواتهم امام القانون باليهود . وأي تصرف رسمي يضم الاراضي المحتلة يعتبر خرقا مباشرا لاتفاقيات كامب ديفيد ، التي يعتبر المصريون ان معاهدة السلام ترتكز عليها . وفي نفس الوقت سيؤدي ذلك الى اقامة مجتمعيين او مجتمع ثنائي مع وجود مليونين من الفلسطينيين الذين يشكلون ٤٠ في المائة من عدد السكان ومن المتوقع ان تزداد نسبتهم الى ٥٠ في المائة بنهاية هذا القرن سواء منحوا أو لم يمنحوا الحقوق الاساسية للمواطن . وفي كلتا الحالتين فان اسرائيل من المحتمل ان تزداد عزلتها في المستقبل ، وتدان من جانب المجتمع الدولي مع عدم وجود فرصة اخيرة لانتهاء العداء مع أي جزء له اهميته في العالم العربي .

● استمرار الاحتلال العسكري للاراضي الفلسطينية مع امكانية ضم هذه الاراضي رسميا بعد خفض عدد العرب تدريجيا عن طريق الهجرة . ومع الضم الشرعي او بدون فانه الفلسطينيون لن يتمتعوا بالحقوق الكاملة

للمواطن ، ويعتقد الكثيرون أن هذه هي السياسة الرئيسية التي اتبعتها حكومة الليكود . ومعارضة هذه الفكرة في إسرائيل ترتبط بالمفهوم العنصري الذي يقضى بوضع الفلسطينيين في مرتبة المواطنين من الدرجة الثانية .

صورة من السيادة المشتركة ربما مع الأردن أو تقسيم الأراضي الى مجتمعات صغيرة مع منح جميع من يعيشون في كل منطقة حقوقا متساوية ، وهذا يمكن أن يؤدي إما الى منح الفلسطينيين استقلالهم أو اعطاء سلطة متساوية للعرب واليهود في مواقع صغيرة موزعة داخل الأراضي المحتلة ، وعموما فإن الادارة ستكون في غاية من الصعوبة ولكنها ليست مستحيلة اذا قرر الاسرائيليون والأردنيون والفلسطينيون أن يتعاونوا فيما بينهم .

وأكثر الخيارات جاذبية — ويمكن أن يكون مقبولا فيما بعد كأساس للسلام — هو الخيار الاول ومنح الفلسطينيين السيادة الحقيقية وحق تقرير المصير على أن يتم نزع سلاح المنطقة ، وأن تكون هناك ضمانات كافية لعدم تعريض أمن كل من إسرائيل والأردن للخطر . كما أن وجود نوع من المشاركة بين هذا « الوطن » الفلسطيني والأردن يمكن أن يكون أمرا مفضلا وربما ضروريا . وهذه المبادئ الرئيسية لاتفاقيات كامب ديفيد كما فسرتها كل من الولايات المتحدة والمصريين وعدد كبير من الاسرائيليين ، تعتبر أفضل أساس لاحداث مزيد من التقدم .

لقد تعهد تحالف حزب العمل خلال حملة انتخابات عام ١٩٨٤ بقلب بعض السياسات التي ينتهجها الليكود رأسا على عقب بهدف احياء عملية السلام ، بيد أن فشله في كسب نصر حاسم قد أدى الى تشكيل حكومة الوحدة الوطنية في شهر سبتمبر حيث لا يزال الليكود يلعب في الغالب دورا مساويا .

وفي ظل مثل هذه الظروف كان من المحتمل أن تكون قوة بعض الزعماء الأكثر تطرفا كبيرة للغاية ، وأن أي تصرف من جانب الحكومة في المسائل الدولية سيصبح صعبا أو مستحيلا . ومع ذلك فهناك علامة تبشر بالخير تكمن في الاتفاق بين الحزبين على عدم تغيير الوضع في الضفة الغربية وغزة على الاقل خلال الفترة الحالية .

وكان الاتجاه العام للآراء المتداولة في إسرائيل يدور حول تحقيق السلام والعدل والرفاهية ، ومن بين الجماعات المشتركة في هذه المناقشات الداخلية هي حركة « السلام الآن » وهي جماعة شكلت أثناء مفاوضات كامب ديفيد . وخلال الزيارة التي قمت بها مؤخرا لإسرائيل وجهت الدعوة الى زعماء هذه الحركة لمقابلتي لشرح مضمون معتقداتهم . وأعلنوا أنهم نظموا اضرابات ضخمة ضد الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، وقالوا ان بعض أعضاء الحركة النشيطين من ضباط وأفراد يعملون في قوات الدفاع الاسرائيلية ،

واخبروني أنهم يؤيدون عملية كامب ديفيد باعتبارها أفضل طريق الى السلام بشرط احترام سميتها كترتيب مؤقت ، وانهم يؤمنون بضرورة دعوة ممثلى الفلسطينيين الى مائدة المفاوضات على اسس معاملتهم معاملة متساوية مع أعضاء المجموعات الوطنية . وهم لا يعترفون بتشكيل حزب سياسى منفصل ولكنهم يساندون أى مرشحين يمثلون — الى حد ما — وجهات نظرهم .

وانى لعلى يقين من أن هناك خلافات هامة بين مؤيدى هذه الحركة ، ولكن زعماءها يؤمنون بسياسة اسرائيلية تعمل على الاحتفاظ بقدرات عسكرية قوية وعلاقات حميمة مع الولايات المتحدة ، والانسحاب الجزئى من الاراضى المحتلة مع نزع سلاحها ، وحقوق متساوية لجميع سكان اسرائيل ، ورفض سيطرة اسرائيل على شعوب أخرى — ووقف جميع الانشطة الخاصة باقامة مستوطنات ، ووجود وطنى فلسطينى يتلاءم مع أمن اسرائيل ، واجراء مفاوضات سلام مع جميع الاطراف المعنية بدون شروط مسبقة معوقة . وصرح أحدهم بقوله : انى أخشى أن نكون متجهين نحو اقامة حكومة مثل حكومة جنوب افريقيا يوجد فيها مجتمع مزدوج من اليهود الحاكمين والعرب المحكومين مع منحهم حقوق قليلة كمواطنين . ان الضمة الغربية لا تستحق ذلك الجهد أو العناء .

وعلى الرغم من أن العديد من هذه الآراء الفردية تحظى بالقبول على نطاق واسع — فان وجهات نظر حركة « السلام الآن » فى مجملها تعتبر آراء « حائية » للفاية بالنسبة لاغلب القادة السياسيين الاسرائيليين . وعندما سألت مؤخرا بعض القادة الاكثر ليبرالية فى تحالف حزب العمل ، بدوا الى حد ما رافضين لاي علاقة عامة مع حركة « السلام الآن » ولكنهم قالوا ان هذه الجماعة لها تأثير على وسائل الاعلام وعلى الراى العام .

وفى ربيع عام ١٩٨٣ بعد علمين من تركى منصبى العام رجعت انا وروزالين الى اسرائيل وقمنا فى القدس بالزيارة الثالثة لنصيب « يادفاشم (١) » واشتركنا بشكل بسيط فى تكريم اليهود الذين كانوا ضحايا الابادة . ومنذ دخولنا ومغادرتنا الاحتفال ، سمعنا العديد من عبارات السرور والامتنان — لان الزيارات المتبادلة بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجين — والمفاوضات التى دارت فى كامب ديفيد حققت السلام مع مصر .

وبعد دقائق قليلة كنت فى طريقى الى مكتب رئيس الوزراء بيجين فى مبنى البرلمان الاسرائيلى . وكان قد مر أربع سنوات بالضبط منذ وجهت دعوتى

(١) المراجع : نصب ضحايا النكبة .

السابقة لتذليل العقبات الباقية من أجل تحقيق اتفاقية السلام . وكنت
بوضع ترحيب مهذب وان كان فاتراً من الناحية الرسمية ولم يكن سرا أننا
كنا مختلفين بشكل كبير سرا وعلنا بشأن تفسير اتفاقيات كامب ديفيه
وسياسة الاستيطان في الضفة الغربية وغزة وكذلك غزوه الأخير للبنان .

وحتى خلال الايام التي عملنا فيها سوريا بنجاح كبير ، فقد اختلفنا
بشأن كيفية إيجاد حل أفضل للنزاعات في انشقاق الاوسط .

وعلى الرغم من أن دولتيما تشتركان في العديد من المعتقدات
والاهداف السياسية النهائية ، فقد كنا أحيانا نختلف على مائدة المفاوضات
عندما كنا نحاول بحث حساسيات العلاقات العربية الاسرائيلية السنية
على أسس رسمية . ولسوء الحظ فقد كن هذا يؤدي أيضا الى حدوث
بعض الخلافات الخاصة بيننا .

والآن — في مارس ١٩٨٣ — التقينا مرة أخرى وتعددت تهت بمرس
افكارى بصراحة تامة حول أكثر الموضوعات جدلا ، بعد أن تبادلنا
بعض الدعابات ، وقد هنأته أولا على تصرفه الشجاع عندما راعى الشروط
الصعبة في اتفاقية السلام والخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية والتخلي عن
المستوطنات في سيناء المصرية .

وأثناء جلوسه معي دون أن يتطلع الى ، شرحت له مرة أخرى لماذا
اعتقدنا أنه لم يحترم الالتزام الذي أعده أثناء مفاوضات السلام بشأن
ايقاف بناء مستوطنات اسرائيلية في الضفة الغربية . ووصفت مدى خيبة أمتي
لأنه لم يرحب بأن يضمن للفلسطينيين أي درجة معقولة من الحكم الذاتي في
الارض المحتلة ، وألححت عليه أن يعلن صراحة المصريين والاردنيين أن
اسرائيل سوف تراعى العناصر الرئيسية التي تتضمنها قرار الامم المتحدة
رقم ٢٤٢ . وتوقفت متوقعا منه أن يقدم شرحه المفصل والمعتاد لاسداسة
الاثبات ، ولكنه أجاب بعدة كلمات مقتضبة روتينية بشكل مثير لادهشة ،
وذلك اما لانني عملت على اثارته بشكل أكثر من المعتاد — أو بسبب أنه كان
يرغب في الاحتفاظ بحججه للرسميين الأمريكيين ، أو لأنه كان مشغولا بشيء
آخر أو بمسائل سياسية أخرى . ولكن ربما كان السبب — عام ، أكثر
الاحتمالات — يرجع الى الاسباب الثلاثة السابقة مجتمعة .

كنا نجلس في حجرة صغيرة قليلة الزخرفة في الطابق الاول من مبنى
الكنيست . وكان الحديث فاترا وعلى فترات متباعدة وغير مثير . منذ
غادرت المكان لاحظت أن الحجرة القليلة كانت فسيحة ومتألثة وجذابة وخالصة ،
وكل الشيء المثير للاسخرية هو أن الرقم الذي كان مكتوبا على الباب
هو ٢٤٢ .

ان اسرائيل عام ١٩٨٢ تختلف عن اسرائيل التي عرفناها لأول مرة منذ
سنة ١٩٤٨ — منذ تلك روح الاجماع بين المواطنين اليهود والثقة المتزايدة
التي جلبت اليها عام ١٩٧٢ . وبالرغم من انتصارهم العسكري المثير
في لبنان ، فإن السيد بن اسرائيليين كانوا قلقين للغاية لان هذا النصر
— محوّل إلى ربح . لقد كان التفوق العسكري ضروريا من أجل الدفاع عن
القوم — ولكن لم يكن ملتبها لاسرائيل ان تفرض ارادتها على جيرانها .
وكانت المنظمات الخاصة بالسياسة الداخلية اكثر من لاذعة ، ولم تكن
واضحة المعالم الاساسية لشكل الحكومة التي يفضلها أفراد الشعب .

لقد شجّع انرجال بزيهم الرسمي في كل مكان ، وكان التوتر بين النوعيات
اختلعة بن الناس واضحا . وتلاشى تدفق الزوار العرب القادمين من الاردن .
وقد عاد الزوار المصريون بالرغم من اتفاقية السلام التي أدت الى فتح الحدود
— حرة التجارة بين اسلطن . وحتى بين أكثر الاشخاص تفاؤلا فقد كان يبدو
هناك أملا ضئيلا في التوصل الى أي اتفاق دائم يمكن أن يحقق السلام
والاستقرار .

ولم أحسن الاحوال فقد كان الذين لديهم رغبة شديدة في اسرائيل
في انهاء الاحتلال العسكري وضمان الحقوق الاساسية للمواطنين الفلسطينيين ،
الذين هم قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ واتفاقيات كامب ديفيد ، وبدء المفاوضات
بدون شروط غير مقبولة ، يتعرضون لوقف صعب لعدم حصولهم على
الامارات مشجعة من الزعماء في المعسكر العربي — الفلسطيني . فقد أدى
نفاذ السوريين في عام ١٩٨٤ ، والمعاهدة المكلفة الى حد ما ، مع مصر ،
التي أسنرت عن « سلام بارد » يشوبه الحقد والضغينة ، الى ابطال
بمسؤول ما تمخضت عنه المفاوضات مع لبنان عام ١٩٨٣ . واستمرت سوريا
ترفض فكرة إجراء محادثات مع اسرائيل الا اذا تم ذلك من خلال مؤتمر دولي تقبناه
الامم المتحدة مباشرة بمشاركة السوفييت . وأعرب الملك حسين في عام ١٩٨٣
عن عزمه رغبتهم في الاشتراك في محادثات السلام بعد رفض اسرائيل لاقتراح
راحمان (ملحق ٥) طالما استمرت المراوغة بشأن الحصول على موافقة
كل من منظمة التحرير الفلسطينية والمملكة العربية السعودية .

وأعرب بعض الزعماء في اسرائيل عن قلقهم بشأن السياسة الامريكية
في المشرق الاوسط التي اتسمت ، خلال السنوات الاخيرة ، بالعديد من التخطي
الظاهر ، غير الملقى مع عجز ملحوظ في ايجاد حل ناجح لأكثر الموضوعات
السياسية حساسة والتي يجب مواجهتها قبل اتخاذ الخطوة التالية نحو
السلام . والحقيقة ان الاسرائيليين مع بعض التحفظ كان لديهم شك متزايد تجاه
سياسات كل الحكومات الاجنبية ، وقرروا الا تكون لديهم ثقة بالغة مرة أخرى .
ومهما كان تقدم التفوق العسكري الاسرائيلي موثوقا به ، فإنه يذكر ، حتى
دعاة السلام من الحثام ، بالايام التي تلت حرب الايام الستة عام ١٩٦٧

عندما أدى الشعور بالقوة العسكرية التي لا تقهر ، الى المفاجأة الحرجة لهجوم أكتوبر عام ١٩٧٣ .

ويدرك زعماء امريكا هذه الحقائق — ولكن هناك قلق متزايد لاحتمال تحول الخلافات بين الدولتين في المستقبل القريب الى خلافات أكثر حدة عما كانت عليه في الماضي ، وهناك بالفعل شواهد مزعجة تتعلق بهذا التباين المتزايد خاصة حول حلول المشاكل الاقتصادية الاسرائيلية الحادة .

واذا تحدثنا عن تحالف الليكود مثلاً فقد أعرب اسحاق شامير رئيس الوزراء السابق ووزير الخارجية الآن عن اقتناعه بأن جذور معظم الصراعات في الشرق الاوسط لم تستطع ان تفعل شيئاً بإسرائيل ، وأن إيجاد حل للصراع العربى — الاسرائيلى لا يسدو أنه سيؤدى الى تحقيق استقرار في المنطقة الى فتح عهد جديد من التقدم . وقلل من أهمية المشكلة الفلسطينية ، واعتبر أن اليهود يمثلون الأغلبية الطبيعية الحاكمة لفلسطين الغربية (التى تضم إسرائيل والضفة الغربية وغزة) مع حقهم والتزامهم بالعمل على جلب المزيد من المستوطنين الى المنطقه ، على أن يكون وطن العرب الفلسطينيين في فلسطين الغربية التى تضم مملكة الاردن . وصرح بأنه طالما أن إسرائيل لن تتخلى عن أى جزء من الضفة الغربية على الإطلاق فإن حدود إسرائيل لم تعد تهتم بالبحث عن سلام اقليمى . وأغلب هذه الآراء تتعارض مع آراء قادة أمريكا .

ولكن بعض الاسرائيليين الآخرين من ذوى النفوذ الكبير قد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فهم يرون أن تمتد الحدود الاسرائيلية النهائية بحيث تشمل أجزاء هامة من لبنان ومن الضفة الشرقية لنهر الأردن ، وأن تبذل محاولات مستميتة لطرد أعداد كبيرة من غير اليهود من الأراضى المحتلة — بل أن إيريل شارون وزير الدفاع السابق والذي يلعب حالياً دوراً هاماً في وزارة الوحدة الوطنية قد طالب بخلع الملك حسين لصالح إقامة نظام فلسطينى في الأردن حتى ولو كان يرأسه ياسر عرفات .

نفى أغسطس عام ١٩٨٤ قال شارون : « أن الضفة الشرقية للاردن هى ملكنا ولكنها ليست فى أيدينا شأنها شأن القدس الشرقية حتى قيام حرب الأيام الستة » . وحتى حكومة الوحدة الوطنية التى يرأسها رئيس وزراء معتدل ، فإن هذه المعتقدات والتعهدات ستصبح عوامل قوية فى رسم السياسة الاسرائيلية لأن حدوث أى ارتداد ولو قليل من جانب قادة المعارضة قد يؤدى الى سقوط الحكومة .

وعلى الرغم من أنهم طالبوا بأن تتم أية محادثات للسلام فى إطار كامب ديفيد فقط فإن شامير وأغلب أعضاء الليكود لم يوافقوا على الإطلاق على تنازلات تقدمها يمينيين خلال مفاوضاته الشاقة التى أجراها مع الرئيس السادات .

وقد التزمت كل من مصر واسرائيل بشروط معاهدة السلام فيما يختص بسيناء — ولكن بعد فترة من الزمن تم التخلي عن المفهوم الاصلى للاتفاقيات والخاص بالأراضي المحتلة الأخرى أو تم تعديله في أسسه وجوهره .

وفي نفس الوقت فإن البرنامج العاجل الخاص بالاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وزيادة المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية ، قد فسر بشكل عام سواء داخل اسرائيل أو خارجها على أساس أنه دليل على أن هذه المناطق قد تم استيعابها بأقصى سرعة ممكنة طبقا لتعهد الليكود الدائم بأن « أرض اسرائيل الغربية لن تقسم مرة أخرى » . وكما قال ابا اييان وزير الخارجية السابق بعد كل هذه المواقف : « من سوء الحظ أنه أصبح من الواضح أن سياسة الحكومة الاسرائيلية تعتبر بعيدة جدا عن مفهوم كليب ديفيد لدرجة أنه عندما يستشهد المتحدثون باسم الليكود عن الاتفاقية فإنهم يكونون شديدي التشبه بكانازونفا عندما يستشهد بالوصايا السبع » .

ومن المعروف جيدا ان هناك بعض الخلافات الجوهرية بين زعماء بلدنا — ربما لا يمكن تجنبها في الحقيقة — وأن معظم هذه الخلافات لم تظهر عام ١٩٧٧ عندما تولى بيجين وأنا منصبينا أن من أبسط الحقائق أن علاقة بلدي باسرائيل تتسم بأنها أكثر العلاقات بقاء وتعقيدا ومخيبة للأمال وتحديا وأقل تفهما . ومثل معظم الأمريكيين فقد كنت اهتم وأشارك الولايات المتحدة في التزامها العميق والدائم ازاء وجود أمن وسلام هذه الديمقراطية الصغيرة والمحاصرة . ان تخصيص الحكومة الامريكية لأكثر من سبعة ملايين دولار يوميا للاسرائيليين كمعونات اقتصادية وعسكرية وأن مثل هذا المستوى من المعونة المالية نادرا ما يناقش بصورة جدية عند اعداد الميزانية السنوية في واشنطن ، قد أدى الى اثارة مشاعر الخوف والادانه بين الزعماء العرب بل وبين بعض الدول الأوروبية . وليس من السهل شرح أسباب الابقاء على هذا الالتزام الثابت لغير الأمريكيين .

ولا يوجد مجال للشك في ان واحدة من اقوى القوى السياسية في أمريكا تتمثل في الجهود المركزة والمنظمة تنظيما جيدا التي يبذلها مواطنون متحمسون سياسيا يعتبر تأييدهم الثابت للسياسات الحالية التي تمارسها الحكومة الاسرائيلية ، مهما كانت ، مؤكدا أكثر بكثير من تأييد أي جماعة داخل اسرائيل ذاتها .

وعلى أية حال فهذا جانب واحد من الصورة . فهناك تأييد واسع لاسرائيل بين ملايين المواطنين في الولايات المتحدة من غير اليهود الذين لا علاقة لهم بأية جماعة من جماعات اللوبي ، فالأمريكيون يرفضون التصرفات الارهابية التي تنتشر على نطاق واسع ضد المدنيين الأبرياء ، فلا تزال فكريات الإبادة حية ، وهناك

تعاطف واحساس ببعض الذنب بسبب صمت واشنطن المنكوك فيه أثناء الابادة
الهتلرية لليهود الأوروبيين . فكل الطوائف المسيحية تشعر بالقتارب مع اسرائيل
بسبب روابطنا الدينية ونداءات اسرائيل — الدولة الصغيرة المضطهدة — انى
تلقى تعاطفا واستجابة لدى اغلب الأمريكيين . وتسمع الاصوات القسادية من
اسرائيل سادة من اخبار من اخبار الادعاءات التى غالبا ما تقدمها تسنر رويد .
ولكن — باستثناء انور السادات — فان أى زعيم عربى لم يستطع ان يكون مؤثرا
فى تقديم وجهات نظر شعبه للرأى العام الأمريكى ، والمواطنون الذين يسمعون
فى قلب الولايات المتحدة يشعرون بالرضا لان الانزمات الدينيه والاحلاميه
والسياسيه والاستراتيجيه المشتركه للدولتين متوطده بشكل كامل ووثيق .

وفى نفس الوقت يعلم المسئولون الحكوميون فى واشنطن أن تأثيرهم على
سياسات اسرائيل فى اوقات الازمات طفيف الى حد الاحراج فى بعض الأحيان .
ويبدو فى اغلب الأحيان أن انزعاء الاسرائيليين يحصلون على شعبيه سياسيه
فى الداخل عندما ينظرون بازدياد الى القوة العظمى ويلوون انفسها . فانى انقذ
على لسياسة رئيس الوزراء بيجين من جانب البيت الأبيض او وزارة الخارجية
الأمريكية كان يؤدى عادة الى الاعلان عن اقامة مستوطنات جديدة فى الضفة
الغربية وربما يؤدى الى نقل مكتب حكومى اسرائيلى آخر الى القدس اشرقيه .

وبالرغم من هذه الروابط الطبيعية التى تربط بين المديتراطيين فان الحفقه
نؤكد أنه ، حتى رحت افضل استفسرات ، فان مصالح الولايات المتحدة واسرائيل
ليست متطابقة كلية . ولم يقم القادة السياسيون فى كلتا الدولتين بنقسيهم —
هذا الخلاف علنا ، او الاشاره اليه فى خطبهم بشكل محدد . فمنذ تأسيس دوله
اسرائيل والرؤساء الأمريكيون يسعون الى تحقيق أهداف عريضه — نوب —
فى الشرق الأوسط دون الاعتراف بأن هناك تعارضا واضحا بين هذه الاهداف أو
دون الاختيار فيما بينها .

وفىما يلى بعض أهم هذه الاهداف :

- ① منع نشوب أى حرب بين العرب واسرائيل قد تؤدى الى مواجهة
بين الدولتين العظميين .
- ② حماية وجود وأمن اسرائيل .
- ③ تشجيع احتمالات السلام الدائم باعتبار أن الولايات المتحدة وسيط
موثوق به وخاصة بين اسرائيل وجيرانها ، على أن يقوم هذا السلام
على أساس انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة وحل القضية
الفلسطينية حلا عادلا بما فى ذلك منح الفلسطينيين حق تقرير مصيرهم .
- ④ المساهمة فى التقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى وتعزيز الحقوق
الانسانية لجميع شعوب المنطقة .

- ② الاحتفاظ بعلاقات طيبة ذات مصالح متبادلة مع المعتدلين العرب .
- ③ ضمان التدفق المستمر للنفط الى الديمقراطيات الغربية .
- ④ منع "سباق الخدابر في التسلح وخاصة الاسلحة النووية .
- ⑤ الحد من النفوذ السوفياتي في الدول العربية ومنع سيطرة السوفيات على أى جزء في المنطقة .

منذ تعرضت بمعنى هذه الاهداف الايركية للخطر بسبب السياسة الاسرائيلية بما صاغتها حكومة الليكود ، والتي يبدو أنها استهزت بسبب انشغال السياسي الذي أصاب الوحدة الوطنية الجديدة . فالمسائل الخاصة بالانسحاب من الاراضي المحتلة وحقوق الفلسطينيين كما وردت في قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، لم تكن ذات مكانة عند أسبحت لديها حاليا ردود مختلفة تماما في كل من واشنطن والقدس . واعاقة مثل هذه الخيارات من جانب اسرائيل سيؤثر مباشرة على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط . ففي أوقات الخطر أو الأزمات الخارجية ، ساعدت المقترحات الأمريكية تجاه السلام في الماضي على تجنب التوتر . كانت من احتمالات انفجار الأوضاع ، كما سمحت لولايات المتحدة بأن تتجنب التورط العسكري المباشر . ولكن حتى هذه الفرص القليلة زادت تقلصا .

وخلال السنوات الأخيرة كان هناك العديد من الجهود المتوازية من أجل تحقيق السلام ، وتركز جميعها على استعداد اسرائيل لمبادلة الأراضي مقابل "السلام" . وهذا التعهد قد تم تأكيده رسميا من جانب اسرائيل في اتفاقيات كامب ديفيد . ومع ذلك فإن التصريح الذي أدلى به الرئيس ريجان بشأن هذا الموضوع في ١٠ سبتمبر عام ١٩٨٢ قوبل بالرفض فورا من جانب بيجين الذي قام بعد ذلك بإعلان عن مخططات جديدة تستهدف توسيع نطاق السيطرة الاسرائيلية على الضفة . وقد تنازلت الولايات المتحدة في ذلك الوقت عن الخوض في هذه المواضع . إن اتجاه الرأي العام الى إمكانية استعداد الملك حسين لقبول ترشيح الرئيس الأمريكي والذي سبق وأن رفضه كأساس للتفاوض .

في عهد حكومة الوحدة الوطنية كان هناك خلاف في الرأي من انصار ، الذين كان من المستحيل حله . فقد أدان رئيس الوزراء بيريز وأنصاره رفض تمديد المفاوضات كإستراتيجية ، لأنهم أوضحوا أنهم لا يوافقون على كل تنازله . ومعنى اللجوء أكثر تشددا في معارضته بالمقارنة بحزب العمل في تأييده لهذا التصريح . وهذا الخلاف أسفر عن نتائج خطيرة .

يشعر العديد من الاسرائيليين بالقلق تجاه التمسك الغريب ، لأنه إن يكون هناك أى احتمال لاجراء مفاوضات سلام ، وأنه من المحتمل إلغاء معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، والتزامهم أمام جيل جديد

بالصراع مع جيرانهم العرب الذين سيعارضون مرة أخرى وجود إسرائيل .
وكل هذا يشكل مصالح استراتيجية هامة بالنسبة للولايات المتحدة التي لن
تذهب خلافاتها الواضحة والمحددة مع إسرائيل ادراج الرياح .

ولسم يكن واضحا تماما كيف ستتصرف الولايات المتحدة اذا واجهت
الاختيار الصعب للغاية وهو اما الاستمرار أو عدم الاستمرار في مساندة
وتمويل السياسات الاسرائيلية التي تتعارض مع الاهداف الأمريكية في
المنطقة . وأصبح الوضع يشويه الغموض أو الحيرة وتعرض رد فعل أمريكي
واضح للانحراف بسبب الأزمة اللبنانية ثم بسبب الانتخابات الوطنية في كل
من إسرائيل والولايات المتحدة ، ولكن لم يكن ممكنا تجاهل هذه الحقائق لفترة
اطول من ذلك . وحتى يمكن تجنب أية عزلة لاحقة لإسرائيل داخل المجتمع
الدولي كان لابد أن يكون هناك تفاهم واضح مع واشنطن حول الاهداف
المتبادلة ومجالات أخرى للاتفاق حيث يمكن الاعتراف بمصالح كل من الدولتين
واحترامها .

وشكى لى بعض القادة الاسرائيليين من أن الأمريكيين مهتمين للغاية بمسألة
التفاوض والبحث غير المجدى لتحقيق اتفاق بين الذين ورثوا خلافات لايمكن
التوفيق بينها . والشئ الذى يفضلونه هو تقديم مساعدات مالية غير
مشروطة وتأييد سياسى بدون ضغط دبلوماسى دائم من جانب واشنطن الأمر
الذى أدى فى الماضى الى خلافات سابقة بين إسرائيل والولايات المتحدة .
وكانت اجابتي دائما تتلخص فى أن اتفاقيات السلام تعتبر افضل لبلاينا وأن
التأييد المستمر لإسرائيل يجب أن يتوقف الى الى حد ما على مدى الجهد المخلص
الذى يبذله الاسرائيليون للعيش فى انسجام مع جيرانهم العرب ، والتفاوض
من أجل السلام بما يتفق مع التعهدات القائمة ، واحترام الحقوق الانسانية
لكل الذين يخضعون لحكمهم .

فلا يزال هناك المتسع من الوقت من أجل تحقيق التقدم بالرغم من
أن البعض يعتقد أن مصير الضفة الغربية وغزة قد سبق أن تقرر وأنه
لا جدوى من مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى ، ويقى أن تبرهن احدى
الحكومات الاسرائيلية كيف يمكن تحقيق تعايش سلمى عادل بين الفلسطينيين
واليهود . ولذلك لا يتعلم احد من واقع التجربة النتائج المحتملة لمثل هذا
الجهد .

وبدون تطهير المنطقة من العرب المسيحيين والمسلمين فانه من المستحيل
تصور أن يكون للاسرائيليين الذين يعيشون فى الضفة الغربية وغزة الاغلبية ،
وقد أدت القيود التى فرضت على الميزانية فى عام ١٩٨٣ ، الى تقليل جهود

الليكود الرامية الى تعمير المناطق باليهود حيث يوجد فيها مالا يقل عن ٣٠٠٠٠ يهودى يشكلون فقط ٢٪ من عدد السكان . بيد انه حتى اذا استمرت المعدلات المرتفعة لانشاء المساكن فان معدلات زيادة المواليد السريعة بين العرب الفلسطينيين واصرارهم على عدم مغادرتهم المنطقة سوف تؤدى الى تغيير طفيف فى معدلات السكان بين اليهود وغير اليهود خلال نهاية هذا القرن . وفى القدس فان معدل زيادة العرب حاليا يعتبر أعلى من معدل زيادة اليهود ، وبوجه عام فان السكان الفلسطينيين يعتزمون تحقيق زيادة سريعة فى نفس المجتمعات التى تعيش فيها مستوطنات متقدمة للغاية ، وانه من المحتمل ، مع بقاء المعارضة الفلسطينية المثابرة فى المناطق المحتلة ، ان تستمر المستوطنات اليهودية فى الزيادة بشكل بطيء على أحسن الأحوال وربما باستثناء ضواحي القدس الجديدة .

وقد أعد ميرون بينفينستى وهو نائب عمدة سابق للقدس دراسة محددة للسكان والأراضى والتفريعات الاقليمية والمشروعة فى المناطق المحتلة ، ويعتقد أن مسألة تولى الليكود السلطة من غير المحتمل ان تأخذ صورة عكسية وأن مسألة التقسيم ستكون مسألة فوضوية ، واختتم قائلاً : « والآن ، ولواجهة احتمال السيطرة على أكثر من مليون عربى ، لن يكون لهم حقوق ديمقراطية كاملة ، فانه يجب على الجانبين ان يقدموا اجابات واقعية لسؤال آخر مختلف يتلخص فى : هل يجب ان تكون اسرائيل دولة يهودية أو دولة ديمقراطية ؟ » وهذا النوع من الأسئلة ليس من السهل الاجابة عليه .

وكان يأمل العديد من الناس فى ان تأتى انتخابات عام ١٩٨٤ ببعض الاجابات الواضحة وبتغير كبير فى سياسة اسرائيل ولكن النتائج غير المحددة أدت الى أسابيع من التفاوض ، وضعفت الحكومة الجديدة التى تشكلت من الحزبين الكبيرين ، اللذين طلبا أن يكون لكل منهما نصيب متساو فى السلطة فى نهاية المطاف واصر القادة من الحزبين عملية انسحاب القوات الاسرائيلية من جنوب لبنان — عندما تكون الحدود الشمالية الاسرائيلية فى مأمن من الهجمات القادمة من الشمال — ومع كل ذلك فان مستقبل الضفة الغربية وغزة تسم وضعه فى المرتبة الدنيا من حيث الأسبقيات فى جدول اعمال الحكومة المهجنة .

وحتى مع القادة الجدد فان الاسرائيليين ما زالوا يسرون أن وضعهم المالى يتدهور وأن دولتهم أجبرت على التخلّى عن هدفها فى تحقيق الاكتفاء الذاتى عندما أصبحت معتمدة أكثر على معونات الولايات المتحدة من أجل البقاء الاقتصادى . ولم يكن هذا القلق بشأن الاعتماد على الولايات المتحدة يساور الجميع ، وعلى أية حال فان الاسرائيليين كما كتب ناشر الصحيفة الاسرائيلية الرئيسية « ها آرتس » فى صيف عام ١٩٨٤ يقول : « يميلون الى

اعتبار معونة أمريكا الاقتصادية والتي ازدادت بشكل كبير خلال العشر سنوات الأخيرة ، بمثابة جزء من ثروتهم الطبيعية والاعتماد على المعونات الخارجية ليس أمرا مثيرا للشك . والواقع ان سياسة المليكود صرحوا مرارا بأن المعونات الأمريكية ليست كبيرة بدرجة كافية في مقابل الفوائد الضخمة التي تعود على المصالح الأمريكية الناجمة عن وجود إسرائيل ووظيفتها التي تؤديها لها . وطالما أنه لا توجد ضرورة ملحة لتحقيق تغير أساسى فى السياسة الاقتصادية فان التغير الأساسى ليس من المحتمل أن يحدث » .

ومع قدوم عام ١٩٨٤ أصبح من الواضح بشكل كبير أن الحاجة الماسة للمعونة الأمريكية أمر قائم بالفعل ، وكان الخوف الذى يساور بعض الاقتصاديين الإسرائيليين الصرحاء يكمن فى وجوب أن تكون معونات الولايات المتحدة سخية للغاية ، وكانوا يخشون من احتمال قيام الزعماء الإسرائيليين مرة أخرى بتأجيل القرارات الصعبة اللازمة للسيطرة على التصاعد السنوى لمعدل التضخم الذى وصل الى أكثر من ٥٠٠ فى المائة ، الأمر الذى يعتبر استنزافا خطيرا للاحتياطيات المالية الوطنية ، كما يمثل أعلى دين أجنبى للفرد فى العالم . ولأول مرة فى تاريخها تصبح إسرائيل أكثر قلقا ازاء الازمة الاقتصادية من التهديد العسكرى .

ولكن الضغوط الاقتصادية ليست منفصلة عن البحث عن السلام . فالتكاليف الباهظة التى تواجهها إسرائيل نتيجة لاستمرارها فى احتلال الأراضى العربية وتلبية احتياجات العديد من اللاجئين المشردين والتوسع المذهل فى مجال القدرة العسكرية وبناء مستوطنات فى الضفة الغربية وغزة ، قد أصبحت أكثر وضوحا وأصبح لها تأثير فعلى على بعض سياسات الحكومة . وقد انتهى بناء المستوطنات فعليا مع نهاية عام ١٩٨٣ ، وكان أحد الأسباب الرئيسية التى أدت الى الانسحاب من جنوب لبنان هو التكاليف اليومية لهذا الاحتلال . لقد خضعت حتى بعض المقترحات الخاصة بتخفيض الميزانية العسكرية التى كان لها قدسية خاصة لاعادة النظر فيها ، ولكن لم يتم اتخاذ أى اجراء يمكن أن يضعف الدفاع الاسرائيلى . ولقد برهن العرب القادرون على أنهم قادرون على ان يخسروا الحرب ، وعلى أن يجمعوا فى كل مرة شتاتهم لشن حرب جديدة . هناك حدود صارمة مفروضة على قدرة إسرائيل على توقيع العقاب على العدو المنهزم . وبالنسبة للإسرائيليين فان الظهور بالضعف الشديد أو هزيمة نكراء يمكن أن تعنى فقدان لحياتهم وضياع لدولتهم ، ولهذا فانهم غير مستعدين للخسارة .

وإذا لم تقع حرب اسرائيلية — عربية شاملة فان مفتاح مستقبل إسرائيل ان يوجد خارجها ولكن فى داخلها ، ولن تتمكن الولايات المتحدة أو أى

تجمع من القوى العربية من اجبار اسرائيل على تغيير اختياراتها فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة والحقوق الفلسطينية او فيما يتعلق بالاراضي المحتلة من سوريا ولبنان .

والحكم على ما هو افضل بالنسبة لاسرائيل سوف يتم في القدس من خلال عمليات ديمقراطية يشترك فيها كل الاسرائيليين الذين يمكنهم التعبير عن وجهات نظرهم او انتخاب زعمائهم . وتجرى مناقشة الموضوعات الحاسمة بحماس شديد هناك داخل اسرائيل اكثر من اى مكان آخر في العالم الخارجى ولم يتم اتخاذ قرار نهائى بعد . وسوف ترسم هذه المناقشة مستقبل اسرائيل . ويمكن ايضا ان تحدد احتمالات السلام في المشرق الاوسط وربما في العالم بأسره .

سوريا

ان تجسولات سيدنا ابراهيم جعلته يخترق اراضي سوريا القديمة ، ومن المؤكد انه توقف لفترة في دمشق . وهذه المدينة التي تعتبر العاصمة العصرية لسوريا ، هي اقدم مدينة في العالم ولا تزال مستمرة في وجودها . وتقع هذه المدينة في تجويف واسع طبيعي لواحة — وقد اقيمت دمشق منذ اكثر من ٣٠٠٠ عام قبل مرور سيدنا ابراهيم والسيدة سارة ولوط عليها وهم في طريقهم الى ارض كنعان .

وهذه المنطقة التي تعتبر جزءا من الهلال الخصيب — كانت احدي المراكز الاربعة الاولى للحضارة الانسانية (والمراكز الاخرى المشابهة هي المعروفة الآن بالهند والصين ومصر) . وكان هناك صراع مستمر بين السكان الاصليين الاثرياء نسبيا في هذه المنطقة وبين الفزاة البرابرة القادمين من مناطق اقل خصوبة سواء من الشمال او من الغرب . وفي هذه المنطقة واجه قدماء المصريين اول من واجهوا شعب حوض نهر الفرات العظيم اثناء غزواتهم الطموحة للتوسع شمالا . وفي هذه المنطقة كانت الحدود الوطنية تتغير باستمرار . ومع ذلك فان سوريا القديمة يتم تحديدها عادة بحيث تشمل سوريا الحديثة ولبنان واسرائيل والاردن . والآن عندما يشير بعض الزعماء العرب الطموحين الى سوريا الكبرى فانهم لا يزالون يتصورون نفس الاراضي .

وازدهرت الديانات الثلاث الموحدة بالله وهي « اليهودية » ، والمسيحية ، والاسلام « في هذه المنطقة السورية التي تشمل الهلال الخصيب . وكانت كل جماعة من المؤمنين بالدين مقتنعين بأن ديانتهم هي الافضل . وان — كان تواجد الجغرافي امر من الله . وعلى الرغم من أن السبب في اختيار الخالق لهذه الارض ، على وجه الخصوص ، لم يتم معرفته بعد ، فان المؤرخين العلمانيين يتخيلون أن اختلاط الانسان النشط غير العادي كنتيجة لالتقاء طرق التجارة بين البحر الابيض وجنوب أوروبا وحوض النيل وشبه الجزيرة العربية وسهل ايران في حوض الفرات ، قد ساعد على نشر المعتقدات الدينية المختلفة .

ولذلك لم يكن امرا مثيرا للدهشة ان تكون هذه المنطقة محل صراع مستمر خلال العصور الاكثر حداثة والسجلة تاريخيا ، شمل العديد من الفاتحين كالبابليين والعموريين والمصريين والحيثيين والآشوريين والاسرائيليين والفرس ، والاغريق والرومان ، ثم جاء العرب المسلمون من الجنوب الشرقي

ثم الصليبيون من أوروبا الغربية ثم الاتراك والمغول والمصريون مرة أخرى . وفي النهاية ومع بداية القرن السادس عشر أصبحت سوريا جزءا من الامبراطورية العثمانية لمدة أكثر من أربعمئة عام .

وخلال الحرب العالمية الاولى ، وبعدها ، تم طرد الاتراك ، وفضل الفرنسيون مع الزعيم فيصل الأول للسيطرة على سوريا ، ولما انتصر الفرنسيون اقتطعوا الجزء الغربى على طول الساحل من البحر الابيض المتوسط واقاموا دولة لبنان المستقلة — وكان أغلب سكانها من المسيحيين ، وكانت المنطقة الشرقية من لبنان لقرون عديدة مركزا للمسلمين ، الذين اعلنوا انفصالهم عن بقية سوريا . وعلى الرغم من أن الفرنسيين في عام ١٩٢٥ قد وعدوا السوريين بالاستقلال وتشكيل حكومة برلمانية قبل الحرب العالمية الثانية فإن فرنسا لم تف بوعودها ولم يحدث الا في عام ١٩٤٦ وبمساعدة البريطانيين أن أجبرت سوريا بقية القوات الفرنسية على الرحيل من اراضيها .

وقد أدى فشل العرب في الانتصار خلال حروبهم ضد دولة اسرائيل الجديدة الى توجيه نقد لاذع للحكومة المدنية في سوريا والى وقوع انقلاب عسكري في عام ١٩٤٩ — ولكن بعد خمسة أعوام من حكم زعماء عسكريين مختلفين تم اجراء انتخابات حرة اعطت المرأة حق الانتخاب — وضم البرلمان عددا كبيرا من الجماعات السياسية وحدث تحول يسارى راديكالى في سوريا عام ١٩٥٨ وانضمت سوريا الى مصر ليكونا معا الجمهورية العربية المتحدة . وبعد ثلاثة أعوام أصبح من الواضح أن مصر في عهد عبد الناصر كانت تسيطر على الدولة الجديدة ، الامر الذى لم يعجب القادة السوريين مما أدى الى الانفصال ، وعندما سادت البلاد بعد ذلك فترة من عدم الاستقرار تشكلت حكومة راديكالية في عام ١٩٦٦ برئاسة صلاح جديد وتولى اللواء حافظ الاسد منصب وزير الدفاع وبعد أربعة أعوام أصبح الاسد زعيما لسوريا .

ومن اجل فهم سوريا اليوم نماته ينبغي معرفة الخطوط العريضة لمواقفها الرسمية فيما يتعلق بالظروف في الشرق الاوسط ، لان وجهة النظر في دمشق تختلف مبدئيا عن وجهات النظر التى تتبناها عادة اسرائيل وأوروبا والولايات المتحدة ، وعقب محادثاتي الطويلة مع الرئيس الاسد في عام ١٩٧٧ — وعام ١٩٨٣ ومقابلتي مع قادة سياسيين وأكاديميين آخرين ، ودراسة تصريحاتهم الرسمية التى نشرت في العالم العربى فقد أصبح نموذج شكواهم ومعتقداتهم أكثر وضوحا وكانت أفكارهم بخصوص أغلب النقاط الخاصة باسرائيل تتفق تماما مع أفكار العديد من العرب الآخرين .

ان السوريين يشكون من ان الاسرائيليين يعتبرون بلادهم حق لاى يهودى فى العالم يحتاج او لا يحتاج الى الاقامة فى الاراضى العربية التى يسيطرون عليها بالقوة — وهى الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وأجزاء من اسرائيل نفسها — ولكنهم يرفضون السماح للعرب المشردين ، والعرب الذين يعانون من طردهم من بلادهم ، بالعودة الى الديار والاراضى التى لا يزالون يحتفظون بصكوك ملكيتها . ويجادل السوريون بأنه بينما تدعى اسرائيل بأن من حقها اقامة دولة فى فلسطين عام ١٩٤٨ لانها بذلك تعيد انشاء دولة تم تدميرها فى العصور القديمة ، فانها ترفض الاعتراف بالدولة الفلسطينية فى نفس المنطقة — هذه المنطقة التى سكنها الفلسطينيون واسلافهم بصفة مستمرة لعدة آلاف من السنين . وعلاوة على ذلك فانه لا توجد دولة على الارض تعترف بمطالب اسرائيل الحالية للاراضى التى سبق مصادرتها منذ عام ١٩٤٨ . ويقول السوريون ان الاسرائيليين يزعمون أن يهود العالم يعتبرون شعبا واحدا بصرف النظر عن الاختلافات الواضحة فى هويتهم ولغاتهم وعاداتهم وانتماءاتهم الوطنية ، ولكنهم ينكرون أن يكون الفلسطينيون شعبا متماسكا علاوة على أن لهم هوية وطنية واحدة ولغة واحدة وثقافة واحدة وتاريخا واحدا . ويعتبر السوريون أن التفرقة تشكل نوعا من العنصرية ، التى من خلالها تعتبر اسرائيل الفلسطينيون كشعب فى مرتبة دنيا ليس له الحق فى تقرير مصيره ويسخرون من الادعاء الاسرائيلى بأن اسرائيل تمثل ديمقراطية حقيقية وتجعل المساواة السياسية والاجتماعية مقصورة على اليهود فقط .

وبخصوص البحث عن السلام فان السوريين يجادلون بأن اسرائيل وهى تسعى الى ضمان أمنها تحاول أن تخلق المعاذير للتوسع ، ولاحتلال اراضى جديدة وبناء مواقع عسكرية دائمة ، تطورت الى مستوطنات مدنية ، وبعد ذلك تخلق ظروفا للدفاع عن المستوطنات الجديدة عن طريق تحقيق توسع جديد وتدعيم قواتها العسكرية وطرد السكان العرب . ويؤمن السوريون بأن ازهاق روح انسان عربى يعتبر نسبيا امرا لا اهمية له بالنسبة للاسرائيليين ومؤيديهم من الامريكيين ، الذين يربطون عمليات الارهاب بالفلسطينيين لتبرير هذا الموقف العنصرى . وتفسير مثل هذه السياسة المشتركة يتلخص فى الطموح الامريكى الاسرائيلى المشترك للسيطرة على الشرق الاوسط على حساب شعوبه الوطنية التى تريد فقط الحصول على حريتها وأن يكون لها الحق فى الحياة بسلام فى اوطانها .

وبسبب رفض مناقشة السلام مع الفلسطينيين ، تضع الولايات المتحدة واسرائيل حجر عثرة أمام المفاوضات ، باستثناء حالة تكونان فيها قادرتين على اختيار مجموعة عربية واحدة واغرائها عن طريق التهديدات أو المداهنات للعمل مع اسرائيل والولايات المتحدة فقط . وعندما وافق السادات على التفاوض وحده مع الولايات المتحدة واسرائيل وحصل على ثمن ذلك باسترجاع سيناء

المحتلة ، ادعى الاسد ان السادات اعطى الاسرائيليين شيكا على بياض للقيام باعتداءات أخرى ضد العراق وسوريا ولبنان والفلسطينيين . وابرز الاسد أن سوريا أعربت عن رغبتها في العمل من أجل السلام من خلال الوسائل التالية :

● احترام قرارات الامم المتحدة الخاصة بالصراع العربي الاسرائيلي وليست اسرائيل ولا الولايات المتحدة على استعداد لتنفيذ ذلك .

● تأييد القرار الدولي الشامل الخاص بأن الفلسطينيين شعب ، شأنه شأن غيره من شعوب الارض ، له الحق في تقرير مصيره ، ولا اسرائيل ولا الولايات المتحدة تقبل ذلك .

● احترام القانون الدولي الذي يمنع احتلال وضم الاراضي التابعة لدولة أخرى مستقلة ، ولا توافق اسرائيل على ذلك كما ان الولايات المتحدة تدول هذا العمل غير الشرعي .

● رسم حدودها واحترام حدود الدول الاخرى الدولية المعترف بها وهذا لن تفعله اسرائيل .

● انسحاب القوات السورية من لبنان اذا طلبت الحكومة اللبنانية ذلك وحتى اخيرا على الاقل لم تقدم اسرائيل التزاما مماثلا .

ويتضمن الاقتراح السوري بتحقيق السلام النقاط التالية :

● عقد مؤتمر دولي تحت رعاية الامم المتحدة تتم فيه ترجمة الدعوة الى جميع الاطراف المعنية بما في ذلك الاتحاد السوفيتي .

● تمثيل الشعب الفلسطيني عن طريق منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي لهم .

● ان تكون قواعد القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة الاساس لاي حل .

● ضمان مجلس الامن للسلام بين جميع دول المنطقة بما في ذلك دولة يتم انشاؤها عن طريق حق تقرير المصير للفلسطينيين .

وبالرغم من أن أغلب وجهات النظر السورية تتفق مع وجهات نظر دول عربية أخرى ، فإن بعض تلك الدول ترغب في قبول أو تجاهل الظروف القائمة والتي استمرت لفترة طويلة من أجل التفاوض لتحقيق تقدم مطرد كما فعل السادات ، ولكن حافظ الاسد قال أنه يقف بشدة ضد مثل هذه « المناورة المسببة للخلاف » . وكانت اول مقابلة لى مع الرئيس الاسد في مايو عام ١٩٧٧ عندما سافرنا الى جنيف بسويسرا للتوصل الى نوع من الارضية المشتركة لتحقيق

سلام في الشرق الاوسط . ودعسوته لزيارتي في واشنطن ، ولكنه اخبرني بأنه لم يسبق له أن زار الولايات المتحدة وربما سيكون غير قادر لزيارتها في أي وقت في المستقبل القريب . ولم يكن يعرف عن شخصه أو حياة أسرته مستوى القليل ، ولكن هنري كيسنجر وغيره من الذين يعرفون الاسد وصفوه لى بأنه بحكم كونه شخصا ذكيا فهو مستعد لمناقشة حتى أكثر الموضوعات حساسية بصراحة تامة .

ان حافظ الاسد يصغرني بأربع سنوات فقد ولد عام ١٩٢٨ وتخرج في الاكاديمية العسكرية السورية وترقى بسرعة في الرتب ليصبح لواءا وقائدا عاما للقوات الجوية . وبعد ذلك تولى منصب وزير الدفاع عام ١٩٦٦ . وتمكن — بنجاح — من القضاء مسئولية الهزيمة السورية المهيمنة من الاسرائيليين عام ١٩٦٧ على غيره ، واستطاع أن يفرض سيطرته القسوية على الجيش السوري . ورفض عام ١٩٧٠ اطاعة أوامر الرئيس صلاح جديد باستخدام القوات الجوية السورية في مساعدة المقاتلين الفلسطينيين الذين كانوا يقاتلون الملك الاردني حسين . وعندما أدين بسبب ذلك من جانب زعماء الحزب والحكومة، تحداهم واستخدم الوحدات العسكرية الرئيسية في الاستيلاء على السلطة في انقلاب غير دموي ناجح .

ويشتهر الاسد بين غيرد من الزعماء العرب ، بأنه قاس وعنيف تجاه السوريين الذين يقاومون سلطته . وكان معروفا عنه جيدا هدفه الوحيد الذي يتلخص في حماية مناطقه من التدخل الخارجي ، وبتدعيم دور سوريا باعتبارها القوة المهيمنة في الشرق الاوسط . ويعتبر الاسد لبنان جزءا لا يتجزء من دولته ، وكان يعتقد أنه أمر طبيعي أن يتم ارسال قوات سورية الى لبنان في عام ١٩٧٦ لوقف الحرب الاهلية اللبنانية . وكان يستاء من أية معارضة بخصوص زعامته العربية — سواء من مصر أو الاردن أو من منظمة التحرير الفلسطينية أو من أي مصدر آخر — وكان مستعدا لمواجهة أي مصادمات سياسية أو عسكرية عنيفة من التخلي عن هذا المبدأ . ويدين الرئيس الاسد علنا ، وباستمرار ، السياسة الاسرائيلية الخاصة بالاراضي المحتلة وحقوق الفلسطينيين ، ولكن خلافه لم يكن مقصورا على اسرائيل ، فقد توترت علاقاته مع زعماء مصر والاردن والعراق مؤخرا ، كما قام بتغيير دور قواته الموجودة في لبنان التي تتألف من ٣٠.٠٠٠ مقاتل من مساندة القوات المسيحية كلية ، الى القيام بدور حيادي أكثر شعبية لمواجهة الانتقادات التي يوجهها اليه أتباعه من المسلمين .

وعلمت من تقارير الأمن المفصلة ان سوريا أصبحت معزولة نسبيا من جانب الدول الاخرى ، وأن الاسد شخصيا يقف عادة بمعزل عن زملائه القادة العرب ، وأنه الآن مهتم بالوضع السياسي الداخلي في بلاده ،

ولهذا لم افاجأ عندما وجدته باردا ومتوترا اثناء محادثاتي معه .

لقد تقابلنا في احد الفنادق السويسرية الكبرى ، الذى عادة ما يستخدمه الدبلوماسيون المحترفون كأرض محايدة لمعالجة العديد من القضايا التى تشغل البيروقراطية الدولية الضخمة وغير المعروفة نسبيا وغير المرئية . وقد اصطحبني عبر بهو الفندق خليط يضم مديري الفندق وبعض المسئولين السويسريين والسوريين ورجال الأمن الامريكيين ومجموعة من المسئولين البارزين ، واجتازنا طريق كثير الممرات والقاعات ، ثم صعدنا بالمصعد الى أعلى وأخيرا وصلت الى الجناح الخاص بالرئيس السوري .

كان الاسد متعاليا نوعا ما خلال الدقائق الاولى القليلة من مقابلتنا ، وبدا اكثر طولا وهو منتصب في وقفته العسكرية المبالغ فيها . وقد استطاع أن يحتفظ بابتسامة هزيلة على وجهه ليبدو وكأنه مرتاحا مبتهجا ، وان كانت تساوره بعض الشكوك حول ما كان يسمعه . غير اننى وجدت امامى انساذا لطيفا وهادئا للغاية يمزح اثناء عرض ملاحظاته ويقدر تماما ما أبذله من جهود للاعداد لعقد مفاوضات سلام . وبدانا نستمتع بالحديث معا ، وحاول بعضنا أن يراوغ البعض الآخر ، وأن يتفوق كل منا على الآخر بانتزاع ضحكة مؤيدة من مساعدينا ومستشارينا الذين كانوا يشاركوننا هذا الحديث . وقد استمعنا أثناء مناقشة ممتعة استغرقت من ساعتين الى ثلاث ساعات — الى وصف عملى فاطر لموقف سوريا المتشدد ، وكان من الواضح ان الاسد يشك في نجاح مجهوداتى من أجل جمع الاطراف المتنازعة على مائدة المفاوضات ، ولكنه كان يرغب في أن نقوم بدراسة البدائل العريضة امامنا حول كيفية اعادة عقد المؤتمر المسمى بمؤتمر جنيف على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ الذى يعتبر الصيغة الوحيدة والاساسية التى يجب دراستها بهدف اجراء محادثات سلام شاملة . وكان الاسد قد سبق له أن رفض المشاركة في الاجتماع الوحيد القصير غير الحاسم الذى رتبته اتفاقيات فك الاشتباك بعد انتهاء حرب ١٩٧٣ ، ولكنه قال انه مستعدا دائما لحضور أى اجتماع يهدف الى اجراء محادثات جادة يمكن ان يتم اعدادها في هذا الاطار ، ومع ذلك فقد عارض بشدة اجراء أى محادثات ثنائية بين اسرائيل وبين واحدة من جيرانها العرب بمعزل عن بقية الدول العربية ، كما عارض قيام الولايات المتحدة بتبنى محادثات السلام بدون المشاركة المتكافئة للاتحاد السوفيتى .

ومن المعروف أن سوريا لها علاقات وطيدة ، منذ زمن بعيد ، مع الاتحاد السوفيتى الذى يؤيد الوضع العربى في خلافاته مع اسرائيل تأييدا قويا ، ويؤيد سوريا ، بوجه الخصوص ، عندما تكون مختلفة مع العرب .

لقد أعريت الكتلة السوفيتية في أراثل عام ١٩٥٤ عن رغبتها في تزويد سوريا بالأسلحة بعد أن رفضت فرنسا الاستمرار في بيع أسلحتها لها ، وخلال العقدين التاليين استفاد السوريون من المعونات الاقتصادية والعسكرية السوفيتية الضخمة .

وعلاوة على ذلك فعندما تعرضت سوريا للتهديدات من جانب القوات المسلحة التركية والإسرائيلية ، صدرت تحذيرات مؤكدة بل وتحركات لاعداد كبيرة من القوات العسكرية ، ليبرهن السوفييت أنهم سوف يتدخلون مباشرة لحماية صديقهم العربي . وكان أول عمل قام به الأسد عندما أصبح رئيسا للجمهورية السورية في عام ١٩٧٠ هو قيامه بزيارة لموسكو ليؤكد من جديد العلاقات الحميمة بين البلدين .

بيد أن السوريين لم يترددوا على الإطلاق في اغضاب الكرملين عندما يكون الأمر متعلقاً بتحقيق أغراضهم . فبالرغم من معارضة السوفييت انضمام سوريا الى مصر لاقامة الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٥٨ ، إلا أن سوريا لم تدعن لهم ، كما أن الأسد — شخصياً — قد سبق له أن رفض طلبات السوفييت الخاصة بحضور سوريا مؤتمر جنيف الخاص بمحادثات الشرق الأوسط للسلام في عام ١٩٧٣ . وبعد ذلك بثلاثة أعوام حرك ٣٠.٠٠٠ من قواته الى لبنان وظل محتفظاً بها هناك بالرغم من أن الرئيس ليونيد بريجنيف قد عارض بشدة وعلناً التدخل السوري ضد منظمة التحرير الفلسطينية والقوات اليسارية التي يساندها السوفييت أيضاً . وبالرغم من أن الأسد يعتمد اعتماداً كبيراً على المعونات السوفيتية ويشارك الكرملين في كثير من الاهداف ، إلا أنه لم يكن عميلاً تابعاً له ، وكنت آمل أنه ربما يبرهن على استقلاليته بالعمل معي للتغلب على العقبات التي نواجهها على طريق السلام . وعلاوة على ذلك فإن رغبتى العامة التي كانت تتلخص في إعادة عقد محادثات السلام ، لم تكن متماشية مع ما حاول السوفييت أن يقتنعوا به الأسد لتنفيذه في حالة عدم استبعاد السوفييت من الساحة .

وركز الأسد في حديثه معي ، على أن أساس المشاكل الكثيرة يرجع الى التقسيمات الفرعية التعسفية للمنطقة بواسطة القوتين الاستعمارتين بريطانيا العظمى وفرنسا دون النظر الى الحدود الطبيعية ، ووحدة العراق ، أو الوحدة القبلية ، ومنذ ذلك الحين والاجراءات التي تتخذها إسرائيل تزيد الوضع سوءاً . وأشار الأسد الى أن إسرائيل قد انضمت الى الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ بشرط واضح وهو بالرغم من أن فلسطين قد تم تقسيمها بين اليهود والعرب فإنه سيسمح للفلسطينيين بالعودة الى وطنهم أو تعويضهم بشكل كامل عن ممتلكاتهم التي فقدوها . وقال الأسد لأنه قبل عام ١٩٦٧ كانت إسرائيل تضغط على السكان العرب لتركوا أراضيهم متهاكة بذلك اتفاقيات الأمم المتحدة التي أقسمت إسرائيل على احترامها ، ودبست

حرب ١٩٦٧ بهدف الحصول على اراضي عربية جديدة ، ثم أعلن زعماء اسرائيل أن هذه الحرب بمثابة خطوة نحو « اسرائيل الكبرى » وكان كسل تصرف بعد ذلك يبرهن على اطماعهم التوسعية .

وكان الاسد مقتنعا بأن الاسرائيليين لا يريدون السلام ، وانهم يعملون على افشال المفاوضات مع استمرارهم في الحصول على المزيد من الاراضي ، وأضاف قائلا : انه لا يوجد أى زعيم عربى يمكنه أن يوافق على التخلي عن أى أرض بصرف النظر عن مدى رغبته الشديدة في السلام ، وهذا أمر يؤمن به الاسد ويعتبره كميذا .

وحاولت أن اقنع الاسد بأن الاسرائيليين مستعدون للسلام اذا كان هناك أى زعيم عربى مستعد للتفاوض معهم مباشرة وبنية مخلصنة ، وأكدت على مدى التزام الاسرائيليين بأمن دولتهم الصغيرة نسبيا وحاجتهم الى قبولهم ككيان دائم في المنطقة .

واستخف الاسد بعد ذلك بمفهوم « الحدود الآمنة » في مواجهة الصواريخ الحديثة والطائرات وغيرها من الاسلحة وقال : « انه لمن الغريب أن تصر اسرائيل على أن تكون لها حدودا آمنة على اراضي الشعوب الأخرى فيمكن لاسرائيل أن تأخذ جزءا من الاراضي السورية ، وتأخذ سوريا جزءا من الاراضي التركية ، وتأخذ كندا جزءا من اراضي الولايات المتحدة ، وهكذا يصبح العالم بأسره بمثابة غابة ، ويدعى الاسرائيليون أنهم أخذوا جزءا من الجولان لحماية مستوطناتهم ، ولكنهم بعد ذلك أقاموا مستوطنات جديدة في الجولان وبعض منها يقع على بعد ثلاثمائة متر من اراضيها . لماذا إذن يتعين أن تبعد الحدود الآمنة عن دمشق بخمسين كيلو مترا بينما تبعد عن تل أبيب بثلاثمائة كيلو متر ؟ ان الحديث عن الحدود الآمنة لا يستند على أى شيء حقيقي » .

واقترح الاسد أن حل الخلافات حول الحدود يكمن « في احترام توصيات الأمم المتحدة ، وفي وجود مناطق منزوعة السلاح ، وفي وجود قوات طوارئ دولية في هذه المناطق وانتهاء حالة الحرب . ويجب أن تكون القوات تحت رعاية الأمم المتحدة بشرط عدم تواجد قوات من دول مثل جنوب أفريقيا أو روديسيا أو اسرائيل . وضمان مجلس الأمن لن يكون ضروريا ولكن يمكن أن يكون وسيلة من وسائل الترف المفيدة » .

وادعى الاسد أن المسيحيين واليهود في سوريا يعاملون مثل أى مواطن آخر بشكل عادل ، « ولكننا نريدهم أن يكونوا مواطنين لبلدهم . فاليهود السوريون يجب أن يكونوا مواطنين سوريين واليهود البريطانيين يجب أن يكونوا مواطنين بريطانيين ومخلصين لبلدهم » .

وناقشنا بعد ذلك مسألة اللاجئين الفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، وأصر الأسد على أن قرارات الأمم المتحدة أقرت حق اللاجئين في العودة أو التعويض ، وركز على أنه لا يمكن أن يكون هناك أي بديل لهذا الالتزام الدولي ، ولكن لم يكن هو أو عبد الحليم خدام ، وزير خارجيته ، الذي كان جالسا الى جانبه ، بقادر على الإجابة على أسئلتى الخاصة بعدد اللاجئين أو حجم المبالغ النقدية التي يجب دفعها لهم ، وسألت عما إذا كان عرفات يمكنه أن يتكلم عن الفلسطينيين فأجاب الأسد : « انه يحتاج الى بعض المساعدة منا جميعا ويجب أن نساعد جميعا . وهناك بعض الخلافات والمشاكل بين الفلسطينيين ولكنها جميعا أمور يمكن تسويتها » .

وكانت هذه العبارة إشارة من الأسد بأنه ربما يرغب في التدخل في السياسة الفلسطينية بل وحتى سحب الزعامة من عرفات — الأمر الذي سعى إليه بعد ست سنوات في عام ١٩٨٣ .

وكان الأسد غامضا فيما إذا كان يجب أن تكون هناك دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وغزة ، أو وجود نوع من الاتحاد الكونفدرالى مع الأردن — وكان يبدو عليه أنه يرغب في احترام رغبات الملك حسين في هذا الصدد — الأمر الذي سيكون ، كما علمت ، الاختيار الأخير . وقد توقعت منه أن يطالب بأن يكون للفلسطينيين دولتهم الخاصة . وكان موقف الأسد مطابقا مع إيمانه بأن وحدة هدف الأمة العربية (كما تحددت في دمشق) تعتبر أكثر أهمية من الوطنية الفلسطينية .

ومع اقترابنا من نهاية الحديث سألت الزعيم السوري أن يحدد لى الخطوات الأولى التي يجب أن نتخذها من أجل تحقيق سلام حقيقى ودائم . فأجاب ، « ان أهم شيء هو منع نشوب جولة جديدة من الحرب . وإذا استطعنا إنهاء حالة الحرب — فان ذلك سيقودنا تلقائيا الى حالة السلام . كما أن اتخاذ اجراءات متعلقة بالأمن مثل انشاء مناطق منزوعة السلاح سوف تساعد على كسب الوقت ، واننا نحتاج كذلك الى تحقيق تنمية بلادنا اقتصاديا وتعميرها لاعطاء شعبنا الثقة بأن الوضع الجديد هو الصالح والدائم ، وهذه الاجراءات يمكن ان تخلق وضعاً سيكولوجيا هادئا وتساعد على خلق عهد جديد في المنطقة » .

وسألته عن المقاطعة العربية لاسرائيل ، فأجاب قائلا : انه مع المواقف الاسرائيلية الحالية لايمكن أن يحدث تبادل تجارى بينها وبين جيرانها العرب . وأضاف بعد أن فكر قائلا : « اننا نتكلم طوال الوقت عن الدين ، وإذا أخذت القدس منا فاننا سنكون جسدا بلا روح ، وأنه من غير المناسب أن نظل بالعودة الى حدود ١٩٦٧ ونقصي القدس فقط جانباً » .

وسالت : « هل يمكن أن يكون الأمر أكثر يسرا اذا وضعنا استثناءات أخرى ؟ » .

وضحك الاسد مع مستشارينا الجالسين حول مائدة المفاوضات وقال : « اذا أصر الاسرائيليون على الاحتفاظ بالقدس — فان هذا يشير الى انهم لا يريدون السلام ذلك لاننا مرتبطون بالقدس ارتباطهم بها » .

واجبت باننى مرتبط ايضا بالقدس وتمنيت أن يتمكن جميع المؤمنين من الدخول الى الاماكن المقدسة — وأن يكون لهم الحق في مزاوله طقوسهم دون أية قيود . وقبل أن تنتهى من اجتماعنا ، وعد الأسد بأن يدلى ببعض التصريحات الايجابية بشأن جهود السلام مضيفا أنه منذ عام أو عامين كان الحديث مع الاسرائيليين يعتبر بمثابة انتحار سياسى .

ولاحظت ان الاسد يتحدث ببساطة عن نفسه وعن دولته ، بثقة ودون مراعاة أن افكاره قد تتعارض مع افكار أى شخص آخر ، ويبدو أن كثيرا من الزعماء العرب الآخرين ينتهجون في الغالب نهجا حزبيا ولكن بعض افكار الاسد تبدو أصيلة ، وصادرة عن تأملاته الخاصة . ولم يذعن لأحد من القادة السوريين الذين كانوا معه ، ولم يبد أى اهتمام بردود فعلهم تجاه تعليقاته . وبالرغم من أن الأسد لم يعط أى انطباع بأنه يرغب في التخلي عن أى من أهدافه طويلة الأمد ، فقد خرجت من أول اجتماع مقتنعا بأنه يمكن أن يكون قويا ومرنا بدرجة كافية لتعديل تكتيكاته السياسية حسب الأوقات والظروف المتغيرة ، ورغم ما يحمله من مرارة تجاه الاسرائيليين فقط احتفظ بروحه الساخرة تجاه وجهات نظرهم المتعارضة ، وبدا عليه أنه يستمد صبره الطويل من احساسه الواضح بالتاريخ . وأعلن أنه لن يتكلم نيابة عن غيره من العرب ، ولكن كما يبدو عليه فانه واثق من أن نفوذه سوف يبدو في محاولة البحث عن أى حل دائم للخلافات .

وبعد شهور قليلة وفي الاسد عهده وأدلى بحديث جاء فيه انه بعد اجراء مفاوضات ناجحة ، فانه مستعد لتوقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل ولكن دون تبادل للسفراء وقال : « لا يوجد خيار ثالث ، فاما السلام أو الحرب » . وعندما سمعت هذه الملاحظات شعرت بأمل أكبر بشأن احتمالات السلام ، ولكن في ضوء الأحداث التالية : شعرت بأن تفاؤلى المبكر في تعاملى مع الاسد ومع مسألة الشرق الأوسط برمتها لم يكن في محله بيد أنه من المحتمل — بصرف النظر عن ثقتى الزائدة — أننى لم أكن راغبا في استكشاف الفرص القائمة بالفعل .

وفي عام ١٩٧٧ كانت العقبة الرئيسية في طريق محادثات السلام المخطط لها هي كيفية اشتراك الفلسطينيين ، أو بوجه أخص منظمة التحرير الفلسطينية في هذه المحادثات . فالاسرائيليون لن يعترفوا دبلوماسيا بالفلسطينيين ويفضلون التقليل من دورهم في المحادثات . في حين يتمسك

اغلب القادة العرب والسوفييت بأنه يتعين معاملة منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة مع تلك الحكومات الوطنية . وقد وضعنا — أنا والاسد — في اعتبارنا عدة اختيارات عن كيفية انضمام الفلسطينيين — كأعضاء ضمن الوفود العربية — ، باعتبار أن جميع العرب يشكلون مجموعة تفاوض واحدة ، أو بتشجيع الفلسطينيين على اختيار زعماء عرب آخرين للتحديث باسمهم . وقدم الاسد في نفس هذا الصيف اقتراحا بناء يتفق مع المطالب الاسرائيلية وهو ان العرب الآخرين يمكنهم أن يتحدثوا باسم منظمة التحرير الفلسطينية ولكن كل هذه الجهود توقفت عندما أعلن السادات عن عزمه على التعامل مباشرة مع الاسرائيليين بالذهاب الى القدس . وبالرغم من أن السادات وأنا كنا لا نزال نعتزم استغلال تحركه التاريخي كخطوة رئيسية نحو تسوية جنيف الشاملة والتي ايدها الاسد فان التعاون السوري قد انتهى بالفعل .

لقد غضب الاسد عندما بلغه السادات بأنه يخطط لزيارة القدس ولن يغفر للرئيس المصري « خيائته » للقضية العربية . واعتبر الاسد وغيره من الزعماء العرب ، أن اسرائيل غررت بالسادات لقيامه بتصرف من جانب واحد يستطيع بواسطته أن يستعيد اراضيه على حساب الفلسطينيين والعرب الآخرين . وبذل السوريون كل ما في وسعهم لمنع اجراء هذه المحادثات المباشرة بين اسرائيل واحدى جيرانها ، ثم توجهوا بجهودهم نحو العرب الآخرين لعزل مصر ومقاطعتها . وحتى موت السادات فانه لم يغفر له ذلك . فقد امتلأت شوارع دمشق بالهتافات عندما اذيع نبأ اغتيال السادات .

وبعد زيارة السادات لاسرائيل كانت ادانة الاسد له شديدة لدرجة أن الكثيرين اعتبروه المعوق الذي سوف يعارض اية مبادرة للسلام ، ولذلك فانه سيكون بمثابة شخصية لا أهية لها نسبيا في حل الصراعات في الشرق الاوسط عن طريق المفاوضات . وفي الواقع فان رد فعله ازاء معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية كان هادئا نسبيا : فقد تمثل في محاولة تهدف الى تجنب مواجهة مع القوات الاسرائيلية ، والحصول على أسلحة سوفيتية اضافية للمحافظة على نوع من التوازن العسكري الاستراتيجي بين اسرائيل وسوريا . وكان الاسد يحاول استغلال وقته متحينا الفرصة لاستعادة دور سوريا الريادي بين دول الشرق الاوسط .

وقد جاءت له الفرصة قبل أن يتوقع بكثير ، وكانت في لبنان . كان الاسرائيليون لعدة سنوات قد أصبحوا أكثر تحالفا مع المسيحيين الموارنة الذين يشاركونهم الرغبة في السيطرة على المقاتلين الفلسطينيين . وفي الوقت نفسه وبطريقة تتسم بالولاء التام ، وان كانت بصورة عكسية تماما ، فان

قوات الاسد التي دخلت لبنان عام ١٩٧٦ لحماية مصالح المارونيين (ومن الغريب بموافقة الامريكيين والاسرائيليين ومعارضة السوفييت) أصبحت الآن الحامية والمؤيدة لمعارضيهم الذين يتكونون من غالبية قوية من المسلمين والدروز وبعض الفصائل المسيحية . وكان انحيازها الجنيبد بتأييد تام من السوفييت والشعب السوري وزعماء عرب آخرين .

لقد افاد هذا الانحياز اغراض الاسد لمنع الضربات الاسرائيلية الثارية داخل لبنان . حتى انه تعاون مع الاسرائيليين عن طريق استخدام نفوذه القوى على منظمة التحرير الفلسطينية في الجنوب اللبناني للحد من عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد المستوطنات الاسرائيلية القريبة من الحدود . وفي الواقع ، ساعدت سوريا على ترتيب وقف اطلاق النار بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين اسرائيل لمدة عام وأكثر . وبعد ذلك في عام ١٩٨٢ ، قامت القوات الاسرائيلية بضربة بارعة في عمق لبنان تجاه بيروت ، وواجهت مباشرة تقريبا القوات الجوية والبرية السورية ، وباستثناء وادي البقاع حيث كانت القوات السورية ترابط في مواقع دفاعية قوية ، قامت الدبابات والطائرات الاسرائيلية بتحقيق انتصار مثير . وبدا من المحتمل أن الاسد بعد الفشل الذريع الذي منيت به قواته المسلحة اضطر الى البقاء بصفة مستمرة بعيدا في الظل عندما يتم اتخاذ قرارات خاصة بالشرق الاوسط في المستقبل .

وبعد شهرين عسكرت القوات المسلحة الاسرائيلية في لبنان ، وكانت القوات الامريكية والاوروبية تراقب انسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . وكان يبدو بعد ذلك أن الرئيس المنتخب ، الموالى لاسرائيل ، بشير الجميل ، سوف يقود لبنان لتصبح صديقا لاسرائيل . ولما كانت القوات الاسرائيلية قد اتمت اهداف مهمتها الرئيسية ، فقد انسحبت الى الجنوب للاقلال من خسائرها ولتسمح لقوات الجميل المارونية من احكام تدانستها على البسلاد . وجاءت بعد ذلك أحداث شهر سبتمبر المشيرة التي تم وصفها من قبل ، وواجه الاسد القوات الامريكية والاوروبية مرة أخرى في بيروت ، ثم واجه بعد ذلك الفصائل الدينية والسياسية ، وانفجرت الحرب الاهلية من جديد . وبالرغم من وجود القوات الاجنبية فان الدروز والمسيحيين دخلوا في معركة فوق الجبال المطلة على المدينة ، وسقطت القنصلية على القوات الامريكية واصدقائهم اللبنانيين من القرى المحيطة التي كان بعضها تحت سيطرة السوريين .

وكان قد نفذ صبر الاسد الذي كان يقف وحيدا بسبب سوء حكم اعدائه الامريكيين والاسرائيليين عليه وخلال هذه الاشهر التي هدا فيها الاسد نسبيا تمكن من الحصول على شحنات ضخمة من الاسلحة السوفيتية الحديثة لتعويض

المعدات التي كان قد فقدتها خلال الغزو الاسرائيلي . وعندما بدأت القوات الامريكية وكذا قوات حلفائهم اللبنانيين تعاني من الخسائر ، ووقوف هذه القوات موقف الدفاع ، أصبح الوضع العسكري والسياسي اللبنانيين المتحدين مع الاسد أكثر قوة .

وكنا في ذلك الوقت في شهر مارس عام ١٩٨٢ عندما قمنا بزيارة لبنان وسوريا في نهاية رحلة طويلة للشرق الاوسط استغرقت شهرا . وكانت الصحافة في مصر والاردن والمملكة العربية السعودية تختلف عن تلك التي ادانتي بشدة قبل وصولي الى سوريا . ومن بين ما ذكرته هذه الصحف انها وصفتني بأنني خائن للقضية العربية باعتبار أنني الذي ابتدعت اتفاقية كامب ديفيد الشهيرة ، وقمت بمراجعة هذه الأنباء التي وصلتني من سفاراتنا ببعض الاهتمام ، فقد تحالفت سوريا ضد الولايات المتحدة في لبنان ، كما عكست المقالات الصحفية والاحاديث الاذاعية الخاضعة لرقابة الدولة احساسيس ومثاعر الاسد ، وكان يبدو أن الشعب قد تمت تعبئته عمدا ضدنا . وكنت أريد أن أجرى بعض المحادثات البناءة مع الرئيس السوري ، وفي الوقت نفسه كنت أمل — أنا وروزالين — أن نقوم بجولة في المدينة القديمة وزيارة بعض الأماكن المقدسة .

ولم يكن هناك ما يستوجب القلق فقد رحب بنا شعب وزعماء سوريا ترحيبا حارا . فعلى اثر وصولنا الى مطار دمشق طلب مني التوجه مباشرة الى مكتب الرئيس ، ومكثت — أنا والاسد — عدة ساعات نستعرض خلالها أحداث السنوات الست الأخيرة منذ أن تقابلنا في سويسرا . وكان على أن أعيد قراءة النص الحرفي لما دار بيننا من حديث في سويسرا وأعربت له عن رغبتني في استمرار حديثنا حول بعض نفس الموضوعات . ولم يحدث ذلك على الإطلاق . ففى أحد أركان حجرة اجتماعات فسيحة تم وضع الكراسي والأرائك متلاصقة بجوار الحائط بطريقة شرقية ، وبدانا في حديث سـاخن حول أكثر الموضوعات أهمية في ذات الوقت . وكان مترجم الاسد معنا لمساعدتنا ولكنه وجد صعوبة في متابعة الرئيس السوري ، وأدركت لأول مرة أن الاسد يفهم الى حد ما اللغة الانجليزية . وكان عادة ما يجب مباشرة باللغة العربية دون انتظار ترجمة ملاحظاتي ، وكان من حين لآخر يستخدم بعض الكلمات الانجليزية .

وكان يبدو على الرئيس السوري السرور تجاه التطورات الاخسيرة في لبنان ، وأمر ب عن ثقته الكاملة بدور بلاده الكبير في مستقبل الشرق الاوسط وقد ابتسم عندما وجد أن مختلف دول العالم أصبحت تنظر الى الصراع الآن على أنه صراع بين سوريا الصغيرة وأمريكا القوية ، إحدى الدولتين العظمتين ، لدرجة أنه كلما ازداد نشاط عملياتنا العسكرية ، ظهرت سوريا أكثر قوة وشجاعة باعتبارها قادرة على التحدى .

ولقد أدركت — بالرغم من أنه من لم يشر الى ذلك — ان قوات الولايات المتحدة كانت تقف في مكان يمكن أن يسيطر عليه الاسد ويؤثر فيه من خلال وكلائه في لبنان . وكان الاسد يرى ضرورة فرض أقصى ضغط على اسرائيل والولايات المتحدة بهدف تغيير الوضع القائم في لبنان ، ويمكن لسوريا أن تتحلى بالصبر وتنتظر مبادرات من جانب كل من القدس وواشنطن .

وقال انه يدرك دائما أن الاحتلال الاسرائيلي للبنان مقدرا له الفشل الفريع . وسخر الاسد من الادعاءات الاسرائيلية التي تزعم فيها اسرائيل أن السبب وراء غزوها للبنان هو الرد على هجمات منظمة التحرير الفلسطينية ، وأشار الى أنه قبل هذا الغزو لاكثر من عام لم تحدث أية خسائر في الارواح الاسرائيلية من هجمات عبر الحدود اللبنانية .

انني اتفق على ان الحرب . وما ترتب عليها من احتلال كانت مكلفة للغاية بالنسبة للقوات العسكرية الغازية ، سواء في ارواح الاسرائيليين أو بالنسبة للدعاية الواسعة في مختلف أرجاء العالم للنضال من أجل الحصول على التعاطف والمساندة .

كان الاسد يريد أن يتحدث عن المستقبل ، فأشار الى أنه حتى إذا احتفظ الاسرائيليون بقوة رمزية مسلحة في جنوب لبنان بعد انتهاء مهمتهم الاساسية فإن وجودهم سيصبح امرا غير مرغوب فيه الى حد كبير حتى بالنسبة للقسلة اللبنانية التي رحبت بدخولهم في بادئ الامر الى البلاد على أمل طرد منظمة التحرير الفلسطينية .

وقال انه وغيره من السوريين قد راقبوا ابناء اسرائيل بدقة وأنه لاحظ الخلافات السياسية العنيفة التي نشبت في اسرائيل . ويعتقد أن بييجين رئيس الوزراء وحكومته قد شعروا بالاحراج نتيجة للفشل الاسرائيلي في تحقيق اهدافهم الكبرى في لبنان .

ولكنه حتى في محادثاته الخاصة لم يمتزف الاسد بأن مثل هذه التطورات السياسية قد تغير من السياسة الاسرائيلية بصورة او بأخرى ، ولم يترك أي فرصة ليشرح فيها الى درجة التأييد العسكري والاقتصادي الذي تقدمه الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل ، هذا التأييد سمح لاسرائيل بشن هجومها ضد جيرانها . وادعى ان كل العرب يحملون واشنطن مسؤولية عدم اقرار السلام في هذه المنطقة . فعددت له الجهود العديدة التي بذلتها أنا ومن سبقوني في البيت الابيض من أجل احلال السلام في الشرق الاوسط . وذكرت ان اسرائيل مستعدة وترغب في التفاوض معه أو مع أي زعيم عربي بهدف حل الخلافات فيما بينهما .

وقد ادى الحديث عن هذه النقطة الى اثاره أكثر الموضوعات حساسية بالنسبة للاسد فقد وجه اللوم الشديد الى السادات وتدب باتفاقية انسلام المصرية - الاسرائيلية التي تسببت في هجوم اسرائيل على لبنان ، مشسيرا الى أن الاسرائيليين ما كانوا ليخاطروا بالانتقام من العرب اذا كانت مصر قد ظلت حرة في الانضمام بقواتها الى الدول العربية الاخرى . وتبادلنا حديثا ساخنا ، وذكرنا الاسد بأن مصر استعادت أرضها وأن شعبها يعيش في سلام وقامت باختيار بعض الفقرات الرئيسية التي وردت في اتفاقيات كامب ديفيد وقررتها عليه لأثبت له أن مسار الاتفاق يتيح المزيد من الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، وحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، وإيجاد حل سلمي للخلافات القائمة بين اسرائيل وجيرانها العرب الآخرين .

ولم يقبل الاسد أي من هذه النقاط ، واتهم الولايات المتحدة مرة اخرى بتحويل ومساعدة مخططات اسرائيل لغزو لبنان . وكان مقتضاها بأن الاسرائيليين لا يريدون السلام الا طبقا لشروطهم الخاصة ، وأنه ليست لديهم أية نية للانسحاب من الضفة الغربية وغزة أو من مرتفعات الجولان ، وأن هذه الحقيقة سوف تعرقل أي تحرك لاحق نحو السلام في المنطقة . وأعرب الاسد ، بصورة مؤثرة للدهشة ، عن ثقته وتذمره بالاسد السائد استعادة سوريا لسيطرتها المطلقة على مرتفعات الجولان ، ولم يبسد أي اهتمام على الاطلاق في أن يحقق هذا الهدف في المستقبل القريب .

وكان الاسد متأكدا من أن هدف اسرائيل المعلن بخصوص تدمير قوات منظمة التحرير الفلسطينية لن يتحقق ، وأن الفلسطينيين حتى بعد خروجهم المكلف من لبنان ، وبصرف النظر عن يكون زعيمها لهم ، سوف يعملون على الاحتفاظ بنفوذهم القوى بين الزعماء العرب وبين أغلب شعوب العالم . وقررت أن أدفع بالاسد للخوض في بعض الموضوعات الحساسة ، فتساءلت كيف أن الزعماء العرب الآخرين الذين تمت بزيارتهم مؤخرا كانوا قلقين للغاية بسبب مساندة سوريا لايران ، التي لا يعتبر شعبها عربيا ، في حربها ضد العراق . كان الاسد متحمسا بشأن التزامه بمساندة ايران ، ولكنه كان يقنوم بدور المدافع الى حد ما عن هذا القرار ، وأوضح أن مساندته القوات الايرانية ترجع أساسا الى بغضه للرئيس صدام حسين . والزعماء العراقيين الآخرين . ولكنه أكد أن آية الله خميني يدرك ، دون أدنى شك ، أن سوريا سوف تنضم للدفاع عن المملكة العربية السعودية أو أي دولة عربية أخرى يمكن أن تهددها وتهاجمها القوات الايرانية .

وسأله بعد ذلك عن الالتقاء المفرد بين بعض المصالح السورية والاسرائيلية فكل منهما تساند ايران ضد العراق في حرب الخليج الفارسي ، وكل منهما تكره ياسر عرفات ، وكل منهما لديها مصلحة في اكراه عرفات

وتوكلته على ترك لبنان ، وكل منهما على استعداد لان تقبل ، اذا اقتضى الامر ، ان تعيش في ظل تقسيم لبنان كحقيقة واقعة رغم انف لبنان ، حتى اذا كان ذلك يعنى قبول تواجد الطرف الآخر في البلد المقسم ، بتواجد الاسرائيليين في الجنوب والسوريين في الشرق والشمال ، كما ان كلا منهما لا تريد اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية ، وان كلا منهما تحترم قوة الاخرى ، وتحترم بشدة اتفاق فك الاشتباك على طول الحدود الاسرائيلية السورية . ولم يوافق الاسد على كل ما عرضته عليه ، بل حذر انه نفي ان الاسرائيليين يناصرون الايرانيين ، ولكن كان من الواضح انه مهتم بالموضوع . واستمعنا بهذه المناقشة .

واشرت الى ان الطيارين الاسرائيليين وطائراتهم الامريكية الصنع (اف - ١٥) قد قضاوا على قوات الدفاع الجوي خلال هجماتهم الجوية في بداية الحرب اللبنانية . وعندما سألت الاسد عن ذلك ، زعم ان الطائرات السوفيتية التي استخدمها في يونيو عام ١٩٨٢ كانت جيدة شأنها في ذلك شأن غيرها من الطائرات ، ولكنه لم يكن قادرا على الحصول على أجهزة الكترونية حديثة لهذه الطائرات . كما أكد ايضا انه لن يرتكب هذا الخطأ مرة أخرى .

ولم ينكر الاسد اعتماده الكبير على السوفييت فيما يتعلق بالاسلحة وبالخبراء العسكريين ، وعندما سأله عن الحكمة وراء هذه العلاقة ابتسم وقال : « هل ستعطيني اى اسلحة اذافع بها عن بلدى ولو حتى مسدسا ؟ » وأكرر بشدة ان السوفييت اى تأثير في قراراته ، وضحك بصوت مرتفع بسبب تعليق وزير الدفاع الامريكى كاسبرواينبرجر والذي أدلى به مؤخرا بخصوص سوريا وكيف انها أصبحت دمية في يد الاتحاد السوفيتى .

وسأله لماذا لم تعترف سوريا مطلقا بلبنان كدولة مستقلة ، وانها تعتبرها جزءا من سوريا الكبرى وبالرغم من علاقاتها الوطيدة في عديد من المجالات السياسية والاقتصادية ، فانه لا يوجد سفير لاي منهما في عاصمتهما ، وحتى وقت قريب لم تتبادل الدولتان الزيارات بين رؤسائهما . (فبعسد الانسحاب الامريكى من بيروت في أوائل عام ١٩٨٤ فقط استقبل الاسد ، في لحظة نصر ، رئيس لبنان في دمشق) .

ونفى الاسد مرارا ان لديه اى اطماع تجاه جارتة الغربية ، وأصر على انه وشعبه يعترفون باستقلال لبنان دون تحفظ ، وخامرنى شعور بالشك في ان سوريا تفضل ان يكون لها اليد الطولى في شؤون لبنان أكثر من ضمها ، وهذا يشبه علاقة السوفييت بدول أوروبا الشرقية الأكثر اذعانا لموسكو .

واخبرته عن قيامى بفحص كل الخرائط القديمة والحديثة فى دمشق والتي تشير الى عدم وجود حدود وطنية بين الدولتين ، واعربت عن شكوكى فى استعدادده لسحب القوات السورية من لبنان كما سبق ووعد بذلك . وكرر أنه يفضل وجود لبنان حرا مستقلا ، وأنه لم يفسر من التزامه بالانسحاب « عندما تطلب منه ذلك جامعة الدول العربية والحكومة اللبنانية » . وعندما كنت فى بيروت بعد أيام قليلة سألت الرئيس أمين الجميل عن هذا الموضوع فقال لى : « اننى فهمت الموقف على هذا النحو »

وفى مايو ١٩٨٣ ، أى بعد مرور شهرين على زيارتنا ، ساهمت الولايات المتحدة فى التفاوض للتوصل الى اتفاق على الانسحاب بين اسرائيل ولبنان ، ولاحظت ان الاسد أضاف شرطا آخر مفاده : « ان اسرائيل يجب الا تحقق أى فائدة سياسية من غزوها بفرضها شروط تمس سيادة لبنان » . (والواقع ان هذا كان معناه ان تنسحب اسرائيل من لبنان قبل انسحاب سوريا منها ، وكان واضحا أنه باستثناء وجود شروط مرضية للتسوية فسان السوريين سيعملون كل ما يرونه ضروريا لضمان عدم تحقيق أى اتفاق بسلام أو اعتراف دبلوماسى بين اسرائيل والحكومة اللبنانية القائمة . فالاسد لن يتخلى مطلقا عن العلاقة الخاصة القائمة بين بلده وبين لبنان والتي قامت دون أى اعتراض منذ انشاء الدولتين الحديثتين ، وأنه سيعارض على وجه الخصوص ان يكون لاسرائيل أى ميزة فى لبنان .

وذكرت الاسد بأن الملك حسين وياسر عرفات يحاولان فى ظل أية ظروف ، ان ينضما الى محادثات السلام مع اسرائيل ومصر والولايات المتحدة كما جاء فى تصريح ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ ، وحاولت دون جدوى اقناع الاسد بعدم التدخل فى القرار ، ولكنه لم يتزحزح عن موقفه الذى يتلخص فى أن السبيل الوحيد للتعامل مع اسرائيل يجب أن يتم مع وجود صوت عربى موحد ، ومع مشاركة فلسطينية كاملة وفى اطار اجتماع تتبناه الامم المتحدة يشترك فيه السوفييت شأنهم شأن الأمريكين .

وفى نهاية اجتماعنا الاول الطويل لاحظنا وجود لوحة كبيرة لمعركة حطين فى عام ١١٨٧ على حائط حجرة مكتب الاسد ، وفى هذه المعركة التاريخية قام القائد المسلم (صلاح الدين بهزيمة الغزاة المسيحيين ، وسقطت مملكة الصليبيين فى القدس فى أعقاب هذه المعركة ، وحقق العرب نصر مبينا شمسى الغرب . وعندما وقف الاسد امام هذا المشهد المشرق شارحا تاريخ الصليبيين والمعارك القديمة السابقة لاستعمارة الاراضى المقدسة ، كان يبدو عليه نوع من الاعتزاز ، وهو يعيد علينا تفاصيل النجاحات العربية فى الماضى والحاضر . وكان يبدو عليه أنه يتقمص شخصية صلاح الدين الحديث الذى

يشعر بأن عليه التزاما مزدوجا ، يتلخص في تخليص المنطقة من كل تواجد أجنبي وابقاء دمشق للوحدة العربية ولم يكن يدري كيف ستحقق آماله الخاصة بتحقيق نصر عربي في لبنان بسرعة .

وحتى قبل قيام القوات الامريكية بالانسحاب من بيروت في اوائل عام ١٩٨٤ فان أغلب توقعات الأسد قد تحققت ، وتحسن الوضع في سوريا بشكل هثير . فقد تم الاعتراف بالرئيس السوري بصفة عامة كشخصية رئيسية في رسم مستقبل لبنان ، وفي التأثير على مجرى الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار والسلام في منطقة الشرق الأوسط بأسرها ، وكان الأسد واثقا من ان السوريين أصبحوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم بفاعلية أكبر بعد أن تسلحوا بالاسلحة السوفيتية الحديثة والمتطورة . ولكن الذكريات المؤلمة التي أصابت قواته أثناء تعاملها مع الاسرائيليين لم تخب عن تفكيره .

ومع الانهيار الامريكي في لبنان فان القوة النسبية للدولتين العظميين قد تعرضت لتحول كبير في المنطقة ، فقد أصبح السوفيت ، من خلال تعاونهم الوثيق مع سوريا ، قوة لها نفوذها في هذا الجزء من الشرق الاوسط لم يسبق لهم تحقيقها .

وفي الوقت نفسه وصلت العلاقات الامريكية السورية ادنى مستوياتها وقد عبر الأسد عن هذه الحقيقة في أغسطس عام ١٩٨٤ بقوله : (ان الولايات المتحدة ليس لها رأى مستقل أو سيادة امريكية في هذه المنطقة . ان الولايات تنفذ السياسة التي تقررها اسرائيل . ان-عدونا الاساسي هو الولايات المتحدة وليس اسرائيل) .

وعلاوة على ذلك فان هذه التطورات في الشرق الاوسط كانت لها دلالاتها الواضحة ، فقد استطاع الفلسطينيون - الذين تساندتهم سوريا - اجبار عرفات على مغادرة شمال لبنان في ديسمبر عام ١٩٨٣ ، وأصبح الأسد في وضع يمكنه من التحدث ، على الاقل ، باسم الفلسطينيين في منطقته ، وباستثناء التواجد الاسرائيلي في جنوب لبنان ، فان جميع القوات الاجنبية قد خرجت من البلاد ، وأصبح السوريون قادرين على تنسيق تحالف جديد يضم الاجنحة السياسية اللبنانية التي اتبعت خطوات متعثرة نحو تسوية مواجهاتها الدموية الطويلة . واستعرض الأسد في مارس عام ١٩٨٤ قوته في المنطقة باجباره اللبنانيين على الغاء اتفاقية الانسحاب التي وقعوا عليها مع اسرائيل في العام السابق .

وبعد أن أصبحت سوريا القوة العربية السائدة في المنطقة ، طالما بدت أنها ترغب في قبول توازن عسكري وسياسي ضمنى مع اسرائيل ، أو أن تبقى على منأى منها ، ولكن الان فان الأسد يمكن أن يعتبر هذا مجرد تسوية مؤقتة

فبما يختص بلبنان وكان يعلم مدى شعبية الاحتلال الاسرائيلي للبنان داخل اسرائيل ، وكانت لديه القدرة على التعجيل بالانسحاب الاسرائيلي بتشجيع العناصر المعتدلة نسبيا مثل زعماء الشيعة الدينيون باتخاذ موقف أكثر تشددا ازاء القوات المحتلة التي كانت لا تزال في الجنوب اللبناني .

وكان يبدو أن السوريين سوف يسحبون قواتهم على أثر الانسحاب الاسرائيلي غير المشروط من لبنان ، ومن ثم ، يصبح الاسد غير مطالب بحماية المصالح السورية بالقوة المسلحة اذا كانت هناك حكومة تتمشى معه بصورة معقولة في بيروت . الا انه سيظل يلعب دورا بارزا في لبنان ، كما سيصبح في نفس الوقت مهيما على الجهود التي نبذل في المستقبل لصياغة شروط سلام بين اسرائيل وجيرانها الآخرين . كان الهدف الاساسي هو منع اجراء اي مفاوضات بين اسرائيل والاردن ومصر والولايات المتحدة تحت مظلة اتفاقيات كامب ديفيد او بيان ريجان لعام ١٩٨٢ . ولم يكن هناك ادنى شك في ان الاسد كان قد سبق له ان استخدم كل من الوعود والتهديدات في الاردن وداخل منظمة التحرير الفلسطينية لحملهما على رفض اية محادثات من هذا القبيل .

ومع ذلك فحتى مع موقفه القوي فان الاسد لم يكن يستطيع ان يذهب ابعد من ذلك ، ومع تمسكه بموقفه العنيد ضد اي سلام ، ومع علاقاته القسوية مع المنشقين العديدين عن منظمة التحرير التحدير الفلسطينية فان الاسد من الممكن تجاهله مرة اخرى ، ومن الممكن ايضا ان يفقد وجوده المهيمن الذي اكتسبه خلال الحرب في لبنان . كما ان محارلاته الواضحة للسيطرة على الحركة الفلسطينية بالتحكم في عرفات او تدميره لم تكن ناجحة ، فضلا عن انها اثارت اذاعة واسعة للنطاق بين العرب الآخرين . كما ان اغلب الفلسطينيين يعارضون اية منظمة يسيطر عليها السوريون ، بل ان سكان الضفة الغربية وغزة يدينون ، على وجه الخصوص الاسد لاشتراكه مع الفلسطينيين المنشقين في عملية طرد ومؤيديه من شمال لبنان في آخر عام ١٩٨٣ .

ومن المحتمل ان يسيطر الاسد على لبنان ، ولكنه حتى هناك يواجه مشاكل لها ثقلها ، فالصراع على السلطة السياسية سيظل مستمرا بين المسيحيين المارونيين وبين معارضتهم من الطوائف الدينية الاخرى . وزعماء جميع الطوائف الذين قاتلوا لفترة طويلة من اجل الحصول على سلطات اضافية في لبنان سوف يقبل اعتمادهم على الاسد نصيرهم السياسي وسيكون عليه ان ينتهج طريقا صعبا للاحتفاظ بنفوذه دون اثارة موجة اخرى من العنف ، وعلاوة على ذلك كان ينبغي ان يكون الاسد حذرا من الشيعة اللبنانيين الذين اصبحوا منصهرين تماما مع حماس شيعة الخميني في ايران ، وهذا الحماس يمكن ان يتحول ضد نظام الاسد الذي له اتجاهات علمانية بشكل واضح .

وبالاضافة الى ذلك فان الاسد يواجه مشاكل كامنة مع جيرانه وغيرهم من الذين سوف يلعبون دورا هاما في الشرق الاوسط : فان خلافاته مع صدام حسين مع وجود عراق قوى تبدو انها لا تقبل المصالحة .

● ان مساندته لايران قد تسببت في وجود قلق عميق بين الدول العربية الاخرى في شبه الجزيرة العربية ، وتعتبر بمثابة عامل حاسم في تثبيت المسماعر الخاصة بتحقيق وحدة بين العالم العربي .

● ان مساندته المباشرة للثورة الدموية ضد منظمة التحرير الفلسطينية جعلت دوائحه مشبوهة بين اغلب الفلسطينيين .

● ان علاقته مع زعماء الاردن ومصر متوترة الى حد كبير . وقد ازيلت نشاطاته المعادية التي يمارسها ضد منظمة التحرير الفلسطينية على الاقل احدى العقبات التي كانت تحول الملك حسين وعرفات دون اتخاذ أى اجراء أكثر استقلالية من جانبها ، وشجعت دخول مصر من جديد في مظاهرة العرب .

● يعتبر الاسد ، في أمريكا ، بمثابة عدو للسلام والمحرض الاول وراء الهجمات ضد قوات البحرية الامريكية في بيروت .

● قد ينال اعتماده المتزايد على الاتحاد السوفيتي يلاحظه لسنوات تادبة حيث يطالبه السوفييت اما بالتسديد أو بالاذعان لافكارهم .

وبالرغم من انه اظهر نفوذا سلبيا فقط حتى الآن بسبب نزاعه وميوله ، روزفلت الذي كان رئيسا للولايات المتحدة ، فان قاعدته السياسية الطبيعية ليست قوية ، فطائفة العلويين التي ينتمي اليها تمثل فقط حوالي عشرة في المائة من الشعب السوري ، وعليه ان يتخذ تدابير مشددة عندما يتحدى القوى السياسية المعارضة لسلطته كما ظهر في مارس عام ١٩٨٤ . وكان هذا التمرد الولد قد ساد البلاد عندما اتسيع ان الاسد يعاني من مرض خطير ، وهذا دليل واضح على وضعه المزعزع . وانطباعي هو ان الاسد يعتبر انفسا ملجأ للغة ، ولكنه يستطيع ان يتحلى بالصبر والمرونة وهو يسعى لتحقيق اهدافه النهائية . ويعتبر تصرفاته ونفوذه على منظمة التحرير الفلسطينية ولبنان وحتى الاردن خلال السنوات العديدة السابقة دليلا على انه قد عقد العزم على تقييد تصرفاتهم المستقلة بالنسبة لعملية السلام .

وبالرغم من انه اظهر نفوذا سلبيا فقط حتى الآن بسبب نزاعه وميوله ، فإنه يستطيع حتى ان يكون العامل الحافز الاول في التوصل الى اتفاقية سلام شاملة في الشرق الاوسط ، فهو لا يريد ان يكون معزولا ومستبعدا عن أية عملية من عمليات السلام يكون من شأنها تحقيق أى تقدم ، لكنه سيتسكك

تحت أية ظروف — بحماية المصالح السورية وبضرورة الاعتراف بدوره في عملية التفاوض .

ومثل هذا السلام يمكن ان يتفق مع الاطار العام للتفسير المعروف لقرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . وحتى مع ذلك فانه من غير المحتمل أن يتخلى الأسد عن حلمه النهائي في تحقيق أمة عربية متحدة تمتد من الشواطئ الغربية والشرقية للبحر الابيض المتوسط وتتجه شرقا حتى الخليج الفارسي وربما يحلم أيضا بأن يكون حافظ الأسد زعيما لهذه الأمة .

بأهرا ، ورئيسا لتحرير إحدى الصحف اليمينية . كذلك كان أمين الجميل على استعداد للتعامل مع أى من جيرانه المجاورين له فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فمن المعتقد أنه يفضل السوريين على الاسرائيليين .

يقع قصر الرئاسة الفاخر على قمة احد التلال التى تطل على بيروت ، والتقينا بالرئيس اللبناني فى إحدى القاعات الفسيحة . وتعاطفت معه . لانه كان من المعروف عنه تماما أنه حاول أن يحكم دولة منقسمة انقسامات عميقة بين الجماعات الدينية والعرقية ، ولكل منها قوات ميليشيا خاصة بها . ولم يكن ولاؤها لأية حكومة مركزية ، ومن المشكوك فيه أن الجميل يسيطر سيطرة تامة على أى جزء من أجزاء بلاده باستثناء حفنة من الجاليات المتبقية حول بيروت .

وعندما وصلنا الى مكتبه ، سألنى الرئيس الجميل على الفور عن الاجتماعات الأخيرة التى عقدتها مع غيره من القادة فى اسرائيل والدول العربية . واطلعت على أكبر قدر استطعت أن اطلعه عليه من المعلومات بدون افشاء الاسرار . وعندما ناقشنا المحادثات التى أجريتها مع الرئيس السورى حافظ الأسد ، سألته عن البيان الذى أدلى به الأسد ويفيد بأنه سيسحب القوات السورية اذا طلب منه ذلك بعد خروج القوات السورية اذا طلب منه ذلك بعد خروج القوات الاسرائيلية من لبنان . وبعد التفكير للحظة ، قال الجميل بهدوء ، « اننى فهمت الموقف على هذا النحو » . وسألته عما سيفعله اذا غادرت كافة القوات الاجنبية بلاده فجأة . فأعرب ، بنوع من التهور ، عن ثقته التامة فى أنه يستطيع التعامل بنجاح مع الدروز السنيين والمسلمين الشيعة ، وغيرهم من الطوائف المسيحية الاخرى ، ويعيد النظام ويخفف من حدة المشكل الجسيمة التى يتعين على اللبنانيين مواجهتها مع بعضهم البعض .

لقد اتضح لى أنه هو وقواته لم يكونوا اقرباء بدرجة تكفى للسيطرة على المناطق المتنازعة أو أن يجمع شمل الطوائف اللبنانية فى أى صورة من صور الوحدة . ووجهت اليه بعض الاسئلة فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وفى النهاية صرح لى بأنه يحتاج الى ستة أشهر أخرى ليكون مستعدا لهذا التحرك ، الامر الذى ربما يعنى ، وفقا لافتراضى ، ضرورة بقاء القوات الاجنبية لمدة أطول . وطالما أن السوريين والاسرائيليين لم يصدروا أية اشارة بصدد مغادرتهم على أية حال ، فأننى لم أشعر بهيل نحو متابعة الموضوع أكثر من ذلك . أنه يعانى من قدر كبير من المشاكل بما فيه الكفاية ومن ثم فليس فى حاجة الى اثاره المزيد من الشكوك حول المستقبل السياسى لبلاده الذى ما زال موضع شك الى حد كبير .

ان لبنان طالما عاش فى ظل انقسامات سياسية . فالمنطقة تضم جاليات مسيحية منذ بداية القرن الحالى وظلت مسيحية أساسا حتى بعد أن أصبحت

كل مكان ، والمباني التي مازالت قائمة ، مليئة بالفجوات بسبب قصف القنابل ، ولا يخلو كل مبنى من المباني من مئات الثقوب التي أحدثتها القذائف والشظايا . ومما يثير التعجب أن ترى أطفالا صفارا يلعبون حول اقدام الجنود تعبيرا عن رفضهم الممارك الاخيرة كما لا يزال هناك أناس يعيشون في بعض المنازل الخسرة .

سرنا بسرعة جنونية وظلت السيارة تطلق بوقها في الطريق الملتوى داخل المدينة . ثم اتجهت نحو الشرق بين التلال صوب قصر رئيس الجمهورية . وبدأت الصورة وكأن هناك شعاعا أو رمزا مختلفا أو زيا أو علما مختلفا كل بضع مئات من الياردات . وتعرفنا على الزى العسكري الرسمي الفرنسي والإيطالي . وقال السائق ان هناك جنودا بريطانيين أيضا وعلى الأقل نوعين من رجال الميليشيا اللبنانيين . وقد عبرت القوات المختلفة عن التاريخ السياسي الحديث للبنان : فهناك وجود لقوى خارجية وغياب للتماسك الداخلي للبلاد . وبعد رحلة استغرقت عشرين دقيقة ، كان الرئيس الشاب الوسيم ومستشاروه في استقبالنا .

لقد أصبح أمين الجميل رئيسا لجمهورية لبنان منذ خمسة أشهر فقط ، في أعقاب اغتيال شقيقه بشير ومذبحة الفلسطينيين والمسلمين اللبنانيين في معسكرات اللاجئين بصبرا وشاتيلا . وكان الياس سركيس رئيسا للبلاد في وقت الغزو الاسرائيلي في يونيو عام ١٩٨٢ . وعندما استقال في شهر أغسطس قام البرلمان اللبناني بانتخاب بشير الجميل . وساد قدر كبير من القلق ازاء اختياره لان الشاب المسيحي الماروني ، قائد قوات الميليشيا ، كان معروفا عنه حرصه على اللجوء الى العنف ضد أعضاء الجماعات الطائفية الأخرى سميا وراء تحقيق غاياته السياسية وحباً في الانتقام عندما يلحق أسرته أو عشيرته الضرر . والمعروف عنه أيضا انه وثيق الصلة بالاسرائيليين وانه كان يمقت المتشددون الفلسطينيين ويحتقرهم . ولكن بشير الجميل قد قتل وهو في الرابعة والثلاثين من عمره نتيجة لتعرضه لانفجار قنبلة في مقر الكتائب ، قبل توليه مهام منصبه الجديد . وبعد أسبوع ، أي في ٢١ سبتمبر تم انتخاب شقيقه أمين الجميل رئيسا للجمهورية وهو في الأربعين من عمره .

أن الرجلين يختلفان عن بعضهما البعض اختلافا تاما من حيث المزاج والميول . فالمعروف عن أمين أنه مسالم ويميل الى التوفيق بين الاطراف المتعارضة ، ولكنه ليس فطنا من الناحية السياسية مثل شقيقه . لقد قاتل بشجاعة بين القوات الكتائبية ولكنه يمقت العنف . واتخذ موقفا وديا نحو الفلسطينيين في لبنان ، بل أنه حتى خلال الحصار الاسرائيلي لبيروت ، التقى بقاءة منظمة التحرير الفلسطينية في محاولة لحماية مصالحهم ولتسوية الخلافات التي أثارت الفتنة بين صفوف شعبه . كان محاميا ، ورجل أعمال ناجح

بأهرا ، ورئيسا لتحرير إحدى الصحف اليمينية . كذلك كان أمين الجميل على استعداد للتعامل مع أى من جيرانه المجاورين له فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فمن المعتقد أنه يفضل السوريين على الاسرائيليين .

يقع قصر الرئاسة الفاخر على قمة أحد التلال التى تطل على بيروت ، والتقينا بالرئيس اللبناني فى إحدى القاعات الفسيحة . وتعاطفت معه ، لأنه كان من المعروف عنه تماما أنه حاول أن يحكم دولة منقسمة انقسامات عميقة بين الجماعات الدينية والعرقية ، ولكل منها قوات ميليشيا خاصة بها . ولم يكن ولاؤها لاية حكومة مركزية ، ومن المشكوك فيه أن الجميل يسيطر سيطرة تامة على أى جزء من أجزاء بلاده باستثناء حفنة من الجاليات المقيمة حول بيروت .

وعندما وصلنا الى مكتبه ، سألنى الرئيس الجميل على الفور عن الاجتماعات الأخيرة التى عقدتها مع غيره من القادة فى اسرائيل والدول العربية . واطلعت على أكبر قدر استطعت أن أطلعته عليه من المعلومات بدون افشاء الاسرار . وعندما ناقشنا المحادثات التى أجريتها مع الرئيس السورى حافظ الأسد ، سألته عن البيان الذى أدلى به الأسد ويفيد بأنه سيسحب القوات السورية اذا طلب منه ذلك بعد خروج القوات السورية اذا طلب منه ذلك بعد خروج القوات الاسرائيلية من لبنان . وبعد التفكير للحظة ، قال الجميل بهدوء ، « اننى فهمت الموقف على هذا النحو » . وسألته عما سيفعله اذا غادرت كافة القوات الاجنبية بلاده فجأة . فأعرب ، بنوع من التهور ، عن ثقته التامة فى أنه يستطيع التعامل بنجاح مع الدروز السنيين والمسلمين الشيعة ، وغيرهم من الطوائف المسيحية الاخرى ، ويعيد النظام ويخفف من حدة المشاكل الجسيمة التى يثمين على اللبنانيين مواجهتها مع بعضهم البعض .

لقد اتضح لى أنه هو وقواته لم يكونوا أقوياء بدرجة تكفى للسيطرة على المناطق المتنازعة أو أن يجمع شمل الطوائف اللبنانية فى أى صورة من صور الوحدة . ووجهت اليه بعض الاسئلة فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وفى النهاية صرح لى بأنه يحتاج الى ستة أشهر أخرى ليكون مستعدا لهذا التحرك ، الامر الذى ربما يعنى ، وفقا لافتراضى ، ضرورة بقاء القوات الاجنبية لمدة أطول . وطالما أن السوريين والاسرائيليين لم يصدروا أية اشارة بصدد مغادرتهم على أية حال ، فأننى لم أشعر بهيل نحو متابعة الموضوع أكثر من ذلك . أنه يعانى من قدر كبير من المشاكل بما فيه الكفاية ومن ثم فليس فى حاجة الى اثاره المزيد من الشكوك حول المستقبل السياسى لبلاده الذى ما زال موضع شك الى حد كبير .

ان لبنان طالما عاش فى ظل انقسامات سياسية . فالمنطقة تضم جاليات مسيحية منذ بداية القرن الحالى وظلت مسيحية أساسا حتى بعد أن أصبحت

سوريا دولة اسلامية . ولقد قطع المارونيون صلتهم بالبابا في القرن السابع بسبب مسائل عقائدية ولكنهم عادوا الى الحضرة الرومانية بعد ذلك بخمسة قرون . وفي ذلك الوقت ، استقرت طوائف الدروز والمسلمين وغيرهم من الجماعات المسيحية في منطقة لبنان . وقد سمحت تضاريس البلاد لمختلف الطوائف الدينية بأن تعيش في عزلة وتحافظ على هويتها وحكمها الذاتي عبر القرون ، حتى حينما كانت هذه المنطقة جزءا من الامبراطورية العثمانية زهاء ٤٠٠ عام ، اي منذ عام ١٥١٦ حتى الحرب العالمية الاولى .

ونظرا لوجود المبشرين المسيحيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فان المارونيين اقاموا روابط اجتماعية ودينية قوية مع فرنسا الكاثوليكية . وعندما تعرض وجودهم ذاته للخطر في حرب اهلية مع الدروز المقاتلين الجبليين الشرسين عام ١٨٦١ ، ارغم الفرنسيون السلاطين الاتراك على حماية اصدقائهم المسيحيين باقامة منطقة مسيحية صغيرة محاطة بأرض اجنبية عرفت في بادئ الامر باسم جبل لبنان . وتم وضع النظام الحاكم بحيث يسمح لحاكم مسيحي ماروني بأن يحكم البلاد ومعه مجلس مكون من ١٢ عضوا : اربعة مسيحيين مارونيين ، وثلاثة من الدروز واثنين من اليونانيين الارثوذكس ، وعضو واحد يوناني كاثوليكي وعضو واحد من المسلمين السنين وعضو واحد من المسلمين الشيعة . وتم توزيع السلطة السياسية وفقا لصيغة عديدة تقوم على اساس التعداد المقدر لمختلف الطوائف الدينية وهذا النظام الذي حظى بالقدعيم والحفاظ عليه بطريقة ثابتة ومثيرة للاعجاب عبر الاجيال روى ان يكون مرنا بما فيه الكفاية لمواكبة التغيرات المعروفة في عدد السكان .

وبعد الحرب العالمية الاولى ، سيطر الفرنسيون على كل من لبنان وسوريا . وقام الفرنسيون بادماج مختلف الطوائف الدينية والعرقية بطريقة تعمسية ، في لبنان الكبرى وذلك بأن اضعوا الى جبل لبنان الماروني المدينتين الاسلاميتين بيروت وطرابلس ، ومنطقة الشيعة الاسلامية بجنوب لبنان ، ووادي البقاع الخصيب تجاه الشرق الذي احتله المسلمون والمسيحيون الارثوذكس اليونانيون (الذين اعتبروا انفسهم سوريين اكثر من كونهم لبنانيين) . وبدلا من ان يكون المارونيون اقلية اصبحوا الآن اكبر جماعة اقلية ، ولكن الفرنسيين حرصوا على تأكيد ان مجمل السكان المسيحيين قد فاق عدد المسلمين والدروز . ونظرا لان لبنان تضم اقليات دينية وسياسية ، فقد تعين ابرام نوع من الاتفاق الاجتماعي بين هذه الجماعات من اجل تماسك المجتمع القومي الهش بعضه مع البعض الآخر . والآن تضم الهيئة الحاكمة الجديدة المكونة من خمسة عشر عضوا ، ستة مارونيين وثلاثة من الارثوذكس اليونانيين وواحد من الكاثوليك اليونانيين واثنين من الشيعة واثنين من السنين وواحدة من الدروز .

ومعها بعد ، وفي ظل الانتداب الفرنسي ، وبناء على دستور لبنان لعام ١٩٢٦ جاء البرلمان بقائمة نسبية للاعضاء بنسبة ستة من المسيحيين وخمسة من المسلمين ، وذلك على أساس التعداد السكاني في ذلك الوقت . وعلى الرغم من أنه لم يتم إجراء أى احصاء رسمى للسكان منذ عام ١٩٣٢ ، إلا أن النسبة العددية ظلت بجمرة تعسفية على نفس وضعها . ويتم اختيار رئيس الجمهورية بثلاث أصوات أعضاء مجلس الأمة هذا ، وأصبحت عادة غير مكتوبة أن يكون رئيس الدولة مسيحياً مارونياً وأن يكون رئيس الوزراء من المسلمين السفين وأن يكون رئيس البرلمان من المسلمين الشيعة . ويتم شغل المناصب الحكومية الأخرى طبقاً للنطاق التقليدي للطوائف الأخرى ، فعلى سبيل المثال يتولى واحد من الدروز منصب وزير الدفاع ، ويتولى واحد من الأرثوذكس اليونانيين منصب وزير الخارجية وهكذا دواليك .

وقد أصبح الاحتفاظ بهذه التخصيصات فى السلطة السياسية هدفاً من أهم أهداف القوى المسيحية فى وجه تزايد عدد السكان المسلمين فى دولة عرفت رسمياً بأنها هربية الهوية . ولا يرى المسيحيون اللبنانيون أى تطابق مع هذا التعريف لهوية لبنان . ويستثناء لبنان ، يشكل العرب المسيحيون أقلية صغيرة نسبياً فى الشرق الأوسط ، ولكن المسيحيين الذين يبلغ تعدادهم ستة ملايين نسمة فى الدول العربية يفاخرون بأن تراثهم الدينى يسبق التراث الدينى للمسلمين . ويشيرون إلى أن المسيحية كانت تعتبر الديانة العربية الرسمية خلال القرن الخامس ، وبعد مرور ٦٠٠ سنة ، بعد وفاة النبى محمد (ص) ، مازالت أغلبية سكان سوريا الكبرى من المسيحيين .

وقد خلق التقسيم المتساو نسبياً فى لبنان بين الديانتين التوحيديتين ، مشكلة فيما يتعلق باقتسام السلطة ، بينما تناضل الطوائف الأخرى من أجل حماية نفوذها السياسى والجغرافى . أن الولاء للأسرة وللجماعة الدينية يفوق أى التزام نحو الوحدة القومية . ولقد أصبحت الترتيبات السياسية القديمة « مودة قديمة » ، نظراً لتزايد عدد السكان المسلمين وتحولهم إلى أغلبية ، وحالت المخاوف من احتمال التعرض للاكتساح الساحق من جانب طائفة عرقية أخرى ، دون اندماج السكان المتعددين العناصر فى لبنان . ولطالما غصت الأطراف المغرضة ، ذكريات الضيم والصراعات الماضية ، لفترات طويلة ، ولطالما عجلت بنشوب أعمال العنف المستمرة للانتقام والثأر .

وأما فى حماية نفسها وفى أن تسيطر على مسرح الأحداث القومية المضطربة شكلت الطوائف السياسية والدينية ميليشيات مستقلة ، وكثيراً ما كانت الطوائف على استعداد لأن تدعو الدول الأجنبية لأن تتوسط لصالحها . غايد الأتراك المسلمون الدروز وتتدخل الفرنسيون لحماية المسيحيين المارونيين ، أما الروس فقد أيدوا الأرثوذكس الروس ، واتحاز السوريون فى مناسبات

مختلفة الى اطراف مختلفة . وتعاون الاسرائيليون والمارونيون بصورة وثيقة كحلفاء عسكريين . وتدخل الامريكيون والمصريون أيضا لفترات قصيرة عندما كانت الفوضى الخطيرة تشكل تهديدا لوجود الدولة اللبنانية . لقد كان معظم الزعماء الاجانب يتحركون بخفة نوعا ما في المجال السياسي ، اذ كانوا يحاولون انحيائهم تمشيا مع الظروف المتغيرة في لبنان ودائما ما كانوا يتطلعون الى الحصول على كسب ما مقابل تورطهم ، وغالبا ما يكون ذلك على حساب اللبنانيين .

لقد كاد يكون من المستحيل بالنسبة لى أن أتذكر مختلف التحيزات والطوائف في لبنان حينها كنت رئيسا للجمهورية ، ولذلك فقد أصدرت في النهاية تعليماتى لوكالة المخابرات المركزية الامريكية ، بأن تضمن في تقريرها اليومى الذى تقدمه لى مرة واحدة على الاقل في الاسبوع ، وصفا موجزا للطوائف السياسية والدينية ، وقادتها الحاليين ، وحجم كل قوة من قوات الميليشيا وفعاليتها ، وأية علاقات اجنبية تربطها بها ، والتغيرات الاخيرة في أوضاعها . وعند ذلك فقد استطعت أن أفهم التقارير الصحفية الواردة من البلد الذى تسوده الاضطرابات .

ولطالما زعم رؤساء لبنان أن السياسة الخارجية لبلدهم محايدة ، وحاولوا أن يسيروا على خط متحرك بين انشرق والغرب وبل اسرائيل وسوريا ، ولم ينجحوا بصفة دائمة ولكن اللبنانيين على الأقل لم يشكوا تهديدا لاي من جيرانهم . وعلى العموم ، ورغم حسن نوايا جهودهم فقد عانت دول أخرى قليلة في العصور الحديثة مثل ما عانت لبنان نتيجة لمثل هذا التنوع في القوى الأجنبية .

ان معظم اللبنانيين ، رغم تفضيلهم للاستقلال ، يرغبون تاريخيا في اقامة روابط وثيقة مع سوريا ، بأعدادها الكبيرة من المسلمين وبعض المسيحيين ، بل ويطالبون باقامة وحدة بين الدولتين . وفي ظل الانتداب الفرنسى الذى استمر الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت أجهزة النقل والاتصالات والطاقة الكهربائية والعملة وبعض الوظائف الادارية ، تقدم خدماتها للبنان وسوريا بصفتها وحدة واحدة . وفي عام ١٩٤٣ تم تشكيل تحالف وطنى لتسوية بعض النزاعات المستمرة حول التوجيه الدولى للبنان ، وبمقتضاه وافق المسيحيون المارونيون على قطع روابطهم مع فرنسا ، واعتبار اللغة العربية ، اللغة الرسمية ، ووعد القادة المسلمون بقبول الانفصال التام عن سوريا . وفي عام ١٩٤٦ ، عندما غادر آخر فوج من القوات الفرنسية ، المنطقة وأصبحت سوريا ولبنان مستقلتين ، ظلت جوانب كبيرة من العلاقات الشخصية والدينية بين البلدين بدون تغيير .

وفي أواخر الخمسينيات ، أصبح الرئيس المصري جمال عبد الناصر بطلا بالنسبة لمعظم دول العالم العربي عندما استعاد السيطرة على قناة السويس بعد طرد القوات البريطانية من بلاده . وكان هذا هو بداية دعوته الى تحقيق وحدة عربية شاملة . ودعمت شعبيته الى حد كبير من نفوذ المسلمين في لبنان ، وحفزت على التشدد في المطالبة بزيادة التمثيل في الحكومة الى الحد الذي عرضت معه الميزان السياسي الذي أمكن تحقيقه بعناية لتهديد حرب أهلية . وبناء على طلب كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية المسيحي ، أرسل الرئيس دوايت أيزنهاور ، قوات أمريكية الى لبنان عام ١٩٥٨ للحفاظ على النظام .

وظلت الحدود المشتركة بين لبنان وإسرائيل اللتين ولدتا كجمهوريتين جديدتين في أواخر الأربعينيات هادئة نسبيا لمدة عشرين عاما . وفي أثناء حرب ١٩٦٧ بين إسرائيل وجيرانها الآخرين — سوريا والأردن ومصر — حرصت لبنان على أن تظل على الحياد ، ولكن كمواطنين في دولة عربية ، نددت الفاليلية العظمى من الشعب اللبناني بالاسرائيليين . ووجه هؤلاء اللبنانيون أيضا اللوم الى إسرائيل بسبب تدفق ما يزيد على مائة ألف لاجيء فلسطيني ، على لبنان بعد انشاء إسرائيل .

وفي عام ١٩٧٠ ، خلقت حرب أهلية نشبت في الأردن ، موجة أخرى من اللاجئين الذين تحركوا صوب لبنان ، معظمهم من الفلسطينيين الذين عاشوا في غرب نهر الأردن قبل حربي ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ . وزاد الوافدون الجدد من حجم صفوف الفلسطينيين ليقرب عددهم من نصف المليون ، واضطر كثيرون منهم الى الإقامة في معسكرات دائمة للاجئين . وعجل هذا الجمهور الغفير من الفلسطينيين المشردين من إثارة مناقشات سياسية حادة حول الطريقة التي يتعين بها معاملة الوافدين الجدد . وطبقا لما هو متوقع ، فانهم وجدوا أكبر قدر من التأييد والتعاطف بين المسلمين ، ولكن نظرا لأنهم أصبحوا متشددين بصورة متزايدة ، فان اللبنانيين بجميع طوائفهم أصبحوا مستعدين منهم أو خائفين .

وعلى عكس سوريا ومصر والأردن ، فان لبنان لم يكن لديها حكومة مركزية قوية أو قوة عسكرية منسقة لمقاومة المتشددين الفلسطينيين أو السيطرة عليهم . وبإشياء ما يعتبر في الواقع بمثابة دولة داخل دولة ، فان منظمة التحرير الفلسطينية قامت بإدارة شئون جميع اللاجئين ، وتوفير الرفاهية والرعاية الصحية والتعليمية والقضائية وغيرها من الخدمات ، والتعامل مع الكثير من الدول الأجنبية على قدم المساواة وتوجيه قوات ميليشيا مهيبة . وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية واليساريون اللبنانيون على درجة من القوة تكفي لتحدي سيادة حكومة الدولة والسيطرة على أجزاء كبيرة من البلاد . وبالإضافة الى ذلك ، فان وجود الفلسطينيين والغارات المتكررة التي يشنونها على إسرائيل

قد عجلت بقيام الاسرائيليين بتوجيه ضربات انتقامية مباشرة وقوية ضد معقل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ، بل وحتى ضد المنطقة الوسطى المكتظة بالسكان في بيروت نفسها . وتم توجيه معظم مشاعر العداء التي تولدت عن هذه الاحداث الى الفلسطينيين لبدنهم بشن هجماتهم .

هذا وقد تدهور الموقف بسرعة بينما حاولت القوات المسيحية المارونية والجماعات اليمينية ، السيطرة على الفلسطينيين وحلفائهم اليساريين . ونشبت حرب أهلية شاملة في مستهل عام ١٩٧٥ أسفرت عن مقتل ما يزيد عن ٦٠ ألف لبناني وتشريد ما يزيد عن مليون من ديارهم . وعندما نجح الفلسطينيون واليساريون اللبنانيون في السيطرة على ثلاثة أرباع البلاد ، بعث الرئيس السوري حافظ الأسد في عام ١٩٧٦ بأعداد كبيرة من القوات السورية الى البلاد التي مزقتها الحرب ، لمساندة القوات المارونية ولانتهاء الحرب الأهلية . وعلى ما يبدو كان المقصود من هذه الخطوة هو حماية المصالح العسكرية والاقتصادية السورية ، ولكنها حظيت بموافقة كل من الحكومة اللبنانية واسرائيل والولايات المتحدة ، وفيما بعد الجامعة العربية ، بينما اعترض عليها الاتحاد السوفييتي اعتراضا شديدا .

وعلى الرغم من ان الدولتين مستقلتان وهناك احتمال ان تظلا كذلك ، فان القادة السوريين ما زالوا يعتبرون سوريا ولبنان دولتين لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض وعلى حد قول الرئيس الأسد ، انهما دولة واحدة وشعب واحد . ولا يوجد في معظم الخرائط السورية أى خط للحدود الوطنية يفصل بين الدولتين ، ولم تفرض سوى قليل من القيود على الانتقال والتجارة بين حدود البلدين ، كما لم تطبق التقاليد الدبلوماسية العادية بين الدولتين .

وعلى الرغم من هذا ، فان الأسد يزعم علانية وفي المجالس الخاصة على السواء أنه سوف يحترم ، على الدوام ، استقلال لبنان ويحافظ عليه . وهو يرفض أى إشارة الى ان تكون قواته « قوات غازية » أو حتى « قوات أجنبية » ويطلق عليها السوريون اسم « القوات الخارجية » ، مذكرا كافة المستمعين أنها تلقت دعوة من قبل القادة اللبنانيين بالدخول الى الاراضى اللبنانية ، وبأن الجامعة العربية وافقت على وجودها . ويصر الأسد على أنه لا هو ولا قواته اعتبروا وجودهم في لبنان بمثابة أى شيء غير انه وجود مؤقت .

وطالما ظلت القوات الاسرائيلية في لبنان ، فانه من غير المحتمل اختبار ادعاء الأسد ، ولكن السوريين في الواقع لم يحاولوا اقامة وجود مدني دائم في المناطق التي يسيطرون عليها . لقد عاش أحد الطلبة اللبنانيين الذي شهد ندوة التشاور الخاصة بالشرق الاوسط في جامعة أموري الأمريكية في أواخر عام ١٩٨٣ ، في منطقة وادي البقاع ، وسأله بأمانة عن القوات السورية المرابطة هناك . وعلى الرغم من أنه اعترض بشدة على وجود السوريين أو أى قوات

أجنبية أخرى في بلاده معبرا عن أمله في انسحابهم في القريب العاجل ، فانه كان واقعا بصدد حقيقة أن السوريين لم يحاولوا قط إقامة مستوطنات من اى نوع ، كما انهم لم يتدخلوا ، على حد قوله ، في الحياة العادية للفلاحين والقرويين في المنطقة المحتلة ، الا عندما ينشغلون بالعمل العسكرى . ووفقا لتقديراته ، فان القوات يمكن أن تنسحب تماما خلال يومين من صدور تعليمات بذلك . ويبقى ان ننتظر لنرى ما اذا كانت هذه التعليمات ستأتى على الاطلاق من دمشق .

لقد كانت الهجمات الفلسطينية عبر الحدود الشرقية والشمالية لاسرائيل شائعة قبل حرب ١٩٦٧ ، وكانت الهجمات المسبقة والهجمات المضادة تأتى بصورة منتظمة من كل من الاردن وسوريا ولبنان ، وعندما فرضت الاردن وسوريا قيودا مشددة على المقاتلين الفلسطينيين فيما بعد ، لم يتبق سوى قواعد الفسداثيين الموجودة في لبنان . وبحلول عام ١٩٧٦ ، وعندما تحركت القوات السورية داخل شمال وشرق لبنان ، وجدت اسرائيل بعض الحلفاء بين القوات المسيحية المارونية في الجنوب ، وبدأت في امداد القوات المارونية في جميع انحاء لبنان بالاسلحة والتدريب . ان الذى جمع فيما بينهم في بادئ الامر هو العداء المشترك حيال منظمة التحرير الفلسطينية ، ثم جمعتهم فيما بعد الرغبة في رؤية السوريين وقد تم طردهم من لبنان وفي أن يكون المارونيون في مركز سياسى أقوى من ذى قبل . كما أراد الاسرائيليون انحياز سياسيا وثق مع حكومة لبنانية صديقة .

وحتى قبل انتخاب مناحم بيجين وتشكيله لحكومة حزب الليكود في مايو ١٩٧٧ ، كان بعض المسيحيين المارونيين يحرضون بالفعل الاسرائيليين على دخول لبنان للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ولزحزحة السوريين من لبنان . ومهما يكن من أمر ، فانه قد تم الصمود ضد هذا الاغراء حتى مارس ١٩٧٨ عندما شنت اسرائيل غزوا على لبنان وسارت قواتها صوب نهر الليطاني واستخدمت القنابل العنقودية الموجهة ضد الافراد في بيروت وغيرها من المراكز الحضرية مما أسفر عن مصرع المئات من المدنيين ، وذلك كرد انتقامى على هجوم شنته منظمة التحرير الفلسطينية على أتوبيس عام يحمل مواطنين اسرائيليين .

وبصفتى رئيسا للجمهورية ، فاننى اعتبرت هذا الفوز الكبير بمثابة رد فعل مبالغ فيه على الهجوم الذى شنته منظمة التحرير الفلسطينية ، وتهديد خطير للسلام في المنطقة ، وربما كجزء من مخطط لاقامة وجود اسرائيلى دائم في جنوب لبنان . وبالإضافة الى ذلك ، فان مثل هذا الاستخدام للأسلحة الأمريكية بما في ذلك القنابل العنقودية ، يمثل انتهاكا للاتفاقية الشرعية بين الولايات المتحدة واسرائيل والتي تنص على أنه لا يمكن استخدام مثل

هذه الاسلحة التي تبيعها الولايات المتحدة لاسرائيل الا في الاغراض الدفاعية
في مواجهة أى هجوم على اسرائيل .

وعلى الرغم من التصريحات التي عبرت فيها عن قلقى ، وعلى الرغم
من الاحتجاج العالمى ، فقد بدأ بيجين مصمما على الاحتفاظ بقواته في لبنان
لفترة أخرى — كما بدأ مصمما على نقل الاسلحة الامريكية ، بما في ذلك
المدفعية والعربات المدرعة ، الى الميليشيات اللبنانية برئاسة الرائد سعيد
حداد منتهكا بذلك القانون الامريكى مباشرة ، ان الاسرائيليين قاموا بتدريب
هذه القوات ومساندتها لاغلاق المنطقة الجنوبية من البلاد في وجه الارهابيين
الفلسطينيين . وأثناء قيامها بهذه المهمة ، منعت هذه القوات أيضا القوات
النظامية اللبنانية وقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، من دخول
المنطقة .

وبعد التشاور مع سايروس فانس وزير الخارجية الامريكى ومع كبار
المؤيدين لاسرائيل في الكونجرس ، قررت أنه لا يمكننا السماح باستمرار الاحتلال
الاسرائيلى لجنوب لبنان . وفي حالة عدم امتثال بيجين لرغباتنا — فاننا كنا
على استعداد لخطر الكونجرس ، وفقا لما ينص عليه القانون ، بأن
الاسلحة الامريكية تستخدم بطريقة غير شرعية في لبنان ، الامر الذى من شأنه
أن يوقف ، بصورة تلقائية ، كل المعونات العسكرية الى اسرائيل . واصدرت
أيضا تعليماتى الى وزارة الخارجية الامريكية لاعتماد قرار يصدره مجلس
الامن يستنكر فيه الاجراء الذى اتخذته اسرائيل .

وصدرت تعليمات للتفصل العام الامريكى في القدس بتسليم رسالة الى
مناحيم بيجين ، تضمن تفسيراً لهذه الخطط وتحتة على سحب قواته . وعاد
التقرير من القدس يفيد بأن بيجين قرأ الرسالة ، ووقف في هدوء لبضع
لحظات — ثم قال « لقد انتهى الامر » .

وحيثما نفذت القوات الاسرائيلية انسحابها على مراحل ، وهدت قوات
تابعة للأمم المتحدة لتحل محلها ، وتم تعزيز القوات الصديقة لاسرائيل
في جنوب لبنان لاقامة حاجز أكثر فعالية وان لم يكن حاجزا كاملا امام أية
هجمات أخرى تشنها منظمة التحرير الفلسطينية على المواطنين الاسرائيليين .

وفيما بعد ، في عام ١٩٨١ ، وسع بيجين بدرجة كبيرة ، من نطاق التورط
السياسى لاسرائيل باعلان أن اسرائيل ستكون مسؤولة بالفعل ، عن حماية كافة
القوات المسيحية في جميع أنحاء لبنان . وثمة تناقض واضح وهو أنه في
نفس ذلك الوقت تقريبا ، ساعد السوريون الحكومة الاسرائيلية على التوصل
الى اتفاق فعال لوقف إطلاق النار مع منظمة التحرير الفلسطينية —

وهذا يعتبر بمثابة اعتراف سياسي ضمنى بتلك المنظمة التي تستخف بهما إسرائيل الى أعد الحسدود .

وجاء أخسر غزو للبنان في عام ١٩٨٢ ، عندما دخلت مجموعة كبيرة من القوات العسكرية الاسرائيلية البلاد وتحركت بدون أن تعترضها أية عراقيل طوال الطريق المؤدى الى بيروت . وفسر الاسرائيليون ذلك بأنهم يعاقبون منظمة التحرير الفلسطينية لان سفيرهم في لندن تعرض لطلقات رصاص . وثمة جماعة مختلفة أخرى زعمت فيما بعد مسئوليتها عن الجريمة . وأوائل ذلك العام ، تم اطلاق المسئولين بوزارة الخارجية الامريكية سرا على خطة عامة كان ايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي يفكر فيها في حالة دخول الاسرائيليين الى لبنان . وبعد استكمال انسحابهم من سيناء ، اعتبر الاسرائيليون انهم قد أوفوا بالتزاماتهم تجاه المصريين طبقا لمعاهدة السلام . ولديهم الآن مطلق الحرية في أن يضعوا الخطط النهائية للعملية التي أطلق عليها اسم يحظى بالقبول وهو « السلام من أجل الجليل » .

وحتى بصفتي مواطنا عاديا فقد انزعجت انزعاجا بالغاً عندما شنت إسرائيل غزوا على لبنان في شهر يونيو ، وعلى الفور أعربت عن قلقي لبعض القادة الاسرائيليين الذين اشتركوا في مفاوضات كامب ديفيد ، من أن الهجوم يعتبر بمثابة انتهاك للاتفاقيات . وجاءني الرد المزعج من القدس مفاده : « لقد حصلنا على موافقة مسبقة من واشنطن » .

واتصلت بالبيت الابيض لانتقل ما سمعت للقاضي وليام كلارك مستشار الامن القومي للرئيس ريجان . فأكد لي أن البيت الابيض لم يتورط في أية موافقة وأنه كانت هناك تأكيدات على مستوى عال قدمها رئيس الوزراء الاسرائيلي بيجين للرئيس ريجان مفادها أن التسلل الى لبنان سيكون محددا في نطاق مدفعية مداها ٢٥ ميلا . فقلت له في ردى أنه كان هناك مسئولون كبار آخرون في واشنطن خارج البيت الابيض واننى لعلى ثقة تامة في مصدر معلوماتي الواردة من إسرائيل .

وفي نفس ذلك اليوم بعث مستشار الامن القومي باثنين من موظفي مكتبه الى منزلى بجورجيا ليطلعاني على الرسائل المتبادلة بين ريجان وبيجين . وأكدت هذه الرسائل الالتزام بتحديد تقدم الاسرائيليين الى مسافة ٢٥ ميلا ومهما يكن من أمر ، فان القوات الاسرائيلية استمرت في تحركها شمالا بلا توقف بدلا من البقاء داخل هذا الحد .

وعلى الرغم من أن السوريين قد احتفظوا بوضعهم في المعارك البرية التي دارت في وادي البقاع ، فان الاسرائيليين حققوا انتصارات جوية ساحقة على الطائرات السورية السوفيتية الصنع فوق لبنان ، وتم بسهولة دحر قسوات

المليشيات الدفاعية اللبنانية والفلسطينية الى ضواحي بيروت . واحاطت القنصوات الاسرائيلية بالمدينة وعززت قصف العاصمة اللبنانية وغيرها من المدن بالقنابل مما اسفر عن خسائر جسيمة في الأرواح بين السكان المدنيين الأمر الذى أثار معارضة شديدة حتى داخل اسرائيل نفسها . وطبقا للتحليلات التى أعقبت ذلك ، فقد كان هناك عدد من الاسباب المتداخلة للهجوم : وهى وضع حد للتهديد الذى تتعرض له الحدود الشمالية لاسرائيل ، وارغام السوريين على الخروج من لبنان ، وتشكيل حكومة لبنانية تكن قدرا من الود لاسرائيل يكفى لتوقيع اتفاقية سلام دائمة وتحطيم القوات العسكرية الفلسطينية ، واسر ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، واخراج أية عناصر متبقية لمنظمة التحرير الفلسطينية من لبنان ، وربما ابعاد الانظار عن الضفة الغربية ومنطقة قطاع غزة والقضية الفلسطينية برمتها .

وفى ذلك الوقت ، أى بعد بضعة أسابيع من شن الفزرو ، تم انتخاب بشير الجميل الصديق المسيحى المارونى لاسرائيل رئيسا لجمهورية لبنان وبدأت المفاوضات بصدد انسحاب اسرائيل وابرام اتفاقية سلام . ونفذ الاسرائيليون ، تحت ضغط من جانب واشنطن ، انسحابا جزئيا نحو الجنوب ، وتم ارسال القوات الامريكية والأوروبية الى بيروت فى شهر أغسطس للاشراف على رحيل عرفات وعدة آلاف من قواته التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية الذين غادروا المدينة وهم يلوحون بأسلحتهم مهددين وزاعمين بأنهم قد حققوا نوعا من الانتصار . ثم أعقب ذلك عدة حوادث سريعة متتالية ، فقد غادرت القوات الغربية لحفظ السلام بيروت ، وقام خصوم سياسيون مجهولو الشخصية باغتيال بشير الجميل ، وعادت القوات العسكرية الاسرائيلية الى المدينة وضواحيها المحيطة بها . وبعد ذلك ببضعة أيام ، تم ذبح عدة مئات من الفلسطينيين والمسلمين اللبنانيين المعزل فى معسكرات اللاجئ بصبرا وشاتيلا، وعادت القوات الامريكية الى بيروت وانضمت اليها وحدات من كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا .

وحاول السفير فيليب حبيب وغيره من المفاوضين الامريكيين ، لعدة شهور ، التوصل الى ابرام اتفاقية لوقف اطلاق النار وانسحاب القوات السورية والاسرائيلية . وفى الوقت نفسه ، تم تعزيز الجيش اللبنانى ، بالاسلحة الامريكية وبالمستشارين العسكريين الامريكيين وهم الذين يخدمون حتى وقتنا هذا ، فى ظل الرئيس أمين الجميل الذى تم انتخابه مؤخرا .

وفى تلك المرحلة أصبحت التحيزات العسكرية والسياسية أكثر وضوحا وقد تجلى ذلك فى تقديم الاسرائيليين والامريكيين التأييد القسام للقوات المسيحية المارونية ، بينما انحاز السوريون مع المسلمين من الشيعة والسنيين والدروز وبعض الجماعات المسيحية التى تعترض لأى سبب من الاسباب على

الائتلاف المكتائبي — الاسرائيلي . وانقسمت القوات المتبقية من قوات منظمة التحرير الفلسطينية ، بتوجه معظمها الى شمال لبنان بعيدا عن القسوات الامريكية والاسرائيلية .

وقد عقد قتل بشير الجميل ، بصورة واضحة ، من المفاوضات الرتيبة الخاصة بالانسحاب والتي دارت بين اسرائيل ولبنان ، ولم يوقع القسادة الاسرائيليون واللبنانيون على الاتفاقية في مايو ١٩٨٣ الا بعد ان توسط جورج شولتز وزير الخارجية الامريكية لدى الجانبين . وفي النهاية قبل الرئيس الجميل الشروط المقترحة لانه اعتقد ان اسرائيل والولايات المتحدة على ما يبدو في مركز قوى وفي مقدورهما حماية المصالح المارونية بعد توقف القتال . والاهم من ذلك ، تم اعتبار هذا بمثابة خطوة اولى ضرورية في سبيل ابعاد كافة القوات الاجنبية عن لبنان — وهي القوات الاسرائيلية والسورية والفلسطينية . وعلى الرغم من ان الوثيقة تدعو الى انسحاب كل من القوات الاسرائيلية والسورية ، فان الاسد لم يشترك في المفاوضات ، ورفض ان يرى اسرائيل وقد حققت اي انتصار سياسي نتيجة للغزو العسكري . وعلى ذلك فانه استنكر على الفور الاجراءات التي تمت برمتها .

لقد كان لالغاء النهائي للاتفاقية أهمية بالغة بالنسبة للسوريين لانها تدعو الى انتهاء حالة الحرب التي دامت زهاء ٣٥ عاما بين اسرائيل ودولة مربية أخرى وتمنح اسرائيل اعترافا عربيا اضافيا وشرعية ، مثلما ورد في اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية . وربما يكون الأمر الأهم من ذلك أن اسرائيل حظيت بحقوق التدخل والتحليق فوق الاراضي اللبنانية بينما حرم آخرون من الامتيازات المماثلة ، بما في ذلك سوريا التي ربما كانت معادية لاسرائيل . وتعرضت هيمنة سوريا على لبنان ، للخطر ، كما أن اتمام الاتفاقية كان سيعطى قوة سياسية كبيرة للغاية لأمين الجميل والمسيحيين المارونيين على حساب جماعات أخرى في لبنان وثيقة الصلة بالسوريين ومرة أخرى تم التنديد بالولايات المتحدة لتزييف اتفاقية غير عادلة لصالح اسرائيل بينما استبعد السوريون وغيرهم من العرب من العملية .

كان الاخفاق في الاعتراف بالمصالح الحيوية لسوريا في لبنان بمثابة لوم علني موجه الى الاسد ، وقد اعتقد الرئيس السوري أنه من الاهانة أن ينظر الى رضوخ سوريا للاتفاقية كأمر مسلم به . وقد اعتبر ذلك أيضا خطوة أخرى بعيدة عن تناول الاسباب الاساسية للصراع العربي — الاسرائيلي : وهي القضية الفلسطينية ووضع الاراضي المحتلة . ولكل هذه الاسباب ، صمم الاسد على اجبار اللبنانيين على الغاء الاتفاقية واعتبر أيضا أن الغاءها انتصار على الولايات المتحدة ، التي تمثل بالنسبة له عدوا يود من صميم قلبه أن يخرجه .

وبتأييد من جانب السوريين ، استمر الدروز وغيرهم من قوات الميليشيا اللبنانية في الغالب في الهجوم على القوات الاسرائيلية المحيطة ببيروت . وكانت الخسائر جسيمة ، وفي سبتمبر من عام ١٩٨٣ انسحب الاسرائيليون جنوبا الى خط يمتد على طول نهر الاولى ، ولم يحققوا سوى هدف واحد فقط من اهدافهم : فقد تم اجبار قوات منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وجنوب لبنان على الخروج من المنطقة ، تاركة بذلك الحسدود الشمالية لاسرائيل آمنة .

وبعد ان تحرك الاسرائيليون الى جنوب لبنان ، بدأ يتعرض مشاة البحرية الامريكية المنتشرين حول المطار في ضواحي بيروت العاصمة ، للفيران المتزايدة من جانب الدروز وقوات الميليشيا المسلمة الاخرى المرابطة في التلال المجاورة . وردت الولايات المتحدة باصدار الاوامر بتحليق طائراتها من حاملات الطائرات التابعة لوحدات الاسطول الامريكي التي ترسو بعيدا عن الشاطئ ، وعندما أطلقت بطاريات المدافع السورية المضادة للطائرات نيرانها عليها ، ردت مدافع الوحدات البحرية الامريكية بقصف التلال والقرى ومواقع المدافع بالمدفعية الثقيلة . واتضح اكثر واكثر ان هدف امريكا انما هو حماية المسيحيين المارونيين التابعين للجميل ، الامر الذي خلق حالة حرب بين الطوائف السياسية والعسكرية اللبنانية الاخرى وبين الولايات المتحدة .

وفي شهر ابريل ، اى بعد شهر من زيارتي لبيروت ، لقي ٦٣ شخصا مصرعهم نتيجة لانفجار قنبلة القيت على السفارة الامريكية ، واسفر انفجار مروع فيما بعد عن مقتل ٢٤١ من جنود البحرية الامريكية وهم في ثكناتهم . وقد أثارت هذه الهجمات الارهابية وما قامت به قوات الميليشيا في التلال المحيطة ببيروت من اسقاط للطائرات البحرية الامريكية ، معارضة سياسية شديدة من جانب الكونجرس ومن جانب أفراد الشعب الامريكي ، لسياسة ريجان . ومع مطلع عام انتخابات جديدة ، حدث تغير مفاجيء في السياسة الامريكية .

وفي مستهل شهر فبراير عام ١٩٨٤ ، ندد الرئيس ريجان بالنسداءات التي وجهها الكونجرس لانسحاب جنود البحرية الامريكية ، معلنا انه لم يكن مستعدا « للاستسلام » وأنه لم يكن يعلم أى شيء بصدد أى من القوات المتعددة الجنسيات التي ترغب في مغادرة المنطقة . وأردف يقول : « اذا كانت قواتنا ستسحب ، فانها ستترك بيروت تحت ضغط من القوات التي يساندها السوفيت . وهذا يعنى نهاية لبنان كدولة . واتضح أنه أصدر أوامره بالفعل بتنفيذ مثل هذا الانسحاب ، الامر الذي أعلن رسميا بعد ذلك بثلاثة أيام . وقد جلت القوات الاوروبية لحفظ السلام بعد ذلك مباشرة . وكانت هذه

هي المرة الاولى منذ حرب فيتنام التي استطاع فيها الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه ان يعرقلوا تحركا استراتيجيا هاما للولايات المتحدة .

وعندما انسحبت القوات الامريكية والاوروبية من لبنان تحت الضغط ، تركت وراءها الاسد « ملك الجبل » وقد تعين على مختلف الطوائف اللبنانية ، بما في ذلك الرئيس الجميل والمسيحيين المارونيين ، ان ينجهوا من سوريا بصفتها عاملا مساعدا خارجيا ربما لجمع شملهم . وفي مارس عام ١٩٨٤ ، أجبر الجميل على اعلان الغاء اتفاقية الانسحاب اللبناني - الاسرائيلي ، وأعلن الاسد ان العرب قد حققوا لتوهم اهم انتصار على الولايات المتحدة .

وبالنسبة للبنان ، ربما كانت عملية التفاوض وتوقيع الاتفاقية والغاؤها فيما بعد امرا مفيدا . ومع تفشي الشقاق والفرقة ، ووجود قوات خارجية قوية مما يشكل تهديدا مستمرا ، واجهت لبنان الاختيار الصعب بين التفكك أو التقسيم . ولا يهم مدى مراعاة الاتفاقية للمصالح الاسرائيلية ، فان تكثيف التورط الامريكي ، قد أتاح للبنان مهلة كانت في أشد الحاجة اليها وتدعيما ماليا . ولدة عام بدءا من ربيع ١٩٨٣ ، استطاعت حكومة الجميل ان تستمتع بفترة لالتقاط أنفاسها من الضغط الذي تفرضه عليها جاراتها القويان سوريا واسرائيل . وقد ساعدت أيضا حالة الاستياء السياسي الداخلي في اسرائيل وجهود الاسد للقضاء على زعامة عرفات لمنظمة التحرير الفلسطينية ، على انشغال هاتين الدولتين عن القيام بأعمال تضر أكثر بجارتها المفلوبة على أمرها .

وبعد ذلك مباشرة ، تم تشكيل حكومة وطنية جديدة من العناصر الموجودة بالفعل مما أثار املا ضعيفا في أن تنهار الحواجز المادية والسياسية التي قسمت لبنان . وقد تدعمت الى حد كبير مكانة امين الجميل ونفوده السياسي نتيجة لرضوخه لمطالب الاسد بالغاء الاتفاقية مع اسرائيل ، واغتنام الاسد هذه الفرصة ليوسع من نطاق علاقاته بين الطوائف المسيحية ذات النفوذ . وفي الوقت نفسه ، اتضح لكل من وليد جمبلاط واتباعه من الدروز انهم فقدوا قوتهم بسبب اعدادهم الصغيرة (٦ ٪ فقط من عدد السكان) ودورهم العسكري البطولي الاقل أهمية .

ما الذي يريده السوريون ؟ انهم يريدون أولا وقبل كل شيء الاستقرار داخل لبنان ، مع حكومة متوازنة تمثل مختلف الطوائف السياسية والدينية وخاضعة بالقدر الكافي للمصالح السورية وبمرور الوقت ربما يتضاءل دور المسيحيين المارونيين ، وهناك احتمال في أن تبرز الطبيعة العربية والاسلامية للبنان . ويعتبر الاسد وجود القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان بمثابة تهديد لأمن سوريا وتعد لا مبرر له على السيادة اللبنانية ، وما لا شك فيه أنه

سيحاول أن يجعل وجودها في لبنان باهظ التكاليف بقدر ما يستطيعه ، وإذا لم تنجح هذه المحاولة ، فإن الأسد مصمم على أن تكون سوريا قوية الى الحد الذي تستطيع معه الاحتفاظ بمركزها في لبنان . وهو يريد الحيلولة دون وقوع أية مواجهة شاملة مع اسرائيل تحسبا للتهديد بحدوث خسائر جسيمة لدى كلا الجانبين واحتمال تبادل نيران الصواريخ طويلة المدى الأمر الذي ربما يشمل القدس وغيرها من المدن الاسرائيلية .

وفيما يتعلق بالفلسطينيين ، فإن الأسد يعتبر نفسه حاميههم وقائدهم الأول ، والآن وبعد أن تم طرد عرفات واتباعه الموالين له من سوريا ولبنان ، فإن السوريين سيحاولون التحدث باسم الفلسطينيين الأكثر تشدداً وذلك اذا سعى الآخرون الى التوصل الى تسوية منفصلة مع اسرائيل أو الاردن ، ان ادعاء الأسد بأنه بطل القضية الفلسطينية ، يتلاءم مع طموحه في أن يكون قبلة الانظار في العالم العربي . وبطبيعة الحال فإن عرفات ومعظم قادة منظمة التحرير الفلسطينية يستأفون بشدة من المحاولة السورية لاغتصاب سلطتهم ، ويؤيد معظم العرب الآخرين رغبة منظمة التحرير الفلسطينية في تحقيق الحكم الذاتي . ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أن نفوذ سوريا قد اتسع اتساعاً ملحوظاً في لبنان وخارجها على السواء ، وذلك نتيجة لاختراق الجهود الاسرائيلية والامريكية في لبنان

ان اسرائيل قد أضرت ضرراً بالغاً نتيجة للحرب اللبنانية . فقد ثارت معارضة داخلية قوية لأن الاجراء العسكري الشامل الذي قامت به قواتها لم يتم اعتباره لأول مرة ، بمثابة هجوم انتقامي لا دفاعي . فقد لقي مايزيد على ٦٠٠ جندي اسرائيلي مصرعهم أثناء الغزو الذي شنته على جنوب لبنان واحتلاله ، وهذا الالتزام من جانب القوات لا يحظى بتأييد شعبي بصورة متزايدة . وعلى الرغم من أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ضعفت تماماً ، وخضعت هجماتها عبر حدود اسرائيل للرقابة ، فإن المسلمين الشيعة الذين يحتلون معظم أجزاء جنوب لبنان ، أثروا ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية ، وتحول ترحيبهم السابق بها ، عندما حقق الاسرائيليون الاستقرار لقراهم ، الى معارضة علنية . ولم تنشب ثورة عامة ضد الاسرائيليين الاقوياء المنظمين تنظيمياً جيداً ، ولكن الشيعة أخذوا في بناء العديد من خلايا المعارضة الصغيرة داخل المنطقة . وكان من الصعب تتبعها والقضاء عليها ، وقد حققت نجاحاً في هجماتها المتفرقة على قوات الاحتلال الاسرائيلية ويشعر أيضاً عدد كبير من الدروز الذين يعيشون في اسرائيل والذين أقاموا علاقة طيبة مع القادة الاسرائيليين بأنه قد تم خداعهم نوعاً ما من خلال العمليات التي قامت بها اسرائيل في لبنان لصالح المارونيين وضد أتباعهم من الدروز . ومهما يكن من أمر ، فإنه ليس ثمة احتمال في أن يمثل هذا مشكلة خطيرة أو دائمة بالنسبة لاسرائيل .

وقد تكبدت الحرب والاحتلال الناجم عنها نفقات مالية باهظة ، وأصبحت إسرائيل تتحمل حاليا مسئولية اضافية وهي حكم ما يزيد على نصف مليون عربي يعيشون داخل المنطقة المحتلة جنوب نهر الأولى في لبنان . وقد اقسم رئيسا الوزراء ، بيجين وشامير ، على عدم الانسحاب من لبنان حتى توافق سوريا على نفس الشيء . وقد وعد بيريز رئيس الوزراء الاسرائيلي باجلاء قوات الاحتلال بمجرد توفر امكانية الحفاظ على أمن الحدود الشمالية ضد أى هجوم عليها ، وبدأت المباحثات الخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية - اللبنانية مرة أخرى في نوفمبر عام ١٩٨٤ . ومهما يكن من أمر ، فإنه من الصعب ضمان منع عمليات الإزعاج عبر الحدود من لبنان ، بدون التأييد الكامل من جانب السوريين ، والاسد لن يكون في عجلة من أمره فيما يتعلق بتقديم مساعدته . فهو يشعر بالرضاء ازاء الاحتفاظ بقواته في الأجزاء الوسطى والشمالية من البلاد ، وربما يمكنه أن يستريح وينتظر ليرى أثر الضغط السياسى الذى تفرضه حكومة الوحدة الوطنية الجديدة على القدس بصدد انسحاب القوات الاسرائيلية دون اضطراره لأن يساهم مساهمة كبيرة في العملية . وفي الوقت نفسه ، وكما حدث في الفترة السابقة للغزو ، فإن الأسد ربما سيفعل ما في وسعه لوضع قيود على أية هجمات لبنانية أو فلسطينية عبر حدود إسرائيل . ومما لاشك فيه أنه يحبذ الغياب التام للقوات الاسرائيلية من لبنان لانه في حالة نشوب جرب سورية - اسرائيلية ، فإن هذا الوضع المتقدم لقوات العود عند نهر الأولى ، لن يكون جذابا .

ويبدو أن إسرائيل في وضع لا تحسد عليه . فالشيعيون في الجنوب لا يرغبون في وجود أية قوات احتلال في وطنهم القديم ولكن ربما لن يستطيعوا منع تسلل منظمة التحرير الفلسطينية مرة أخرى في حالة انسحاب الاسرائيليين بدون ترتيبات أمن كافية . وهذا من شأنه أن يثير احتمال تجدد انزعاج الطوائف التى تقيم في الجزء الشمالى من إسرائيل ويمهد الطريق لنشوب غزو اسرائيلي آخر . وفي النهاية فإن الغزوات السابقة لم تحقق سوى القليل أو لم تحقق شيئا على الاطلاق . ويمكن حل هذا اللغز في المسألة الفلسطينية ، فإنه من خلال احراز تقدم في الضفة الغربية من شأنه أن يخفف من حدة المعارضة الفلسطينية لإسرائيل كحقيقة واقعة .

لقد أثبتت لبنان مرونتها في الماضى ، حتى في أصعب الظروف . ويتساءل المتحدثون اللبنانيون ، « كم عدد الدول الأخرى التى يمكنها أن تظل باقية بعد تسع سنوات من الحرب ، فقد قتل ما يزيد على مائة ألف ، وشرد مليون ، واحتلت ثلاث قوات اجنبية قوية ثلاثة أرباع اراضيها ؟ » « ويعربون عن رضائهم ازاء النظام الأساسى للحكم في بلادهم ولا يرون أن هناك بديلا منطقيا آخر سوى بعض التنسيق والتوافق الدقيق . وليس هناك داع في أن يقوم

هذا على أساس مبدأ « لكل رجل واحد صوت واحد » . فأصغر وحدة ليست الفرد ولكن الجماعة ، ويشعر اللبنانيون بضرورة المحافظة على الطوائف الدينية والعرقية . وليس ثمة من يقبل التقسيم ، الأمر الذى تفكر فيه فى بعض الأحيان جاراتها القويتان ، سوريا واسرائيل ، أو يفكر فيه آخرون أكثر ابتعادا والذين لا يستطيعون ببساطة أن يؤمنوا بأن لبنان تستطيع أن تواصل البقاء ككيان سياسى واحد .

ما الذى تريده لبنان على الرغم من أن اللبنانيين لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم بسبب بنيتهم العسكرية الضعيف والمجزأ ، فانهم فى الوقت نفسه ليسوا موضع شك فى أن يكونوا معتدين أقوياء . وثمة حلم من أحلام بلادهم فى أن تكون هولندا أو سويسرا الشرق الأوسط ، وأن لا تتورط فى صراع أو تكون مسرحا للمتقاتلين الآخرين وأن تستفيد من العلاقات الطيبة مع جميع الدول الأخرى ، أن اللبنانيين يريدون سيادة لا متنازع عليها على أراضيهم وتحقيق الأمن والاستقرار والعدل على أساس . الاجماع الداخلى والرخاء الذى يؤمنون بأنه سيتحقق نتيجة لذلك . ويدركون مدى ضرورة اتحاد دولتهم قبل امكانية احترام سيادتها . وكلما تمتعت كل من اسرائيل وسوريا بالأمن شعرت لبنان بالامان . وبطبيعة الحال فإن اللبنانيين يريدون انسحاب كلا الدولتين من أراضيهم ، ولكن هناك فرقا بينهما . فالاحتلال الاسرائيلى ينظر اليه على أنه جزء من الصراع الشامل بين العرب واليهود ، بينما يعتبر الوجود السورى بمثابة مشكلة عربية بحتة ، يتم حلها بعد خروج القوات الأخرى من البلاد . واللبنانيون متفقون فى الراى بصدد نقطة واحدة وهى أنهم لا يريدون عودة الفلسطينيين الى بلادهم .

لقد تلقى العالم بعض الدروس ، وربما تتشكل أحداث المستقبل وفقا لما حدث مؤخرا فى لبنان . لقد اتضح تماما ضعف العالم العربى وتفقتة عندما لم يتم اعتراض تقدم اسرائيل داخل بيروت . وطبقا لذلك فإن بعض أولئك القادة العرب الذين كانوا متعسفين فى أعقاب تحرك السادات نحو السلام مع اسرائيل قد اعترفوا بالحاجة الى مودة مصر الى الحضيرة العربية . وعلى ما يبدو فإن القوة العسكرية لاسرائيل ما زالت بلا منازع ، ولكن الاستخدام الفعال لهذه القوة المحركة لتشكيل الأحداث فى الشرق الأوسط قد ثبت أنه مشكوك فيه تماما . وقد تضاعف النفوذ الأمريكى فى المنطقة نتيجة لمغامرتها العسكرية التى قدر لها الفشل فى لبنان ، بينما دعم السوفيت فى النهاية قوتهم فى سوريا وكانوا ينتهزون كل فرصة ممكنة لملء الفراغ فى العلاقات الأمريكية مع الدول العربية الأخرى . وانهارت القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتبعثرت قواتها فى جميع أنحاء العديد من الدول ولكن عرقات الذى يعيش بتسعة أرواح عاد الى العمل السياسى بروح جديدة ، وهو على استعداد لأن يستعيد نفوذه بطريقة جديدة

وغير متوقعة . وقد ضمنت القبضة السياسية لبيجين
وشامير وشارون على اسرائيل ، ولكن ربما يكون ذلك بصفة مؤقتة فقط ،
وربما يتم اكتشاف فرص جديدة الآن لتحقيق السلام ، مع بداية تولى حكومة
اسرائيلية جديدة الحكم .

ولكى يشعر الكثيرون بارتياح ، فان لبنان لم تعد مسرحا رئيسيا ويمكن
لأنظار العالم أن تتجه حاليا الى منطقة أخرى . وربما تكون هذه المنطقة في
الشرق الاوسط أيضا . ومعظم الممثلين ما زالوا يؤدون ادوارهم في نفس
المسرحية ، ولكن ما زال من غير الواضح ما اذا كان الفصل المقبل من المسرحية
سيحقق الهدوء أو انه سيأتي بمزيد من سفك الدماء .

الفلسطينيون

ان حدود فلسطين ، التي يطلق عليها ايضا اسم ارض كنعان او الارض المقدسة لم يتم وضع خطوط واضحة لها على الاطلاق . واسم فلسطين ، هو اسم قديم ، مشتق من كلمة الفلسطينيين الذين عاشوا هناك . وحيث أنه معروف عنهم أنهم من أبناء السواحل ، فهم يقيمون أساسا في الاراضي الواقعة على ساحل البحر فيما هو معروف الآن جنوب اسرائيل وقطاع غزة . ولم يصور الكتاب المقدس أولئك الناس في صورة جذابة ، لأنهم لم يعبدوا الله ولأنهم تنافسوا مع أصحاب الكتب المقدسة على السيطرة على كنعان . وعندما كان لبنى اسرائيل شمشيون أو ملك مثل داود يقودهم ، كان الفلسطينيون يتعرضون في بعض الأحيان للهزيمة ، ولكنهم استطاعوا أن ينتصروا أمام معظم القادة الآخرين ويوسعوا أراضيهم .

وقد اختار الفاتحون الرومان ، الذين أرادوا طمس كل من عاصمة بنى اسرائيل واسمهم ، بعد أن قضوا على الثورة اليهودية الأخيرة ، اسم فلسطين لاطلاقه على الجزء الجنوبي لاقليمهم السوري الجديد . وتمت الموافقة بصفة عامة على الاسم ، حتى ولو أن حدود المنطقة ظلت تتغير عبر القرون .

وفي نهاية الحرب العالمية الاولى ، كلفت عصبة الأمم ، بريطانيا العظمى بالاعتراف على دولة الانتداب الفلسطينية ، التي ضمت أراضي اسرائيل الحديثة والضفة الغربية وغزة والاردن . وفي عام ١٩٢٢ ، تم فصل الاردن عن دولة الانتداب ، وشكلت الاراضي المتبقية والتي تقع بين نهر الاردن والبحر الابيض المتوسط ما يعرف باسم فلسطين .

وهكذا فإن كلمة « الفلسطينيين » تعنى منطقيا ، كل هؤلاء الذين يعيشون أو يحملون بطاقة المواطنة في هذه المنطقة . ومهما يكن من أمر ، فإنه ليس ثمة منطقتين في التعامل مع المنطقة كأرض مقدسة . فقبل اقامة دولة اسرائيل ، كان يطلق على يهود فلسطين اسم اليهود الفلسطينيين ولكن فيما بعد ذلك أصبحوا اسرائيليين ، وأن أولئك العرب الفلسطينيين الذين لم يختاروا قبول الدولة الجديدة ويعيشون فيها كمواطنين ، استمروا في اطلاق اسم فلسطينيين على أنفسهم . وتعريفنا لن يشمل سوى العرب وسلالاتهم ، وكل من المسلمين والمسيحيين الذين يعيشون في المنطقة وما زالوا يزعمون أن فلسطين وطنهم .

ومن بين الاربعة ملايين فلسطيني المنتشرين في جميع أنحاء العديد من الدول ، يعيش الآن أكثر من نصفهم في ظل الادارة الاسرائيلية — إما

في اسرائيل كمواطنين (ما يقرب من ٦٥٠.٠٠٠) او في الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال (ما يقرب من ١٣٧٠.٠٠٠) والجدير بالذكر ان تعداد السكان العرب يزداد بمعدل ٢/١ ٪ سنويا . وثمة عدد كبير اضافي يعيش في الارض التي تحتلها القوات الاسرائيلية في الجزء الجنوبي من لبنان .

وعندما اجرت بريطانيا تعدادا للسكان في فلسطين عام ١٩٢٢ ، كان هناك نحو ٨٤٠.٠٠٠ يهودي و ٦٧٠.٠٠٠ عربي من بينهم ٧١٠.٠٠٠ مسيحي . وبحلول الوقت الذي قامت فيه الامم المتحدة بتقسيم المنطقة عام ١٩٤٧ ، ازدادت هذه الاعداد لتصبح بالتقريب ٦٠٠.٠٠٠ يهودي و ١٣٠٠.٠٠٠ عربي ، ١٠٪ منهم مسيحيون . وفي اثناء حرب ١٩٤٨ وعندما اكدت اسرائيل وضعها كدولة مستقلة ، تم طرد ٦٠٪ من الفلسطينيين المقيمين في الاراضي التي اصبحت اسرائيل ، او هربوا من ديارهم .

وقد رت الامم المتحدة انه عندما بدأت حرب ١٩٦٧ بلغ عدد هؤلاء اللاجئين ١٣ مليون لاجيء ، ربعهم في الاردن وما يقرب من ١٥٠ ألف في كل من لبنان وسوريا ومعظم العدد الباقي في معسكرات اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة . وكنتيجة لتلك الحرب ، اجبر ٣٢٠.٠٠٠ آخرون من السوريين والمصريين والاردنيين والفلسطينيين على مغادرة المناطق الاضافية التي احتلتها اسرائيل في ذلك الوقت . وكان معظمهم عاطلين ، لا يعرفون سوى زراعة الارض او رعى الاغنام ، واكثر من نصفهم كان يعيش في معسكرات اللاجئين . وقد تمت الموافقة على عدد من قرارات الامم المتحدة ، بعضها صدر تحت رعاية الولايات المتحدة بل وحتى حظي بتأييد اسرائيل) ، وتدعو هذه القرارات الى ضرورة تعويض اللاجئين الاكثر حاجة واستحقاقا ولكن القليل منهم فقط هو الذي سمح لهم بالعودة الى ديارهم .

واعرب الفلسطينيون والقادة العرب عن قلقهم ازاء ازدياد تعدد الاسرائيليين على اراضي العرب وحقوقهم . ومهما يكن من امر ، فانه لم يتم عقد اجتماع القمة الاول لرؤساء الدول العربية في مستهل عام ١٩٦٤ والذي دعا اليه الرئيس عبد الناصر رئيس مصر ، الا بعد اعلان خطط اسرائيل الخاصة بتحويل المياه من بحر الجليل ونهر الاردن لسرى اراضي منطقة غرب اسرائيل وصحراء النقب . لقد علم عبد الناصر ان العمل العسكري لا يستطيع ان يوقف عملية تحويل المياه ، ولكن الرؤساء العرب الاكثر تشددا طالبوا بضرورة اتخاذ اجراء في هذا الصدد . وفي يونيو عام ١٩٦٤ ، تم تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية رسميا ، بقوتها العسكرية ، لتمثل الشعب الفلسطيني .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، تم تعزيز منظمة التحرير الفلسطينية الى حد كبير من خلال تفجير مشاعر الوطنيين الذين استولت اسرائيل على اراضيهم ،

وبهدف ايجاد جبهة متحدة ومشتركة اكثـر ، سرعان ما اعترف القسادة العرب وبعض الجماعات المتنافسة من الفلسطينيين بظهور منظمة التحرير الفلسطينية . واصبح المجلس الوطنى الفلسطينى بمثابة برلمان لها ، وتسم فيما بعد تشكيل لجنة مركزية ولجنة تنفيذية يمكن لعضائهما ان يعملوا كمجلس للوزراء فيما يتعلق بتناول مختلف الموضوعات مثل الرعاية الاجتماعية والتعليم والاعلام والصحة والجانب العسكرى .

وفى عام ١٩٦٩ اكتشفت منظمة التحرير الفلسطينية فى ياسر عرفات قائدا قويا ، وهو فلسطينى متعلم تعليما عاليا ومؤسس حركة فتح ورئيسها ، وهى عبارة عن منظمة فدائية تضع الترتيبات الخاصة بالهجوم على اسرائيل من جهة سوريا . وبعد اختياره رئيسا للجنة المركزية والمنظمة التحرير الفلسطينية استطاع عرفات ان يحدد من نشاط بعض الجماعات الاكثر تطرفا بين الفلسطينيين ، وركز القدر الكبير من اهتمامه على جمع الاموال لرعاية اللاجئين ومساندتهم ، وحشد التأييد العالمى للقضية الفلسطينية . وسرعان ما نجح الفلسطينيون فى هذه الجهود ، بفضل هذا الصوت الاكثر فعالية . واستطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ان تقيم بعثات دبلوماسية فيما يزيد على مائة دولة ، واستخدمت ونسجها كمراتب فى الامم المتحدة لتصبح صوتا من اكثر الاصوات المؤثرة فى المحافل الدولية .

ولسم يكن الخروج التالى للفلسطينيين من اسرائيل ، ولكنه كان من الاردن فى عام ١٩٧٠ ، نتيجة للحرب الاهلية بين المتشددى الفلسطينيين والقوات الاردنية النظامية . وعندما سيطرت القوات التابعة للملك حسين على الوضع ، لم يكن امام الفيض الجديد من اللاجئين سوى مكان واحد يتجه اليه : وهو لبنان ، وهناك وجد الفلسطينيون دولة مضيئة ليست من القوة — على العكس من مصر وسوريا — بحيث تستطيع ان ترفضهم كما كابت بمثابة المكان الذى استطاعت فيه منظمة التحرير الفلسطينية ان تتطور لتصبح منظمة حكومية ، بل وحتى ميليشيا مستقلة . وكان لقواتها مطلق الحرية لتوجيه ضرباتها عبر الحدود ضد اسرائيل ، وسرعان ما أصبحت تشغل مساحة كبيرة من لبنان بدرجة تكفى لتحدى سيادة الحكومة اللبنانية .

وقد تأثرت لبنان تأثرا عكسيا فى اغلب الاحيان نتيجة لوجود اعداد كبيرة من الفلسطينيين . فان كل غارة من الغارات التى شنّها الفدائيون على اسرائيل ، قد أثارت رد فعل انتقامى مفاجئ ، مما أسفر عن تعرض السكان المدنيين اللبنانيين للجزء الاكبر من العقاب الذى ينزل عليهم فى صورة قصف للقنابل ، حتى أنهم أصبحوا يستأون بازدياد من ضيوفهم المضجرين . ومن خلال تشكيل تحالفات مع المسلمين السنيين وبعض الجماعات الاكثر تطرفا فى لبنان ، كسب الفلسطينيون وحلفاؤهم المزيد من السيطرة على البلاد ، وكانت هناك مناوشات،

متكررة نظرا لاستمرار الصراع على السلطة والنقوذ . وردا على ذلك ، أنشأ المسيحيون المارونيون قوات ميليشيا خاصة بهم لمواجهة التحدى ولكنهم أثبتوا هزهم . وأصبحت البلاد أكثر ضعفا وانقساما في داخلها ، وفي عام ١٩٧٥ ، نشبت حرب أهلية . وفي العالم التالى ١٩٧٦ تحركت القوات السورية لإعادة النظام . وفي النهاية ساعد السوريون في إبرام اتفاق ينص على قصر نشاط قوات الميليشيا الفلسطينية على أماكن محددة ، والحد من الهجمات الفلسطينية ضد إسرائيل .

وفي تناول الصراع واحتمالات السلام في المشرق الأوسط ، لم يكن هناك من سبيل لتجنب ادراك مدى دقة تداول وتشايف التاريخ والامانى والمصير لشعبين طالت معاناتهما وهما اليهود والعرب الفلسطينيون .

وبعبارة أبسط ، فإن الصراع العربى - الاسرائيلى يعتبر بمثابة نضال بين هويتين وطنيتين من أجل السيطرة على الارض ، ولكن هناك تأثير القضايا التاريخية والدينية والاستراتيجية والسياسية والسيكولوجية ، على المواجهة مما يؤخر تسويتها سلميا . ان مايريده أى من الطرفين لا يقل عن الاعتراف والقبول والاستقلال والسيادة والهوية الاقليمية . ولا يعترف أى منهما رسميا بوجود الآخر ولذلك فإن أى اختبار للنوايا يتعين اجراؤه عن طريق وساطة غير متقنين من نجاح مهمتهم . ويسعى كل منهما الى الحصول على موافقة عالمية، وتأييد مالى ومعنوى واىوائى من جانب الحلفاء الخارجيين ومن جانب دولة من الدولتين العظميين وكل طرف يخشى الدمار الشامل من الطرف الآخر أو الانكار الكامل لوجوده . وقد غذى هذا الخوف تاريخ طويل من العنف والكراهية ، حاول كل منهما خلاله ان يلغى صفة الشرعية للآخر بينما يعترضون بقوة : المزايا المفيدة والخاصة لقضيتهم .

بدوا من عام ١٣٥ بعد الميلاد ، عندما اتم الامبراطور الرومانى هادريان جمع الثورة اليهودية في فلسطين وذبح السكان وتشيتيتهم ، كانت الآلام التى عانى منها اليهود المشردون والتى تضاعفت نتيجة للاضطهاد العنصرى المكثف ، دافعا مستمرا لليهود للعودة الى وطنهم المقدس وانشاء دولة اسرائيل كملاذ لهم . كانت اسرائيل بالنسبة لليهود بمثابة تحقيق للنبوءة المقدسة وترويج للحلم الخاص بتشكيل حكومة من اختيارهم والعيش في ظلها .

والفلسطينيون يعانون من ظروف تشرد مماثلة ، فهم مشتتون في العديد من الدول ، وقد تجسدت أيضا رغبتهم في تقرير مصيرهم والعودة الى وطنهم ولقيت هذه الرغبة ، تأييدا عالميا قويا . ويزعم الفلسطينيون ، شأنهم في ذلك شأن اليهود ، بأنهم مدفوعون بعقائد دينية تقسوم على أساس ما وعدهم به الله ، ويعتبرون أنفسهم أنهم يضمنون خليطا من كافة الشعوب بما في ذلك اليهود القدامى الذين عاشوا في فلسطين ، وطنهم ، منذ عصور التوراة القديمة .

وعلى مسر السفين ، عانى كل من الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين من العزلة وعدم المبالاة على أيدي أخوانهم العرب ، ويصرون الآن ، على أنهم أجبروا ، وليس نتيجة لخطأ ارتكبوه ، على التخلي عن مساحة أكبر وأكبر من أراضي أسلافهم لافساح المجال أمام توسيع نطاق الملاذ اليهودي لاسرائيل . وفي الوقت الذي يحتفظون فيه بحقهم الشرعي والأدبي في وطنهم ، فإن أولئك الذين ظلوا في فلسطين — ولا سيما في الضفة الغربية وفلسطين — قد تعس عليهم الاختيار ما بين الذهاب الى المنفى أو الاستمرار في العيش في ظل الحكم العسكري . وقد ازداد شعورهم بالاحباط واليأس نتيجة لعجزهم النسبي في التخلص من مظالمهم وآلامهم . ولقد سيطر عليهم حلم العيش يوما في ظل حكومة من اختيارهم .

وعلى الرغم من هذا التشابه الواضح بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، أو ربما بسبب هذا التشابه فإن الاسرائيليين والفلسطينيين يحتقرون ويسخرون بعضهم من البعض الآخر بصفة عامة وينكرون عادة أن ثمة تماثلا في ظروفهما . وبدا الامر كما لو أن الاعتراف من جانب طرف بشرعية قضية خصمه الآخر إنما يعنى اضعاف شرعيته هو .

ومهما يكن من أمر ، فإن كل جماعة سلكت طريقا مختلفا تماما للخلاص من مظالمها ، وبذلك لم تكن النتائج متماثلة . وبدون التخلي قط عن أهدافهم الطموحة للغاية فيما يتعلق بإنشاء دولة يهودية متميزة لها حدود مماثلة لتلك التي كانت في عهد الملك داود ويحيط بها جيران مذعنون ومسالون ، فإن اليهود سعوا الى تحقيقها بخطى متزايدة وحتى بحلول وسطى وقت من الاوقات عندما يازم الامر ، وقد حققوا تقدما كبيرا ، والفلسطينيون من ناحية أخرى ، رفضوا كالمعتاد الحل الوسط ، وظلوا ملتزمين بالاجماع بالموقف الخاص « بكل شيء أو لا شيء » . وفي المقابل ، لم يحقق الفلسطينيون أى شيء سوى كسب العطف وتأبيد محدود في المحافل الدولية وفي أوساط عربية أخرى . وانجازهم الملموس الوحيد يتمثل في تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي شكل من أشكال الحكومة في المنفى . وهذا يساعد على تفسير التأبيد العلني والاجماعي تقريبا بين الفلسطينيين لمنظمة التحرير الفلسطينية ولأهدافها وأغراضها .

وهناك ثلاث جهات نظر أساسية فيما يتعلق بإمكانية التوصل الى تسوية بين اليهود والفلسطينيين . فثمة وجهة نظر تفيد بأن القضية الفلسطينية تعتبر جوهر الصراع العربى — الاسرائيلى ، وبشكل من أشكال التكافؤ وتقدير المصير للفلسطينيين ، فإن الصراع سيبدأ في الثلاثى في الوقت الذى يوافق فيه العالم العربى على الواقع السياسى لاسرائيل . وثمة وجهة نظر ثانية تتمثل في أنه في أعقاب التوصل الى تسوية للنزاع العربى — الاسرائيلى بصسورة أشمل ، بما في ذلك الموافقة الصريحة على وجود اسرائيل من جانب نسبة

كبيرة من الدول العربية ، فإنه سيكون من الأيسر تسوية العنصر الفلسطيني في الصراع . أما وجهة النظر الأكثر قتامة والأكثر تشاؤما فهي تلك التي أعرب عنها هؤلاء الذين يقولون انه لا يمكن تحقيق سلام دائم في الشرق الأوسط طالما توجد الدولة اليهودية في قلب عالم عربي أو تلك التي تقول من ناحية أخرى ، ان منح أي عنصر من عناصر تقرير المصير للفلسطينيين سيكون حتما بمثابة الخطوة الأولى نحو القضاء على اسرائيل .

وببساطة فإنه من المستحيل لآخرين ان يفهموا فهما كاملا حدة الشعور والالتزام بين هذين الشعبين فيما يتعلق بمعاناتهما الحالية والماضية وتصميمهما على انهاءها أو تجنب تكرارها في المستقبل . ولا يسعنا الا ان نستطلع كل امكانية لتفهم أفضل بين أفراد الشعب الذين يعيشون حاليا في كل أنحاء فلسطين والذين يساعدونهم من الخارج بسبب مشاركتهم في التجارب أو الالتزامات . ولقد حاولنا بصورة جزئية وبطريقة تكتنفها الغموض ، أن نطرح هذه المسائل الأساسية في كامب ديفيد ، ولكن لم يكن هناك أي من الفلسطينيين على استعداد للتفاوض على أساس شروطنا ، والوعود الواردة في الاتفاقية فيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين خلفها زعماء اسرائيل .

وفي خلال زيارتي الأولى لمنطقة الشرق الأوسط بعد مغادرة البيت الأبيض في عام ١٩٨٣ ، كنت قد تعرفت على معظم زعماء الدول . ومهما يكن من أمر ، فإنني أردت أيضا أن أعرف المزيد عن أفراد الشعب الفلسطيني — كيف يعيشون ، وما هي اهتماماتهم الأولى ، وكيف كان رد فعلهم ازاء وجود احتلال عسكري طويل الأمد ، وما قد يقترحونه كتسوية سلمية . لقد استمعت في القاهرة وعمان والرياض ودمشق ، في أغلب الأحيان للقادة الفلسطينيين وهم يشرحون وجهات نظرهم المختلفة في مشكلة الشرق الأوسط بالنسبة لما يتعلق بهم وباللاجئين الذين يتحملون مسئوليتهم .

وفي صباح أول يوم لي في القدس ، تحركت في رغبة في الاطلاع على ما يجري في الأراضي المحتلة . وكالمعتاد ، استيقظت مبكرا . وبينما كنت على وشك الخروج للتجول في المدينة القديمة ، يصاحبني أحد رجال المخابرات الأمريكية ، انضم إلينا جنديان اسراييليان وقالوا أنهما سيرشدانا في جولتنا . وبدانا الجولة من فندق الملك داود الى بوابة يافا ثم اتجهنا شمالا حول المنطقة الخارجية للحصون القديمة . وبينما كنا نسير بالسيارة بسرعة نحو الشرق على طول طريق أريحا ، رأيت مجموعة من العرب من كبار السن يجلسون على قارعة الطريق يقرأون الصحف . وكان الرصيف خاليا تقريبا من المسارة ويتسع بصورة كافية للمرور بسهولة ، ولكن أحد الجنود انعطف نحو اليمين واقترب منهم وألقى بكافة الصحف في وجوه القراء المذهولين .

وسقطت بعض الصحف على الأرض . وتوقفت لاعتذر للرجال ، ولكنهم لم يستطيعوا فهم ما قلته لهم . ثم قلت للجنديين اما أن يسمح لي بالسسير بمفردي او الا يتعرضان لأي شخص آخر بطريقة عدوانية . ووافقا بعد تردد على تحقيق رغبتى ، ولكنهما أضافا يقولان ان احدا لا يستطيع أن يعرف ما يخفونه وراء الصحف .

وفى الضفة الغربية وقطاع غزة ، أمضيت بعض الوقت مع الفلسطينيين من كافة الاعمار فى كل من المجتمعات الكبيرة والصغيرة وفى المناطق الريفية . ومرة أخرى ، كان معظمهم قادة : أحدهم عمدة مسيحي لبيت لحم ، وآخر رجل مسن اقل من منصبه فى البلدية ويعيش فى قطاع غزة ومازال يعتبر المتحدث الذى لا منازع عليه بين افراد شعبه . وكان من بين هؤلاء عدد قليل من المحامين نشطوا فى الدفاع عن حقوق جيرانهم فى المحاكم العسكرية الاسرائيلية ، وانتخب اثنان أو ثلاثة لوظائف عامة فى عام ١٩٧٦ وأجبروا حاليا على العيش فى المنفى فى الاردن ، كما كان من بين هؤلاء أساتذة فى جامعات كبرى وعدد كبير من الفلاحين والقرويين الذين أرادوا وصف حياتهم المقيدة فى الأراضي المحتلة .

كان معظم الفلسطينيين ، مسلمين ، ولكن عددا كبيرا كان ايضا من المسيحيين ، وتحدثت مع العديد من القساوسة ورعاة الكنائس عن شئونهم الكهنوتية . وزعموا أنهم ينزعجون بصورة ملحوظة من العنف الذى ينتشر حولهم ، وقال أحد القساوسة ، انه هو وعدد من رعايا الكنيسة التابعين له قد فزعوا فى الآونة الأخيرة عندما قامت « جماعة ارهابية يهودية » بوضع قنبلة فى معبدهم . وقد تم اكتشافها قبل أن تنفجر . وثمة شخصية جذابة تمثلت فى مسيحي شاب كان يحاول اقناع أصدقائه من الفلسطينيين بمزايا المقاومة السلمية مؤمنا بأن أسلوب مهاتما غاندى ومارتين لوثر كينج سوف يكونان من أفضل الأساليب التى يمكن لآخوانه اتباعها . وأضاف قائلا : انه كان يعقد دورات تدريبية فى بعض قرى الضفة الغربية التى تخضع لرقابة السلطات الاسرائيلية ، وأعطانى نسخة مما أعده بدقة باللغة الانجليزية .

وفى الطريق من القدس الى غزة ، مررت جانبا جديدا من جوانب الحياة للفلسطينيين عندما طلبت منى السلطات الاسرائيلية أن اتوقف عند جالية فلسطينية نموذجية لتفقد التقدم الذى تم احرازه فى المنطقة . وهنا اتيت لى الفرصة للقاء العمدة ومجلس المدينة . ولهذا فقد استطعت أن أستفسر عن الكيفية التى تحكم بها المدينة . وفى بداية الامر كنت أتساءل عن يكسون الشخص المسئول . ولكن سرعان ما أدركت أن أكثر الرجال حديثا فى المجلس هو الممثل الاسرائيلى فى « رابطة القرية » . وقد اتضح أن للفلسطينى ٢

سلطة كبيرة ولكنه كان متبوعا في مجتمعه ، ولكنني لم أبدا في فهم الموقف الا بعد مناقشات حامية بين القادة القرويين المجتمعين .

فقد فهمت أن موشى ديان ، وزير الدفاع الاسرائيلي الذي وضع سياسة الحكم في المناطق المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ ، قد أصدر قرارا بضرورة ان يقدم العرب بحكم أنفسهم بقدر الامكان وبأنه لا ينبغي أن يكون هناك فرض لأي ادارة اسرائيلية . وعندئذ قام العمدة المعتدلون الذين يحظون بالاحترام والتقدير ، وهم من غير أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ، بتولى معظم الشؤون الفلسطينية ، وهؤلاء تم اختيارهم في ظل الحكم الأردني أو نتيجة للانتخابات البلدية — عام ١٩٧٢ . وفي ١٩٧٦ سمح الاسرائيليون مرة أخرى باجراء انتخابات حرة ، وقد قرر المرشحون التابعون لمنظمة التحرير الفلسطينية الاشتراك فيها . وتم انتخابهم في عدد من المجالس البلدية .

وفي عام ١٩٨٠ — ١٩٨١ تولى العسكريون الاسرائيليون الادارة الكاملة تقريبا ، والقوا القبض على المسؤولين المنتخبين ، وشكلوا فيما بعد ادارة مدنية خاصة بهم . وقد تمت محاولة لتكوين صفوة سياسية جديدة من الفلسطينيين من خلال منح نفوذ ورعاية خاصة لأولئك الذين على استعداد للاقتناع بالاتجاه الاسرائيلي ، ولكن يبدو أن أولئك الممثلين المتلقين في التجمعات الريفية يتعرضون للاحتقار من جانب معظم جيرانهم العرب بصفتهم خونة لوطنهم .

وباستثناء أولئك العرب الذين اختارتهم السلطات لتولى بعض الوظائف البيروقراطية وتوزيع الامتيازات السياسية ، فإن الفلسطينيين الذين قابلتهم كانوا إما أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية أو مؤيدين لها بشدة ، وقد أمربوا عن استيائهم البالغ مما اعتبروه بمثابة قمع عنيف من جانب السلطات العسكرية . ومعظمهم تناول القضية بنوع من التصميم والأمل ، ولكن البعض بدا حزينا مكذرا . وقد اضطروا الى أن يرضى بالأمر الواقع . ونادرا ما وجه أحدهم النقد مباشرة الى منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن محاميا فلسطينيا اشتكى من أن « عرفات وغيره من قادة منظمة التحرير الفلسطينية ، مهتمون بالصراع من أجل السلطة السياسية وجمع المال وانفاقه ، أكثر من اهتمامهم بمحنة الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل الاحتلال العسكري » .

ومهما يكن من أمر ، فإن الادانة الأصلية الصادرة من أولئك الناس — شأنهم في ذلك شأن العديد من العرب خارج الأراضي المحتلة — وجهت تقريبا الى كل من اسرائيل والدوليات المتحدة بالتساوي . فقد نددوا ببيلادنا لتمويلها المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ، ولدعمها للعمليات العسكرية ضد الدول العربية ، وقد شغروا بالمرارة بصفة خاصة ازاء رفضنا الاعتراف بالشعب الفلسطيني أو توفير منبر للدعوة الى حل مشاكلهم . وقد سخروا من الوعد الذي التزمت به دولتنا امام اسرائيل بعدم الاعتراف أو التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية

حتى تعترف المنظمة بحق إسرائيل في الوجود ، واعتبروا هذا الوعد خطأ سياسيا غير منطقي ولا يسفر الا عن نتائج عكسية .

جرت لقاءاتنا في الضفة الغربية وقطاع غزة في عدة اماكن مختلفة : في منازل ومكاتب البلدية ، وفي مستشفيات ، وفصول مدرسية خالية من التلاميذ ، وفي أركان حوانيت أو مخازن وكنائس وأديرة . وفي كل حالة تقريبا ، رتب أولئك الذين وافقوا على أن اجتمع بهم ، حضور بعض أفراد أسرهم أو أصدقائهم .

وفي بادئ الأمر التزم الجميع بقدر ملحوظ من التحفظ ازاء بدء أى موضوع هام أو مثير للجدل . وكنا نحتسى البن الاسود أو الشاي أو الكوكالا أو نتناول سكر النباتات أو الكعك المحلى الصغير ويتلاشى ببطء الشعور بالقيود وتبدأ مناقشة أكثر حيوية ، بعد أن يكون جميع الحاضرين تقريبا قد ائتركوا فيها . وكثيرا ما يجادل الفلسطينيون بعضهم البعض الآخر وحتى في بعض الأحيان ينضم اليهم أبناءهم . وفي الاجتماعات الأوسع نطاقا استطاع العديد من الناس التحدث بالانجليزية والعربية على السواء ، وفي بعض الأحيان يتنافسون مع بعضهم البعض في ترجمة بعض الجمل للآخرين .

وقد وجهنا الدعوة أيضا الى بعض الجماعات القليلة للحضور الى مقر القنصلية الامريكية في القدس . وقد اصطبغت هذه الجلسات بالصيغة الرسمية أكثر ، ولكنها لم تكشف عن أى شيء . فقد عرض المشتركون وجهات نظرهم كما لو كانوا محامين يكتبون مذكرة بعناية ، وبطريقة مبنية على الاستدلال والاستنتاج وبصورة مقنعة بل انهم كانوا يقدمون في بعض الأحيان وثائق أو أدلة لحجتهم .

ولقد حاولت ، في كافة الاجتماعات أن أعرض وجهات نظري بصدد الحاجة الى إنهاء العنف ، وإقامة اتصال أفضل بين الفلسطينيين والإسرائيليين والشعب الأمريكى ، وتأييد جهود السلام التى وصلت الى طريق مسدود . وبدأ وصفى لاتفاقيات كامب ديفيد وبيان ريجان فيما يتعلق بالفلسطينيين ، كما لو كانا بمثابة نشرة أخبار بالنسبة للكثيرين منهم ، وكان واضحا أن قبولهم لآى من الاقتراحين سيعتمد اعتمادا تاما على تفسير منظمة التحرير الفلسطينية . وقدمت لهم عرضا ملخصا للفوائد المحددة التى ستعود عليهم اذا قدر لمثل هذه الجهود أن تنجح . وشجعتهم على تأييد الملك حسين فيما يتعلق بقراره المعلق الخاص بالانضمام الى مباحثات السلام ممثلا عن الاردن والفلسطينيين . وقد أعربوا عن بعض الامر في أن يوافق عرفات .

وهذه الأنواع من القضايا العامة شكلت نسبة صغيرة من المناقشات ، ان ما اراده الفلسطينيون هو سرد قائمة من شكواهم الخاصة ضد إسرائيل . ولما كنت مصحوبا بعدد من الدبلوماسيين الأمريكيين الذين رتبوا عقد العديد من الاجتماعات ، فقد كنت اجلس معظم الوقت صامتا أصغى لشكواهم .

لقد أكد القادة الفلسطينيون على أن جيلا بأكمله من أفراد شعبهم قد حرم من الحقوق الانسانية الأساسية فلم يكن لديهم حق التصويت أو عقد اجتماعات سلمية ، أو اختيار قاداتهم ، أو السفر بلا قيود ، أو الحق فى الحصول على ممتلكات بلا خوف من مصادرتها طبقا لعدد كبير من الحيل القانونية التى لا تفسير لها . وكشعب ، وصفهم المسئولون الاسرائيليون بأنهم ارهابيون ، بل حتى المظاهرات الصغيرة التى ينظمونها للاعراب عن اسيائهم ، أسفرت عن أقسى أنواع العقاب من جانب السلطات العسكرية . وذكروا أيضا أنهم يتعرضون لعمليات القبض عليهم واعتقالهم بدون محاكمة لمدة طويلة ، وأن بعضهم تعرض للتعذيب فى محاولات لاجبارهم على الاعتراف ، وأن محاكمتهم كانت تتم فى الغالب أمام من وجهوا اليهم التهم كقضاة ، وأن محاميتهم لم يسمح لهم بالدفاع عنهم فى المحاكم الاسرائيلية ، وأن أى استئناف يكلفهم أموالا طائلة ويستغرق مددا طويلة لكثرة التأجيل وفى الغالب ما يكون عقيما .

وفى مناسبة ما ، تناقشت معهم فيما يتعلق برفضهم رفع قضاياهم ، التى قد تصبح سابقة قانونية - الى المحكمة العليا الاسرائيلية ، وحاولت أنؤكد للمجموعة أنهم سيجدون أذانا صاغية ، وربما تصبح سابقة تكون مفيدة فى كثير من الحالات المماثلة .

ولم يسع الزعماء الدينيون والمسئولون فى البلدية الا أن يهزوا أكتافهم فى ياس ، ولكن أحد المحامين تحدث بحماس فقال : (لقد حاولنا ذلك ولكننا تكلفنا الكثير . ان المحاولة لم تنجح . ان الوضع مختلف وليس كالنظام المتبع فى الولايات المتحدة حيث يسرى قرار تتخذه إحدى المحاكم العليا على كافة المحاكم الاقل درجة . أما هنا فيوجد ثمة نظام قضائى يصدر فيه القضاة المدنيون أحكامهم ونظام آخر يصدر فيه القضاة العسكريون أحكامهم . ومعظم قضايانا ، أيا كان موضوعها ، لا ينظر فيها أحد سوى القضاة العسكريين ومنهم من يوجهون اليها التهم ، ومنهم القضاة والمحققون . وكلهم يبدون بالنسبة لنا سواء وعندما يتخذ قرار ونادرا ما يكون فى صالحنا ، لحماية قطعة صغيرة من الارض مثلا فإنه لا يعتبر بمثابة سابقة . وطبقا لقرار ادارة أو قرار جمهورى يولد اجراء جديد لتحقيق نفس الاهداف الاسرائيلية بأسلوب مختلف » . وأردف يقول : « وبالإضافة الى ذلك ، فانا لا نستطيع أن نرفع قضية لموكلنا خارج الضفة الغربية فى محكمة اسرائيلية . فانه غير مسموح لنا بممارسة عملنا هناك » .

وسألت : « اذن لماذا لا تستخدمون محاميا اسرائيليا ؟ » فأجاب : « فى بعض الاحيان نفعل ذلك ، ولكن عددا قليلا منهم فقط يوافق على أن يتبنى قضايانا . ان أولئك الذين على استعداد لذلك مشغولون الى حد مبالغ فيه

يهوكيلهم العرب الذين يعيشون في اسرائيل . وقد حاول عضو أو عضوان من أعضاء الكنيسة أن يقدموا العون - ومعظمهم أعضاء شيوعيون » .

لقد كان الفلسطينيون مقتنعين بأن بعض القادة السياسيين الاسرائيليين يحاولون ارغام المسلمين والمسيحيين مرة أخرى على الخروج من الاراضي المحتلة من خلال احراجهم المتعمد . ففسد زعموا أن البرتقال وغيره من المنتجات الزراعية القابلة للفساد ، ليس مسموح لها بأن تباع في اسرائيل اذا ما نافست المنتجات الاسرائيلية ، وعلى ذلك فأنه يتعين توزيعها أو بيعها بكميات كبيرة بسعر زهيد أو تصديرها الى الاردن . وقالوا ان البرتقال والخضروات التي تنتجها الأسر الأكثر نشاطا كانت تحتجز في بعض الاحيان عند جسر اللنبي حتى تفسد . وفي بعض المناطق كان لا يسمح للفلاحين بأن يستبدلوا أشجار الفاكهة التي تموت في بساتينهم .

وكثيرا ما كان يتم اغلاق مدارسهم وجامعاتهم ، ويلقى القبض على المثقفين منهم ، وتغلق مكباتهم وتراقب كتبهم المحفوظة بالمكتبات أو يترك الطلبة من ابنائهم وأطفالهم في الشوارع أو في المنازل لفترات طويلة بدون عمل . وقالوا ان أى مشجرة خطيرة تقع بين أولئك الشباب العاطل والغاضب وبين السلطات العسكرية يمكن أن تسفر عن ارسال البولذرات الى الحى لتحطيم منزل الاسرة . ومما أمكن التنبؤ به ، ان الفلسطينيين يعلنون استنكارهم لكافة الاعمال الارهابية ويزعمون ان المستوطنين الاسرائيليين مذنبون شأنهم في ذلك شأن أى عرب يبدأون أعمال العنف ولكن نادرا ما يلقي القبض عليهم أو يلقون جزاءهم .

واكثر شكواهم فيضا بالمرارة تتلخص في أن المعونة الخارجية التي ترسلها الدول العربية بل وحتى الاموال التي ترسلها الحكومة الامريكية من أجل الاعمال الخيرية تستولى عليها السلطات وتستخدمها فيما ينفع الاسرائيليين ، بما في ذلك بناء المستوطنات لليهود في الاحياء الفلسطينية وزعموا ان الحكومة استولت على أموال المعونة الامريكية المخصصة لمركز للأطفال المتخلفين في قطاع غزة وتم الاستيلاء أيضا على الاموال الاردنية والعربية الاخرى المخصصة للتعليم وتنمية صناعة الدواجن في بعض المناطق الأكثر فقرا في الضفة الغربية .

ولقد انزعجت انزعاجا شديدا لسماعى هذه الروايات ، وأردت التأكيد مما اذا كانت صحيحة . واذا كان الامر كذلك فأنى أردت أن استمع الى تفسير لها من جانب السلطات . وقبل مغادرة اسرائيل عقدت اجتماعات مطولة مع المسئولين الدبلوماسيين الامريكيين في القنصلية الامريكية بالقدس ، ومع الاسرائيليين المسئولين عن شؤون الاراضي المحتلة . وأمضيت أيضا بعض

الوقت مع أحد أعضاء المحكمة العليا الاسرائيلية في مناقشة الجانب القانوني لهذه الادعاءات . ولم ينكر أحد أن معظم التقارير صحيحة ، ولكن الاسرائيليين أكدوا أن العديد منها مبالغ فيه وأن هناك مبررات للروايات الأخرى .

ومن وجهة النظر الاسرائيلية ، فإن الحياة في ظل احتلال عسكري تختلف حتما عن الحياة في ظل مجتمع ينعم بديمقراطية حرة ، وأن القيود الصارمة ، تعتبر ضرورية لمنع حدوث ثورة وللتقليل من نشوب أعمال العنف . ولقد وضعت القوانين القديمة التي خلفها الاحتلال البريطاني ساعدة للقبض على المسجونين بدون توجيه اتهام رسمي لهم أو محاكمتهم . وأضاف المسؤولون الاسرائيليون يقولون انه ليس هناك عدد كبير من هذه القضايا وأن الكنيست يدرس الغاء مثل هذه القوانين .

وفيما يتعلق بوضع العراقيل أمام العناصر النشطة ، بلغنى أنه كثيرا ما كانت هناك تأخيرات طويلة عند جسر اللنبي ، على حدود الاردن ، ولكن لم يكن المقصود بهذا معاقبة أحد ، إنما كان مجرد نتيجة حتمية للاضطراب البيروقراطي في مجال السفر بين البلدين اللذين لا يتبادلان التجارة العادية ولا العلاقات الدبلوماسية .. وفي الحقيقة تحظى المنتجات الزراعية الاسرائيلية بالاولوية في العرض في الاسواق في كل من تل أبيب والقدس .

وعلى الرغم من أن المسؤولين الامريكيين قد استمعوا الى نفس الشكاوى من الهجمات العدوانية على العرب المسلمين والمسيحيين ، فإن الاسرائيليين أصروا على أن الأعمال الارهابية اليهودية غير معروفة ، وقالوا انه مما لا شك فيه أن الفلسطينيين كانوا يتحدثون عن الاشتباكات الوجيهة بين العرب والمستوطنين اليهود بالقرب من بعض المناطق الريفية . وأضافوا ان تحطيم منزل عربي بالديناميت أو بالبولدوزر ، حادث نادر ، ومتعمد الاعلان عن نفسه بصورة مبالغ فيها ، والمقصود به أن يكون بمثابة رادع فعال للكبار الذين قد يسمحون لأبنائهم في الاسر الفلسطينية بالقيام بأعمال غير شرعية ، أو يشجعونهم على ذلك .

لقد كانت معظم الاجابات الاسرائيلية مريحة ، وقد أجرينا مناقشات موسعة حول كل شكوى من الشكاوى الفلسطينية . وثمة استثناء واحد وهو استيلاء الاسرائيليين على أموال المعونة الاجنبية فقد زعموا أن بعض الاموال ربما كانت مخصصة لتمويل أعمال الارهاب العربي ، وأنه يتعين أن تكون مراقبة الاسرائيليين للاحياء العربية كافية لمنع المفاسد التي قد تهدد السلام . وكان هناك أيضا بعض التعقيب على فائض السلع الزراعية الذي يتم انتاجه في الضفة الغربية وقطاع غزة والذي قد يضر الاقتصاد الزراعي الاسرائيلي

بأسره . ان من غير المعقول أن تستخدم الاموال الاجنبية في زيادة انتاج بعض السلع ، مثل الدواجن والبرتقال . ولقد علمت أن جزءا من أموال وكالة التنمية الامريكية التي خصصها الكونجرس الامريكى قد احتفظت بها الحكومة الاسرائيلية لاستخدامها وقت الحاجة لمنع سوء استخدامها ، ولكن الاسرائيليين زعموا أن الاموال التي تم الاستيلاء عليها لم تستخدم في بناء المستوطنات الاسرائيلية في الارض المحتلة .

وابلغنى الاسرائيليون ان هناك قاعدة قانونية يستندون عليها في كل حالة من حالات الاستيلاء على الارض — أو أن يكون ذلك أمر ضرورى لأغراض الأمن . وفي بعض الحالات الهامة ، استخدمت « التعريفات الادارية » للمراوغة من القرارات القانونية أو لتعديلها . وفيما بعد ذلك ، تلقت تقريراً مقتضياً من ميرون بنفينستى ، وهو اسرائيلى تولى لفترة من الوقت منصب نائب عمدة القدس وكان يكرس كل وقته لتحليل السياسات التي تنتهجها اسرائيل في الاراضى المحتلة بدقة .

وشرح لى ميرون ، على الخرائط والرسوم البيانية ، أن الاسرائيليين استولوا على الاراضى الفلسطينية بعدد من الطرق المختلفة : بالشراء المباشر، وعن طريق الاستيلاء « لأغراض أمنية خلال فترة الاحتلال » . وعن طريق ادعاء سيطرة الدولة على الاراضى التي كانت الحكومة الاردنية تملكها من قبل ، « وبالإستيلاء » طبقاً لبعض التقاليد العربية أو القوانين القديمة المنتقاة ، وبإدعاء ملكية الدولة لكل الاراضى التي لا تقوم أى أسرة فلسطينية بزراعتها أو تسجيلها كملكية لها . فطالباً أن الزراعة أو استخدام الارض للزراعة تعتبر معياراً من معايير ادعاء ملكية الدولة للارض فقد أصبح كسياسة رسمية عام ١٩٨٣ حظر الفلسطينين من القيام بأى رعى للأغنام أو زراعة اشجار أو محاصيل في هذه المناطق وعقوبة ذلك السجن . وعلى ما يبدو فان هذا هو مصدر بعض الشكاوى التي استمعت اليها .

ومن غير المسموح النظر في أية قضايا قانونية تتعلق بهذه الموضوعات الخاصة بملكية الارض ، في المحاكم الفلسطينية ، ويتعين الآن قيام الحاكم المدني الاسرائيلى باتخاذ القرار في هذا الصدد . ومنذ عام ١٩٧٧ عندما تولى حزب الليكود رئاسة الحكومة، ازدادت جهود الاستيلاء على الاراضى العربية بصورة واضحة وأصبح بناء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية موضوعاً من أهم أولويات اسرائيل . وأردف ميرون يقول : وعلى الرغم من كل هذه الجهود ، فإنه لم يتجاوز عدد المستوطنين الاسرائيليين ٢٧.٠٠٠ نسمة في الضفة الغربية ، ولكن السياسات المتبعة والاتجاهات الحالية التي تعنى ضم الاراضى المحتلة ، ربما تعتبر قضية لا جدال فيها .

وحقيقى أن المحامين الفلسطينيين لم يسمح لهم بممارسة مهنتهم في المحاكم الاسرائيلية ، حيث تتم تسوية معظم القضايا الخاصة بملكية الارض ولكنى تأكدت من أن المحامين الاسرائيليين متوفرون ليمثلوا الفلسطينيين . وكثيرا ما تم الاستشهاد بأحد الاعضاء الاكثر تطرفا في الكنيست ، كمثال على ذلك .

وسألت قاضيا في المحكمة العليا الاسرائيلية ، عما اذا كان يعتبر معاملة الفلسطينيين منصفة ، فقال انه يتناول كل قضية ترفع اليه في المحكمة العليا ، بانصاف ولكن ليست لديه السلطة ليتدع اجراء قانونيا . ثم طلبت منه ان يعرض تقييمه الشخصى عن الوضع في الضفة الغربية وقطاع غزة . فأجاب بأنه لم يذهب الى المنطقة منذ ما يزيد على أربعة أعوام وليس لديه أية نية في زيارتها . فقلت له انه اذا كان يتعين عليه أن يتخذ قرارات تؤثر على حياة الناس في الاراضى المحتلة ، فإنه يجب عليه معرفة المزيد عن الطريقة التى يعيشون بهسا . فقال وقد اعتلت وجهه ابتسامة : « اننى قاضى ولست محققا » .

بل وحتى الفلسطينيين الاكثر التزاما بالصمت ، يعتقدون أن المتشددين سوف يصبحون بالضرورة أكثر نشاطا في كلا الجانبين . وخلال الاشهر التى أعقبت زيارتى ، ازداد معدل العنف باطراد في الاراضى المحتلة بينما اتسعت المستوطنات وأصبح اليهود والعرب أكثر اقترابا من بعضهما البعض . وحينما اكتشف المسؤولون الاسرائيليون المنظمات الارهابية اليهودية في المنطقة اتخذوا موقفا متشددا ازاءها ، فألقوا القبض على عدد من الاشخاص وأعلنوا بعض الادلة وبعض أسماء الاشخاص المتهمين .

وعندما قمت بزيارة الزعماء الفلسطينيين الذين يعيشون خارج اسرائيل والاراضى المحتلة — في مصر والاردن وسوريا والسعودية والولايات المتحدة — وجدت مجتمعا من الناس مختلفا تماما . لقد شكلت اتجاهاتهم والتزاماتهم الاحداث الماضية . أما في هذه الايام فلم يعد بينهم وبين اليهود أو العرب الذين مازالوا يعيشون في فلسطين ، أى اتصال تقريبا . فان الكثيرين من هؤلاء المتحدثين باسمهم قد تم طردهم منذ وقت مبكر ، في عام ١٩٤٨ ، من الاراضى التى مازالوا يعتبرونها بمثابة ديارهم ، وهم يزعمون علانية أن لهم الحق في استخدام أية وسيلة متاحة لهم ، بما في ذلك النضال المسلح لاسترداد حقوقهم السليبة .

وقسئ تحدثوا بحرية اكبر بل ، وحتى بعبارات تنطوى على سباب واهانات عن السياسة الاسرائيلية ، وركزوا في حديثهم على الاهداف طويلة الاجل لمنظمة التحرير الفلسطينية . ونادرا ما نكروا محنة أشقائهم في الضفة الغربية وقطاع غزة . وبالأحرى فإن عباراتهم صيغت في شكل مناقشة

أكاديمية أو سياسية وأوضحوا السبب وراء اعتبار الاسرائيليين اياهم أعداء الداء والسبب وراء حقيقة أن الخلافات بين اسرائيل والمتحدثين بلسان منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن تسويتها . أن زعماء منظمة التحرير الفلسطينية مهتمون « بتحرير » المجتمعات القائمة في اسرائيل نفسها بنفس قدر اهتمامهم بتحرير أولئك المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة . وكما قال أحدهم علانية ، « لم يتم انشاء منظمنا في عام ١٩٦٤ من أجل تحرير الخليل ونابلس وغزة ، لأن هذه المناطق قد تم تحريرها بالفعل ، ولكن بالأحرى أن منظمنا قد تأسست لتحرير يافا وحيفا والرملة والنقب » . وقال جورج حبش رئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في أحد الأحاديث الصحفية : « نحن سنقبل جزءا من فلسطين في البداية ، ولكننا لن نوافق على التوقف عند ذلك لأي ظرف من الظروف . سنقاتل حتى نسترد كل شبر فيها » . ويعتقد هؤلاء المتحدثون المتشددون أن ثمة التزاما معنويا من جانب العالم العربي وجميع من يؤمنون بعدالة القضية الفلسطينية وهو أن يرفضوا كل خطوة تخطوها اسرائيل في محاولة للحصول على قبول المجتمع الدولي واعترافه بها .

أما ياسر عرفات فقد اتخذ اتجاهها أكثر اعتدالا بصفة عامة ، بزعمه : أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تناد قط بإبادة اسرائيل . وأن الصهاينة هم الذين بدأوا باستخدام شعار « القاء اليهود في البحر » ونسبوه لمنظمة التحرير الفلسطينية . وفي عام ١٩٦٩ ، أعلننا أننا نريد انشاء دولة ديمقراطية يمكن لليهود والمسيحيين والمسلمين أن يعيشوا فيها معا . فقال الصهاينة انهم لا يحبذون العيش مع أي شعب آخر سوى اليهود ... فقلنا لليهود الصهاينة ، حسنا ، إذا كنتم لا تريدون انشاء دولة علمانية ديمقراطية تضمنا جميعا ، فانا سوف نسير طريقا آخر . وفي عام ١٩٧٤ ، أعلنت أننا على استعداد لأن ننشئ دولتنا المستقلة في أي جزء تنسحب منه اسرائيل . ومن الواضح أن هناك اختلافات بين الاصوات الصادرة من منظمة التحرير الفلسطينية ويفسر المستمعون الكلمات بما يتفق وغايتهم .

أما أولئك الذين مازالوا يعيشون في فلسطين فإن أهدافهم واتجاهاتهم مختلفة تماما . فهم يسعون إلى التمتع بالحقوق الانسانية الاساسية ومنها حرية التعبير والمساواة في المعاملة في ظل القانون وانهاء الحكم العسكري ، والتملك بدون الاستيلاء على الممتلكات ، وحقوق تقرير المصير . وهم يريدون اختيار زعمائهم وإدارة شؤونهم الخاصة بهم . ونادرا ما ذكروا شيئا عن دولة فلسطينية في أحاديثهم معي ، كما لم يرددوا قط عبارة إنهاء وجود اسرائيل كدولة . ونظرا لانهم عمليون تماما فهم يحبذون إجراء مفاوضات مع الاسرائيليين كوسيلة للتخلص من مظالمهم . ومعظمهم على استعداد لأن يقوم الاردنيون أو منظمة التحرير الفلسطينية بالتفاوض نيابة عنهم ، ولكنهم سيقبلون قرار

منظمة التحرير الفلسطينية كرد ملزم في هذه القضية . ان الفلسطينيين المقيمين في الاراضي المحتلة مازالوا يعتبرون بمثابة جسر حقيقى بين الاسرائيليين الذين يعيشون معهم وأشقائهم في الدول العربية .

ولا يبدى سوى عدد قليل من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية ميلا نحو التنازل للملك حسين عن أى قدر من نفوذهم أو سيطرتهم على الفلسطينيين في اسرائيل أو الاراضي المحتلة . فهم يعتبرون منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة اداة بلا منازع قادرة على استرداد الحقوق الوطنية السليبة للشعب الفلسطينى في كل مكان ، ولا يعيرون أى اهتمام للدفاع عن شرعية منظماتهم أو عملياتهم .

وعندما سألت عن اهداف منظمة التحرير الفلسطينية ، بدوا متهئين نوعا ما متسائلين عما اذا كنت في حاجة لتوجيه مثل هذا السؤال ، ثم اعطوني كتيباً جاء فيه : « ان منظمة التحرير الفلسطينية ، حركة تحرير وطنية للشعب الفلسطينى . انها التعبير الدستورى للنضج السياسى الفلسطينى . ان منظمة التحرير الفلسطينية تعتبر بالنسبة للشعب الفلسطينى مثل حركات التحرير الوطنية الاخرى بالنسبة لدول اخرى . انها وسيلتهم لاعادة تأكيد هوية وطنية مفقودة ، واستعادة تاريخ مطموس ، وحماية تراث شعبى ، واعادة بناء مؤسسات منهاره ، والمحافظة على وحدة وطنية تتعرض لتهديد التشتت الفردى والنضال من اجل استعادة الوطن المغتصب والحقوق الوطنية المفقودة . وباختصار ، فان منظمة التحرير الفلسطينية تعتبر الضالة المنشودة بالنسبة للشعب الفلسطينى في سبيل احياء وجودهم الوطنى » . ومن الطريف ان تلاحظ عدد المرات التى تظهر فيها كلمة « وطنى » في هذه العبارة القصيرة ان منظمة التحرير الفلسطينية عبارة عن منظمة تضم عددا من الجماعات المفككة تربطهم ببعضهم البعض اهداف مشتركة ، ولكنها تضم العديد من الجماعات الحريصة على استخدام وسائل مختلفة للوصول الى هذه الاهداف . وثمة هدف من اهدافها الاساسية ، هو كسب الحلفاء والتأييد من جانب الحكومات الاخرى ، وهو الامر الذى حققت فيه نجاحا ملحوظا . ان كل قرار من القرارات العديدة التى أصدرتها الامم المتحدة والمخاطبة بتأييد الفلسطينيين، دللوا عليه باعتباره عنصرا من عناصر اثبات فعاليتهم وشرعية قضيتهم . وهم يرفضون الامتناع عن أعمال العنف كوسيلة لتحقيق غاياتهم ويمكنهم أن يوافقوا على الحد منها تماما فقط لرفع قدر سمعتهم الدولية بعد التوصل الى اتفاق مرضى مع اسرائيل . ومعظم أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ليس لديهم نية الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود مالم تكن على استعداد لمنح الفلسطينيين حقوق متساوية ، ويصرون على ضرورة موافقة الاسرائيليين على جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالشرق الاوسط ، والكثير منها تؤيد القضية الفلسطينية تأييدا تاما ، وذلك اذا كان على الفلسطينيين ان يقبلوا قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

والزعماء الفلسطينيون مقتنعون بأن كافة الحروب العربية الاسرائيلية قد اشتعلت نتيجة للمشكلة الفلسطينية — في اعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وغزو لبنان في عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢ — وبطبيعة الحال الحروب الاهلية لعام ١٩٧٠ في الاردن و ١٩٧٥ في لبنان . ويعقدون ان موطيء قدم السوفيت بين العرب يرجع بصفة مباشرة الى رد فعل العرب ازاء المواقف الامريكية ازاء المشكلة الفلسطينية . وهم يتنبأون ايضا بأنه اذا حدث وانهارت اتفاقية السلام المصرية — الاسرائيلية أو اذا نشبت مواجهة بين القوتين العظميين ، فان نفس المشكلة ستكون هي السبب في حدوث ذلك . . . وبمنظرة محدودة لا تتجاوز حدود المشكلة ، يرى الزعماء الفلسطينيون ان اعادة الحقوق الفلسطينية بمثابة السبيل الى تحقيق السلام الاقليمي ، بل وحتى في ظل بعض الظروف السلام العالمي .

ومع ذلك وحتى لو اخذنا كل هذه الحقائق الواقعية في الاعتبار ، فاننا سنجد هناك بعض الاتجاهات المشجعة في الاعوام الاخيرة . فان هناك قدرا من الصرامة والتشدد لدى كلا الجانبين أقل من ذلك الذي كان موجودا منذ عشر سنوات ، فقد ازداد الاعتراف في العالم العربي بأن اسرائيل حقيقة واقعة كما انها ادراك بين عدد أكبر من الاسرائيليين بأن التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية يعتبر أمرا حيويا اذا ما قدر ابرام تسوية شاملة للصراع . وبالإضافة الى ذلك ، فان هناك اقتراحات تنبثق عن قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، تتضمن بعض العناصر المشتركة ، وتصف بدقة ووضوح أكثر الاختلافات التي ما زالت قائمة .

ويؤكد الفلسطينيون وغيرهم من العرب أن البيان الصادر عن مؤتمر فائس لعام ١٩٨٢ (الملحق السادس) يعتبر اعترافا صريحا بحق اسرائيل في الوجود ويبدى استعدادا لتسوية بعض الخلافات التي لم يتم تناولها حتى الآن بصورة مباشرة خلال فترة انتقالية . ان الصياغة المبهمه لهذا البيان كانت متعمدة ، وقد اتضح ذلك الغموض في النسخ المكتوبة باللغة العربية وايضا باللغتين العبرية والانجليزية . وعلى الرغم من أن معظم المحللين الغربيين وجدوا أن معناه الأعمق غامض الى الحد الذي يصعب معه فك رموزه ، فان العرب يدافعون عنه بقولهم أنه قد تمت صياغته لينهمه الاسرائيليون وغيرهم وانه على أية حال ، أكثر ايجابية ووضوحا عن أي شيء آخر يرد حاليا من قل ابيب والقدس .

ومهما يكن من امر ، فانه مازال هناك بين الامريكيين لغز بدون حل بالنسبة لأولئك الذين يسعون الى تسوية عن طريق المفاوضات وتتمثل الحقائق فيما يلي: — ان القضية الفلسطينية تعتبر سببا أساسيا لاستمرار الصراع في الشرق الاوسط ويتمين تناولها بدقة واحكام اذا قدر تحقيق سلام في المنطقة .

— ان منظمة التحرير الفلسطينية ، برئيسها المنتخب ياسر عرفات ، تعتبر
الكيان المسئول عن المستقبل السياسى للفلسطينيين وعن المفاوضات من أجل
استرداد حقوقهم ، وليس هناك أحد آخر يمكنه القيام بهذه المهام بدون تفويض
محدد من جانب منظمة التحرير الفلسطينية .

— فى سبيل اقرار السلام مع العدالة فى الشرق الاوسط ، فانه يتعين قيام
الولايات المتحدة بدور هام — ولكن المسئولين الامريكيين — احتراماً للالتزام
تعهدوا به لاسرائيل عام ١٩٧٥ قد تعهدوا بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير
الفلسطينية او بالتفاوض معها حتى تعترف بوجود اسرائيل وتعترف بقرار الاسم
المتحد ٢٤٢ فى تسوية الخلافات القائمة فى الشرق الاوسط .

— ترى منظمة التحرير الفلسطينية ان هناك قصورا فى قرار الاسم
المتحد رقم ٢٤٢ ، لانه يشير الا اشارة عابرة الى الفلسطينيين بكلمة
« لاجئين » ، بينما تغطى كثير من القرارات الأخرى الى اصدرتها الاسم
المتحد القضية بصورة اكثر تحديدا ولا تحظى بتأييد اسرائيل . وبالإضافة الى
ذلك ، فان الاعتراف باسرائيل من جانب واحد وبصورة غير متبادلة سيكون
عبارة عن اللعب بورقة سياسية هامة يمكن ان يحتاجوا اليها فى المفاوضات
المستقبلية للمساومة من أجل مصيرهم .

ومن الواضح ان اكبر فشل لحق بالفلسطينيين ، فى السعى الى ايجاد تفهم
لوضعهم ، قد واجهوه فى اسرائيل والولايات المتحدة من نفس اولئك الذين ربما
ادبهم مفتاح حل مشكلتهم مستقبلا . ان استعدادهم للجوء الى الاعمال الارهابية
ورفضهم اى اعتراف واضح بحق اسرائيل فى العيش فى وفاق مع جيرانهم ،
واحجامهم عن السماح للملك حسين أو أى ممثلين آخرين لاستكشاف الفرص من
أجل اقرار السلام وتخفيف احزانهم ، ومطالبهم المتشددة التى لا تلتين والتى
ترفضها اسرائيل ومؤيدوها ، كل هذا عمل على الحيلولة دون الاعتراف الرسمى
بزعمائهم والحصول على مزيد من التأييد لقضيتهم .

وخلال الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، اثبت التأييد العسبرى
للفلسطينيين عدم وجوده تقريبا أو ضعفه فى احسن الاحوال ، وثمة احتمال فى ان
يجعل استمرار حالة الركود الراهنة ، القادة العرب يفقدون الاهتمام بالقضية .
وثمة مشكلة أخرى تلخص فى ان تشتت الفلسطينيين وارغابهم على تغيير مكان
اقامتهم فى لبنان ، قد خلق هوة طبيعية اكبر فيما بينهم وبين وطنهم . ولم تعد
منظمة التحرير الفلسطينية تعمل بصورة فعالة فى اية منطقة مجاورة لاسرائيل .
فان كلا من الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان تخضع
للسيطرة الاسرائيلية ، أما الأردن وسوريا فقد رفضتا حرية استخدام أراضيها
للعمل ضد اسرائيل .

ومهما يكن من أمر ، فمن الغريب ان المكانة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية تبدو في بعض الأحيان وكأنها تزداد بصورة عكسية بالمقارنة بهزائنها العسكرية . فبعد فقدان جهودها فيما يتعلق باستخدام الاردن كقاعدة عمليات ضد اسرائيل في عامي ١٩٧٠/١٩٧١ ، نهضت منظمة التحرير الفلسطينية من جديد كقائد للشعب الفلسطيني ، وأصبح لها قاعدة عمليات قوية في لبنان . وبعد ان عمل كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية على تغيير موقف مصر بصفقتها مؤيدا كبيرا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بدا ان الحياة بدأت تدب في المنظمة حيث ان العرب الغاضبين الآخرين جددوا التزامهم نحو القضية . ولقد أسفرت الضربات الساحقة التي وجهتها القوة العسكرية الاسرائيلية الى الفلسطينيين في لبنان عام ١٩٨٢ ، عن خروج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت ، ولكن المنظمة ظهرت مرة أخرى بمثابة الرمز السياسي المتبقى الوحيد لتقرير مصير الفلسطينيين لانفسهم . وبعد ذلك بقرابة ما يزيد على العام ، اى في ديسمبر عام ١٩٨٣ ، أجبر الخونة الذين تؤيدهم سوريا ، ميليشيات منظمة التحرير الفلسطينية على الجلاء للمرة الثانية عن شمال لبنان ، ولكن عرفات استطاع هو وقواته مرة أخرى ان يظلوا على قيد الحياة وان يبدأوا في اعادة بناء قوتهم السياسية . وبعد ذلك مباشرة ، توجه القائد الفلسطيني المرن ، على سبيل المثال الى مصر لرأب صدع العلاقات المتدهورة مع الرئيس حسنى مبارك . ولم يحدث الا مؤخرا اى في نوفمبر ١٩٨٤ أن عقد المجلس الوطنى الفلسطينى اجتماعا في عمان (نفس العاصمة العربية التى كانت مسرحا لسفك الدماء الاردنية الفلسطينية قبل ذلك بأربعة عشر عاما) . واعتبر كلا الحدثين غاية في الاهمية فيما يتعلق بالتصالح ما بين الاردن ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وعلى ما يبدو الآن فان منظمة التحرير الفلسطينية تتطلع الى تحقيق ما يلي الاهداف الاساسية :

- التمتع بسلطات مستقلة حرة بعيدة عن سيطرة أى دولة عربية .
- التماسك داخل المنظمة .
- قبولها بصفقتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى .
- المحافظة على التزام صارم بتحرير أكبر قدر ممكن من فلسطين .
- لا اعتراف واضح بحق اسرائيل فى الوجود .
- اعادة تحقيق الوحدة العربية ، بما يشمل اعادة مصر الى الحظيرة العربية .
- زيادة التأييد من جانب الشعوب الاخرى لمنظمة التحرير الفلسطينية واعضاؤها .

ولكن، ثمة مشكلة هامة مازالت بسلا حل وهي ما اذا كان الفلسطينيون يستطيعون لمدة اطوال مواصلة سياستهم الخاصة بالرفض المتام لاسرائيل ومطالبتهم بالاسترداد الكامل لوطنهم بأى أمل فى تحقيق النجاح فى النهاية . والاحتمال الاكبر أن منظمة التحرير الفلسطينية تسير فى طريق مسدود ، الى الحد الذى سيضيق العالم بل وحتى مؤيدوها العرب من تأييد القضية الفلسطينية وسيتركونها لتتلاشى وتحجب عن الانظار . لقد قال مارتن لوثر كنج الصغير فى يوم ما ، انه ليس هناك ثمة شىء يمكن ان يضر بقضية السود فى امريكا اكثر من ان يضيق ببساطة البيض ذرعاً بها . كما أنه ليس ثمة احتمال فى أن يسكون الاستعداد للجوء الى العنف أو التهديد بالعنف له أية نتائج مثمرة فى المستقبل اكثر مما كان له فى الماضى . ويتعين أن نتذكر أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستعد ، نتيجة لاتباعها سياستها الحالية الخاصة بالمواجهة وعدم المرونة ، بوصه واحدة من الارض أو أية ميزة أخرى للفلسطينيين . ومازال زعماء منظمة التحرير الفلسطينية ، يتصرفون بما يضر بمصالح أولئك الذين يمثلونهم بينما يرضون قبول تحمل أية مسئولية بسبب عدم احراز تقدم .

وربما يؤتى تحرك حقيقى نحو اقرار السلام ثماراً وفيرة وذلك من خلال حث التأييد له فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول . وهناك الكثيرون من الاسرائيليين الذين يؤمنون بأن الفلسطينيين يستحقون وطناً ، وأن حقوقهم الاساسية ، بما فى ذلك حق تقرير المصير ، ينبغى ان تحترم . ويعتمد مصير اربعة ملايين فلسطينى على ما اذا كانت منظمة لتحرير الفلسطينية ستسوف تختار تحقيق اهدافها عن طريق الوسائل السلبية او عن طريق استمرارها فى سنك الدماء .

«الأردن»

بدا الوادى الضيق الذى لا يكاد يتسع لمرور سيارة جيب والذى تحد
جانبيه كثبان من الحجر الرملى يصل ارتفاعها الى مئات الاقدام وكأنه دائما
يلتقى فى الافق متجها الى طريق مسدود . قال مرشدونا الأردنيون ان الوادى
يأخذنا الى اقرب مكان لوادى موسى ، حيث تلقى اليهــــــــــــــــود
القــــــــدامى المحتضرين عطشــــــــــــــــا المياــــــــــــــــه من عين جــــــــديدة
عندما أمر الله زعيمهم بأن يضرب بعصاه الصخر . وحتى فى تلك الايام ، كانت
المنطقة المحاطة بهذه الجبال شديدة الانحدار قد اقامت فيها الشعوب آلاف
السنين لأنها منيعــــــــــــــــة بصفــــــــــــــــة طبيعــــــــــــــــية صد اى هجوم للعدو وبسبب قربها من التقاء
طرق التجارة القديمة فمن شبه الجزيرة العربية الى البحر الابيض المتوسط ،
ومن سوريا ووادى نهر الفرات العظيم الى البحر الأحمر ومصر .

ويعتد آلاف السفين من مرور موسى بهذا الطريق شيد الانبساط مدينة
حصينة في هذا المكان ، عرفت في الازمنة المقدسة باسم سيلا ويطلق عليها
حاليا اسم بيترا ، وقبل عهد المسيح امتد سلطان ملكهم أريتاسي الثالث شمالا
فيما وراء دمشق وغربا الى ما بعد القدس تجاه البحر الابيض المتوسط .
وعندما فر هيرودس من القدس في عام ٤٠ قبل الميلاد ، جاء الى هذه المنطقة
المعزولة طلبا للمساعدة . ومن هذا المكان واصل رحلته الى روما . وهناك تم
بسرعة تتويجه ، بمساعدة مارك انطونيوس واكتافوريوس ، ملكا على اليهود
واعيد الى فلسطين حيث ظل في الحكم حتى الى ما بعد مولد المسيح . وظلت
بيترا العاصمة الاقليمية للأنباط لمدة ١٥٠ عاما أخرى حتى أسس الفاتحون
الرومان اقليم الجزيرة العربية الجديد ، وانشأوا مركزه السياسي في أقصى
الشمال .

وبينما كان مرشدونا يلقون علينا دروسا تاريخية ، أشاروا أيضا الى القنوات الصغيرة التى نحتت فى الصخر الامم على كلا جانبي الطريق المتعرج ، والتى جلبت المياه الى المدينة القديمة . واذا صدقت هذه الاسطورة فان هذا هو نفس المجرى المائى الذى أمسد اليهود خلال فترة خروجهم من مصر ، بأسباب الحياة . وسرنا فى طريقنا بحذر ، وببطء حتى نفسح الطريق للزائرين الآخرين الذى يسرون اما على الاقدام أو على ظهر الخيل فى الامر الوعر . وكنا نصادف من وقت لآخر ، نقوشا منحوتة على الصخر على المنحدرات المتآكلة ، وعلى ما يبدو أنها تتضمن بعض المعانى الدينية .

وبعد أن قطعنا مسافة ميل أو نحو ذلك ، توقفت سيارتنا الجيب ونزلنا منها لنستكمل رحلتنا سيراً على الأقدام . وفجأة ارتسمت عبارات الدهشة

عندما ظهرت الواجهة الجميلة لمعبد يوناني من بين ثنيا صدع امامنا . لقد كان عبارة عن مبنى تم نحته في منحدر من الحجر الرملي ، وقد بدا متناسقا ومتلائما بصورة غريبة بمختلف الالوان التي اصطفت بها الصخور الطبيعية ، فمنها الاحمر والارجواني والاصفر .

وقمنا بفحص عدد قليل من الكهوف التي من صنع الانسان كان بعضها عبارة عن مقابر والبعض الآخر مخازن حيث كان يحفظ فيه الانباط ثرواتهم ومقتنياتهم . وامكننا ان نتصور كيف كانت هذه المباني الضخمة المهجورة مزحمة بالتجارة الدولية ، وبعمليات تبادل تجارى للسلع بين مشايخ القبائل الصحراوية والاسر الملكية وعمليات التفاوض بصدد الاتفاقيات السياسية ، وبقطاع الطرق البدو الذين كانوا يدبرون الهجمات على القوافل المارة التي ترفض دفع جزية لحمايتها . وفيما بعد ذلك ، استقلينا السيارة وسرنا في الوادي ، لتوقف على طول الطريق لتتسلق جدران المنحدرات لزيارة عدد قليل من سكان الكهوف التي مازالت عامرة بالسكن . وبدا ان الوقت الطويل الذي امضيناه والاف الأميال التي قطعناها قد فصلتنا عن المشاكل الحالية التي تعاني منها منطقة الشرق الاوسط .

ولكننا جلسنا ، عند قرية صغيرة وتحت خيمة لتتحدث مع احد مشايخ القبائل ، لقد عاد بي اول تعليق نطق به ، الى الواقع . فقد قال بعبارة ممتزجة بخليط من الغضب والاسى ان اسوأ كارثة ألمت بأفراد قبيلته هي تلك التي تتمثل في استيلاء اسرائيل على الضفة الغربية واغلاق الجسر الممتد عبر نهر الاردن بالقرب من اريحا . ان سكان بيترا والاردن اعتمدوا اعتمادا كبيرا على بيع سلعهم وخدماتهم للزائرين الذين يترددون على المنطقة لمشاهدة الاماكن المقدسة ، ولكن الطريق السياحي غير المباشر وهو يمر باسرائيل والضفة الغربية والاردن ومصر قد اغلق الآن منذ سبع سنوات .

وعندما وقعت عيناى انا وروزالين لأول مرة على الاردن في ربيع عام ١٩٧٣ ، لم ندخل البلاد ، ولكننا حققنا ببصرنا من الضفة الغربية عبر الاسلاك الشائكة ، على الحقول الخضراء عبر النهر . فقد كنا زوارا متميزين ، وقد سافرنا كضيوف على جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل . وعند جسر اللنبي ، سررنا لرؤية عدد كبير من الناس يذهبون ويجيئون بلا توقف بين البلدين وكان التفطيش على الحدود مجرد اجراء روتينى . وقد احاط بالمكان الذي يبيع بالزوار ، جو مرح مثل ذلك الذى تتسم به الأعياد والبرامج الترفيهية .

والآن وبعد عشر سنوات ، رجعنا الى نفس الجسر . ولكن الموقف اختلف تماما . فقد انتشر الجنود الاسرائيليون بزيهم الرسمي في كل مكان ، ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الناس يعبرون الحدود . وطوابير منتظرة ممتدة

لمئات الياردات ، وصف غير منتظم من العربات والسيارات ، كما لو كان بعض الناس ينتظرون منذ عدة أيام . ولم يبد أى شعور بالاستعجال على وجوه أولئك المتجهين الى أى من الاتجاهين .

وفى هذه المرة كنا على استعداد لعبور نهر الاردن ونحن فى الطريق من القدس الى عمان ، فى أعقاب قدر كبير من المشادات الكلامية بين أعضاء هيئة مكتبى والمسؤولين الدبلوماسيين لكلا البلدين . وكانت وزارة الخارجية الامريكية قد نصحتنا بالحصول على جوازات سفر خاصة للقيام بالعبور ، لأن توقيع الاسرائيليين على الوثائق فى بادئ الأمر ، لا يجعلها تحظى باحترام العرب . وقد أصبح بمثابة عادة بالنسبة للمسافرين أن يحملوا جوازات سفر مزدوجة لهذا الغرض ، ولكنى رفضت كمسألة مبدأ . وعندها وصلنا ومعنا جوازات سفر منفردة ، تمت بالفعل الترتيبات حتى لا يحدث تغيير فى الأوراق ولكنهم أوضحوا لنا ان استمرار استخدامنا لنفس الوثائق ، يعتبر بمثابة ترتيب خاص لى بصفتي رئيس جمهورية سابق ، ويعتبر خرقا للاجراء المتبع العادى .

وغادرنا السيارات التى تقلنا ، وسرنا وبرفقتنا هدد من المسؤولين الاسرائيليين على الجسر ومعنا أمتعنا وواصلنا السير بهدوء حتى وصلنا الى منتصف الجسر بالضبط وشكرنا مضيفينا الاسرائيليين ثم التفتنا لنجد مجموعة من الاردنيين فى استقبالنا . ولم يتم أى تبادل لعبارات المزاح بين مسئولى الدولتين .

ومما يدعو للدهشة أن النباتات الاستوائية التى تزرع فى الوادى الخصيب على شاطئ النهر ، تماثل الى حد كبير مزروعات الأرض الانتاجية القريبة من خط الاستواء . وكنا عند أدنى منطقة على الأرض ، على بعد بضعة أميال من البحر الميت ، ولقد اشاعت مجموعة العوامل المختلفة المجتمعة مثل الموقع المنخفض والحرارة المرتفعة ومياه النهر للرى ، جوا جميلا متعا مليئا بحب الخير .

وكنت قد قرأت شيئا عن مدينة بنى عمون ، المدينة القديمة للعمونيين فى الروايات المقدسة لفتوحات الملك داود وعرفت ان اسمها قد تغير الى فيلاديلفيا قبل عهد المسيح . وبعد أن فتحها العرب فى عام ٦٣٥ ميلادية أصبح اسمها عمان . وواصلنا السير الى المدينة القديمة ، التى أصبحت الآن العاصمة الحديثة للاردن . والجدير بالذكر أن تعداد السكان فى عمان قد تضاعف فى الآونة الأخيرة بل انه تضاعف أربع مرات نظرا لأن مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين وأعداد كبيرة من البدو من السهول شبه القاحلة والصحارى وصلوا زحفهم الى داخل هذا المركز الحضارى الهام .

وقد اصطحبني أنا وروزالين ، أعضاء الحرس البدو التابع للملك حسين الذين يرتدون زيا أنيقا في جولة بالسيارة في ضواحي عمان . ثم اصطحبانا الى فناء القصر الملكي ، ويقع على تل بالقرب من المدينة القديمة . وقد أمكننا أن نطل من قصر مضيفنا عبر وادي ضيق شديد الانحدار ، على الشوارع المزدحمة بالمارة في منطقة سكنية ، حيث تم بناء المساكن خلال السنوات الأخيرة . وقال بعض مرافقينا من الأردنيين أن المنطقة ليست كما كانت تبدو منذ العديد من السنوات ، حيث كان جد الملك حسين ، الملك عبد الله ، يستمتع بوضع الأهداف على التل الخالي من المباني عبر الوادي ، حتى يتمكن هو والضباط البريطانيون في الجيش العربي من ممارسة هواية الرماية بعيدة المدى .

لقد قاتل أحد الأمراء الهاشميين وهو عبد الله بن الحسين — من سلالة النبي محمد — بشجاعة الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ، واضطر البريطانيون مكافأته بطريقة ما ملائمة . فاختير في بادئ الأمر ، ملكا على العراق وفقا لما أوصى به القادة العرب الآخرون ، ولكن البريطانيين قرروا منح ذلك الشرف لشقيقه فيصل . لذلك فإنهم احتاجوا لعرش آخر ، لذلك أنشأوا إمارة أطلقوا عليها اسم شرق الأردن ، من بعض المناطق الصحراوية النائية عن فلسطين الخاضعة للانتداب في ذلك الوقت . وتوج عبد الله ملكا عليها . ولكن نظرا لأنه في ظل دولة خاضعة للانتداب فقد احتفظ البريطانيون بكافة السلطات تقريبا . ولم تصبح شرق الأردن مملكة ولم تحصل على أي استقلال حقيقي الا بعد عام ١٩٤٦ . وحتى في ذلك الوقت ، كان السفير البريطاني يتحكم في السياسة الخارجية ومعظم المسائل المالية والعسكرية .

وفي أعقاب الحرب العربية — الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، ادعى عبد الله ملكية الأرض في الضفة الغربية غير الخاضعة لسيطرة الاسرائيليين ، بما في ذلك المدينة ذات الاسوار القديمة القدس الشرقية ، بما فيها من أماكن مقدسة عديدة . وأعرب مجلس ضم مجموعة من القادة الفلسطينيين وقع عليهم الاختيار في الضفة الغربية عن موافقته على الضم . وربما كان ذلك هو البديل الوحيد في ذلك الوقت لتشتتهم . وقد تأكد هذا الاجراء من خلال هدنة عام ١٩٤٩ التي تم ابرامها بين الملك عبد الله والاسرائيليين ، في الوقت الذي أصبحت فيه شرق الأردن المملكة الهاشمية الاردنية . وناضلت من أجل استيعاب ما يقرب من ٤٠٠ ألف لاجئ فقدوا ديارهم بالإضافة الى ٤٠٠ ألف عربي كانوا لايزالون يقطنون في ديارهم في الضفة الغربية . ولم يكن سوى ٦ ٪ من أرض الأردن هي التي تقع غرب النهر ، ولكن ما يقرب من ثلثي السكان ونسبة كبيرة من مواردها الطبيعية والمالية أصبحت الآن فلسطينية .

وقد عاش ما يقرب من ثلث عدد الفلسطينيين في معسكرات ، بينما عاش الآخرون حيثما أمكنهم أن يجدوا مأوى مؤقتا — في الكنائس والمساجد

والخيام والكهوف والأكواخ والمباني العامة ، فقد رفضوا قبول مساكن دائمة ، زاعمين أن ديارهم الدائمة الوحيدة هي في فلسطين ، التي يطلق على جزء كبير منها حاليا اسم دولة اسرائيل . وظل عدد كبير من المشردين بلا عمل ، وعاشوا على حصص المعونة الغذائية لوكالات الفوئد التابعة للأمم المتحدة . وحتى مع ذلك ، ظلت الحياة في الضفة الغربية مزدهرة ، ولذلك فقد تلقى الفلسطينى العادى تعليما أفضل ، وحصل على غذاء أفضل ، وقام بقدر أفضل من النشاط السياسى من جاره الذى يقيم في الضفة الشرقية . وعندما وافق البرلمان الاردنى في ابريل عام ١٩٥٠ على الوحدة الرسمية بين الضفة الغربية والاردن ، تم منح جميع الفلسطينيين الجنسية في الدولة الجديدة . واشترك الكثيرون في الشؤون السياسية للاردن ، ولكنهم ما زالوا يحتفظون بهويتهم كـ فلسطينيين .

وعلى الرغم من انه لم يكن ليصدر اقتراح هام بصدد انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية قبل عام ١٩٦٧ ، كانت هناك اعتراضات قسوية بين العرب على قبول دولة اسرائيل . وقد تردد أن عبد الله كان يجتمع سرا بالاسرائيليين ، وأن أحد المتشددين المسلمين قد اغتاله في يوليو عام ١٩٥١ على جبل المعبد في القدس أمام حفيده حسين بن طلال . وبعد ذلك بما يزيد على عامين ، اعتلى ذلك الشاب العرش الهاشمى عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره . وبحلول ذلك الوقت ، حصل الفلسطينيون على نصف عدد المقاعد في البرلمان ، ونفس النسبة من المناصب العليا في الحكومة . واستمر الملك في ضغطه من أجل الحصول على الاستقلال الكامل للاردن . وفي ١٩٥٦ ، أصدر أوامره للمسؤولين البريطانيين والعسكريين بمغادرة الاردن خلال ساعات قليلة . وعندما امتثلوا لهذا الانذار النهائي ، تم انتهاء كافة أوجه الاعتماد على أولئك الذين انشأوا مملكته ومولوها وعززوها منذ مولدها ، بطريقة سليمة . وكان هذا القرار هو من أكثر القرارات التي لاقت شعبية خلال مدة حكمه .

وقد واجه الملك حسين أكبر مأساة سياسية في عام ١٩٦٧ ، عندما انضمت الاردن الى سوريا ومصر في مواجهة اسرائيل . ففي خلال ثلاثة أيام من نشوب الحرب ، احتلت القوات الاسرائيلية القدس الشرقية والضفة الغربية بأسرها ، حيث ظلوا الى يومنا هذا . وفقدت الاردن نصف عدد سكانها تقريبا ، وكذا دخلها من المصدر السياحى الهام من الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم ، ومساحات واسعة من الأراضي الزراعية الانتاجية . وفي الوقت نفسه ، هرب ما يقرب من ٢٥٠ ألف لاجئ من الضفة الغربية واستقروا في الاردن على الضفة الشرقية للنهر .

وعلى الرغم من جهود الملك حسين لاحكام السيطرة عليهم ، فان الفلسطينيين المتشددون الذين أخذ نفوذهم ينمو ، واستخدموا بعض معسكرات

اللاجئين كقواعد للفدائيين ليشنوا منها هجماتهم المستمرة تقريبا على اسرائيل .
وقد كان العديد من هؤلاء المتشددين على استعداد تماما لأن يقبلوا الغارات
الانتقامية على الاردن لأنها تضعف النفوذ السياسى للملك حسين بفقد شعبيته .
ومن بين اهداف الفلسطينيين المتشددين احلال جمهورية مثل جمهورية مصر التى
يراسها عبد الناصر محل الملكية الاردنية .

وقد ازدادت حدة هذه التهديدات ، وبحلول سبتمبر من عام ١٩٧٠ نشبت
حرب اهلية شاملة فى الاردن بين قوات الملك حسين وفرق حرب العصابات .
رحرت سوريا قواتها البرية عبر الحدود لمساندة المتمردين الفلسطينيين واكن
حافظ الاسد وزير الدفاع السورى رفض الهجوم على الاردنيين وممع التهديد
بالتدخل الاسرائيلى الذى تسانده الولايات المتحدة ، انتصرت القوات النظامية
الاردنية . وانسحب السوريون ، وفر العديد من الفلسطينيين الى لبنان ،
واستتب النظام على نحو كاف . وعلى الرغم من أن الملك حسين أرسل بعض
الوحدات الصغيرة الى كل من سوريا خلال هجوم أكتوبر عام ١٩٧٣ على
اسرائيل ، والعراق فى حربها مع إيران ، فان الملك الأردنى قد نجح فى تجنب أية
معارك عسكرية كبيرة تتورط فيها القوات الأردنية منذ انتهاء الحرب الاهلية .

لقد استغرقت المسافة من نهر الأردن الى عمان أقل من نصف ساعة قطعناها
بالسيارة ، وسرنا مسافة قصيرة على الاقدام من منزل الضيافة فى البهو الملكى
الى قصر الملك حسين . وبعد وصولنا مباشرة ، سررنا بزيارته هو وقرينته
الجميلة الأمريكية المولد ، الملكة نور . وكنا قد عرفنا بالفعل جلالته معرفة تامة ،
فقد ألقينا به خلال زيارته الرسمية لواشنطن ، وأيضا فى اليوم الاول من عام
١٩٧٨ بعد أن حضرت أنا وهو حفل رأس السنة الميلادية الجديدة كضيوف على
الشاه فى ايران . لقد ادى شجبه لجهود السلام بعد رفضه لاتفاقيات كامب
ديفيد الى توتر العلاقات بين الاردن والولايات المتحدة ومصر . وفى خريف عام
١٩٧٩ ، طلبت من سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى أن يستكشف مع
الملك حسين ، فى دورة الامم المتحدة ، ما اذا كانت زيارته لواشنطن ستكون
مثمرة أم لا . وجاء فى التقرير الذى تلقيته أن ثمة اجتماع رسمى بينى وبين الملك
الأردنى لن يخدم أى هدف مفيد . ولكن الملك حسين والملكة نور قاما فى يونيو عام
١٩٨٠ بزيارة رسمية للبيت الابيض مما أدى الى تخفيف حدة التوتر ولم يعد هناك
أى ثغور عندما اجتمعنا فى عمان .

وعلى الرغم من أن الملك حسين سعيد حاليا مع أسرته ، فإنه على ما يبدو
يعانى من القلق . فمنذ اعتلائه العرش فى عام ١٩٥٣ ، نجح فى السير على حبل
« البهلوان » السياسى خلال فترة الفوضى والاضطراب التى سادت منطقته
الشرق الأوسط ، وأصبح من اكبر الحكام الوطنيين فى العالم حيث أن حكمه دخل
عامه الثالث عشر . ويتسم الملك حسين هو شخصيا بالشجاعة . وقد كرس

نفسه للعمل من أجل مصالح بلاده . وقد أصبح غساية في الحذر في قراراته السياسية والعسكرية ، ويرجع ذلك جزئيا الى أنه في آخر مرة تصرف فيها بشجاعة بالغة ، وكانت في عام ١٩٦٧ ، قاد الملكة الهاشمية الى هزيمة ساحقة على يد اسرائيل .

ومنذ ذلك الحين ، لم تعد المغامرة العسكرية بمثابة اغراء بالنسبة للاردن ، وفيما يتعلق بالدبلوماسية فان حسين لا يجازف كثيرا . ولقد دلت تصرفاته على انه بدون تأييد واضح من جانب كل من الدول العربية المعتدلة ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وفرصة نجاح مؤكدة نسبيا ، لا يقدم على محاولة منفردة لاقترار السلام في المنطقة . ومهما يكن من أمر ، فان التهديدات المتزايدة التي تواجهها مملكته بسبب مزيد من عمليات الانتهاك الفلسطينية قد دفعته الى استئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر في سبتمبر من عام ١٩٨٤ ، والترحيب بالمجلس الوطني الفلسطيني في عمان بعد ذلك بشهرين . وقد لقيت هاتان الخطوتان استنكارا علانية من جانب سوريا وغيرها من دول الرفض .

وليست هناك دولة من بين كافة الدول في الشرق الاوسط ، سوى لبنان التي تشارك الاردن في مثل هذا القلق البالغ ازاء الظروف الراهنة . وربما يشعر الملك حسين بقدر من القلق أكثر مما يشعر به أي زعيم آخر حيال مدى احتمال تأثر مصالح بلده بصورة عكسية بالتغيرات التي من المحتمل أن تحدث . وفي المقابل ، فان اسرائيل وجيرانها الآخرين ، ومصر وسوريا يشعرون برضاء نسبي ازاء الوضع الراهن أو تجاه استمرار الاتجاهات الحالية في الصراع على السلطة والارض والنفوذ .

وبينما كنا نستعد للاجتماع بالملك حسين وبأسرته ، تذكرت كيف أن هذا البلاد الضعيف الهش ترنح على حافة الانهيار أو التفكك عدة مرات منذ مولده كمملكة شرق الاردن في عام ١٩٢٢ . فقد تم تأسيسها على حساب عرب آخرين ، وقد اعترض عليها الصهاينة الذين أرادوا الاستيلاء على فلسطين بأسرها ، شرق نهر الاردن وغربه على السواء ، وسخر منها في بداية تأسيسها كدولة ، أولئك الذين اعتبروها بمثابة دولة تابعة لبريطانيا العظمى ، وتعرضت للهزيمة مرتين على يد الاسرائيليين ، وأرغمت على اقامة اتحاد مع العراق في عام ١٩٥٨ لحماية نفسها من تهديدات سوريا ومصر خلال أيام قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وقامت بالدفاع عنها قوات المظلات البريطانية عندما تمت الاطاحة بالملكة العراقية في نفس ذلك العام ، وأنقذها تشكيل غريب من القوات المحلية والاجنبية خلال الحرب الأهلية عام ١٩٧٠ ، وأرغمت على أن تعيش في حالة ، تكاد تكون دائمة ، من العلاقات المتوترة مع سوريا . وأيضا استطاعت الاردن ، بموارد محدودة للغاية ، أن تستوعب مئات من اللاجئين الفلسطينيين وأن تخلق سبيلا لهم للمشاركة في الشؤون السياسية للبلاد .

وعندما وصلنا الى القصر الصغير والمريح المعد لزيارتنا ، أحضرت الملكة نسور أصفر أعضاء الاسرة الملكية لمقابلتنا ، وبدأت هي ووزالين في التحدث عن حياتها الشيقة بصفتها سيدة أمريكية شابة تعيش في المملكة الهاشمية ، وانتقلت أنا والملك حسين الى حجرة مجاورة حيث تحدثنا ببساطة عن آخر تطورات الاحداث في لبنان والضفة الغربية ، والحكومة الاسرائيلية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد رحيل الفلسطينيين الاضطرابى من بيروت . أن الملك حسين رجل قصير القامة ، وديع ودمث الخلق وهادى نوعا ما في تصرفاته ، ويراعى ضيوفه وزواره ويحترمهم . وهو فى الوقت نفسه معروف عنه بأنه قائد سياسى وعسكرى ولا يميل الى توجيه النقد الى الآخرين . ويتلخص انطباعى عنه فى أن زملاؤه من قادة الدول يحترمون آراءه لأنها دائما ما تكون مدروسة قبل أن يعرب عنها . والملك حسين يتمتع بشخصية قوية أكبر بكثير مما تتيج له أن تظهره مملكته الضعيفة .

وبصوته الهادى الذى يكاد لا يسمع فى بعض الاحيان ، أوضح الملك حسين انه يعتبر حالة القلق وعدم الاستقرار والتوتر التى تسود المنطقة حاليا ، خطرة بل وأخطر من أية حالة شهدناها خلال حياته . ودائما ما يصفى الملك حسين باهتمام خاص للبيانات الأكثر تطرفا التى ترد من جانب رفاته العرب فى سوريا ومن جانب جيرانه الاسرائيليين . ويولى اهتماما خاصا للتهديد المتكرر بشأن القضية الفلسطينية سوف يتم حلها عن طريق تحويل الاردن الى دولة فلسطينية . فقد كان يخشى من احتمال تدفق دفعات جديدة من اللاجئين على الاردن ، بعد ارقام الفلسطينيين على الخروج من لبنان وغيرها من الدول العربية ، وبسبب المحاولة الاسرائيلية الخاصة بضم الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل الأصلية . ويعتبر العجز الفظيع الذى يعانى منه الفلسطينيون فيما يتعلق بايجاد وسيلة مرضية للتعبير بها عن حقوقهم الشرعية ، بالنسبة للأردنيين ، أكثر من أية دول أخرى فى الشرق الاوسط ، بمثابة السبب الاساسى لمعظم المشاكل السياسية التى ابتليت بها المنطقة .

ويعتقد القادة الاردنيون أن بلادهم محصورة بين فكى كباشنة وهما القوتين العسكريتين الاقليميتين ، اسرائيل وسوريا ، وكل منهما تسادها احدى الدولتين العظميين وكل منهما أبدت من خلال تصرفاتها وبياناتها ، اتجاهات توسعية قوية — على حساب الأردن — بصفة أساسية وكلتا هاتين الجارتين اللتين تشكلان تهديدا لها مشغولتان حاليا فى تعزيز قواتهما العسكرية تعزيزا شاملا ، بينما فشلت الى حد كبير ، جهود الملك حسين الاخيرة فى تحسين قوته العسكرية .

ومثل الدول الاخرى فى الشرق الاوسط ، تنفق الاردن نسبة كبيرة من مواردها البشرية والمالية فى تدعيم قواتها العسكرية وتطويرها ولكن الملك

حسين قد نجح في ادارة شئون بلاده الاقتصادية بحذر ، وتعتبر ديونه الخارجية متواضعة نسبيا . ومهما يكن من أمر ، فإنه يعتمد على المعونة الخارجية بالنسبة لما يقرب من نصف الميزانية السنوية لبلاده . ويعانى اقتصاد الاردن ايضا من عدم وفرة تدفق البترول ، الامر الذى أدى الى تخفيض تحويلات النقد لرعاياها الذين يعملون في الدول المنتجة للبترول ، وفي الوقت نفسه ، فإن الإيرادات المنخفضة للحكومات العربية الأكثر ثراء قد زادت من صعوبة استثمارها في تقديم منحها السخية السابقة . ولم تعد سوى الكويت والسعودية اللتان تمدان الاردن بالمساعدة المالية ، « لمقاومة سياسة الضم التى تنتهجها اسرائيل » ، وفقا لما تعهدتا به في مؤتمر القمة العربى الذى عقد في عام ١٩٧٨ ببغداد .

وقد أصاب أيضا فشل العراق في تسوية صراعه المزمع مع ايران ، الملك حسين بخيبة أمل بالغة ، لأن تحمس الاردن المبكر لاستثمار انتصار عراقى من غير المحتمل أن يسهم بنصيب في سلام مبكر في المنطقة أو في الحصول على معونة مالية من بغداد . وبالإضافة الى ذلك فإن الملك حسين قد انزعج نتيجة لرياح التغيير التى تهب على المنطقة من جراء الحماس الدينى لآية الله الخمينى . ومن وجهة نظر الاردن ، فإن احتمال اقرار السلام وتحقيق الرخاء في المنطقة أمر يبدو قائما .

وعلى الرغم من أحجام الاردن عن اتخاذ اجراء شجاع ومستقل ، فمما لا شك فيه أن الملك حسين يعتبر قوة ثابتة بالنسبة لتحقيق الاستقرار والسلام . وهو يفخر بأنه أيد كل اقتراح دولى هام تقريبا ، يمكن أن يعمل على انهاء الصراع في المنطقة ، بما في ذلك قرار الامم المتحدة ٢٤٢ ، واتفاقيات فصل القوات الخاصة بسيماة ومرتفعات الجولان عام ١٩٧٣ ، ومؤتمر جنيف الذى عقد في ديسمبر عام ١٩٧٣ والبيان الأمريكى - السوفيتى المشترك فى اكتوبر عام ١٩٧٧ ، وعلان فيينا للدول الاوروبية عام ١٩٨٠ ، والعناصر الرئيسية الواردة فى اتفاقيات كامب ديفيد ، وبيان ريجان واقتراح فانس عام ١٩٨٢ .

ونظرا لأن الملك حسين عرضة للتهديدات من جانب العرب الأكثر تشددا وقوة ، وحيث أنه يعتمد على تأييد المعتدلين الحذرين الآخرين ، فعادة ما يكون في محيط دائرة العمل . أن الملك حسين وجه في تصريحاته العلنية الاخيرة النقد الى محاولات سوريا الخاصة بالسيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية ، والى اخفاق الرئيس ريجان في مواصلة مقترحاته الخاصة بتحقيق تسوية شاملة ، والى خوف وتردد عرفات وغيره من الزعماء الفلسطينيين فى اتخاذ القرارات . والملك حسين يؤمن بأن الحاجة الى الاجماع التام فى المؤتمرات العربية ليست سوى مفهوم عقيم عادة ما يسفر عن أسوأ مستوى شائع ، وصلوا اليه ويلزم تغييره على الفور . وبالإضافة الى ذلك ، فهو يعلن أنه ليس ثمة فرصة لتحقيق

النجاح النهائي في مباحثات السلام بدون التعاون من جانب الاتحاد السوفيتي ،
ربما عن طريق إعادة عقد مؤتمر جنيف طبقا لقرار الأمم المتحدة ٣٣٨ ، أو عن
طريق التشاور من أي نوع مع السوفييت . ولم يوضح الملك حسين قط هذه
النقطة .

وخلال المناقشات التي أجريتها مع عدد كبير من المسؤولين في الحكومة
والقادة المهنيين في عمان ، وجدت أن المشكلة الفلسطينية ذات أهمية مستمرة
ومباشرة وحيوية في الأردن ، وتمثل الموضوع الرئيسي في كل حديث تقريبا يدور
حول السلام في المنطقة .

وقد أوضح لي الملك حسين مدى شعوره بالاحباط نتيجة لتحول اهتمام
العالم بالكامل تقريبا الى الأزمة التي تواجهها لبنان ، والتي اعتبرها بمثابة
ابتعاد يؤسف له ، عن جذور الحرب المستمرة وهي : حرمان الفلسطينيين من
حقوقهم ، وتوسيع نطاق السيطرة الاسرائيلية على الاراضي المحتلة . وتعتبر
المشاكل التي تواجهها لبنان أيضا نتيجة مباشرة لفشل الدول المعنية في تناول
القضايا الاساسية باخلاص .

ويعتبر الاردنيون ومعظم العرب الآخرين ان المحنة الفلسطينية تساوي
تماما المحنة التي واجهها اليهود في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتتمثل في
حرمانهم من حقوق وطنية أو فردية ، وارغامهم على ترك وطنهم ، واستمرار
معاناتهم من الظلم الذي تمارسه ضدهم قوة عسكرية بعد أكثر من جيل .
ويزعم الاردنيون ان السياسة الحالية التي تنتهجها اسرائيل تهدف الى تشديد
القبضة العسكرية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، والتنافس مع
الفلسطينيين على المواقع المختارة ، وجعل الحياة بالنسبة لهم مليئة بالاعباء
الفادحة بقدر الامكان حتى يتم طرد السكان العرب من الاراضي المحتلة .
ويؤكد الاردنيون مرارا ان ما يقرب من ١٢ ألف فلسطيني سنويا يتم وضعهم
أو ارغامهم على ترك ديار اجدادهم وينتقلون الى الشرق ، اما الى الاردن
أو ينضمون الى العديد من اللاجئين المتجولين في الدول الأخرى .

ويستشهد الاردنيون بآخر الاحصائيات الاسرائيلية حول أراضي الأسر
الفلسطينية التي تصادرها السلطات العسكرية الاسرائيلية . ويزعمون أن
أساس التركيب الاجتماعي لغير اليهود قد تغير ، وفقا للمناهج العلمية ، من
الزراعة والمشروعات التجارية الى العمل اليومي ، وذلك مع زيادة اعتماد
الفلسطينيين على الخدمة الذليلة في المنازل وغيرها من الأعمال للاسرائيليين
بدون أن يكون لهم حق تنظيم نقابات عمالية أو الانضمام الى مثل هذه
النقابات . ويستشهدون بحالات ليثبتوا أن موارد المياه من الوادي العلوي
لنهر الاردن قاصرة تقريبا على اليهود ، ويحظر على العرب حفر أي بئر جديدة
أو تعميق بئر قديمة تكون قد جفت مياهها نتيجة للآبار المجاورة التي يكون

المستوطنون اليهود قد حفروها مؤخرا . وهم يستنكرون السياسة الاسرائيلية فيما يتعلق بمنع تسليم المعونة الاجنبية التي ترد عن طريق عمان الى الضفة الغربية وغزة لتمويل مشروعات مثل التعليم والاسكان والزراعة .

ولقد استمعنا بالفعل الى معظم هذه الشكاوى من أولئك الذين يعيشون في الضفة الغربية وغزة . ومهما يكن من أمر فقد تقدموا اليينا الآن بالصور الفوتوغرافية الملونة والرسوم البيانية والاحصائيات والوثائق . وكان واضحا ان الاسرة الملكية الاردنية تعرض نفس الاشياء على الزوار الآخرين ، والحاضرين في المحافل الدولية . والمقصود من هذا التعبير عن مشاعر القلق بهذا الاسلوب الدعائي الواسع النطاق هو حشد التأييد للقضية الفلسطينية والابقاء على حالة التوتر التي تسود الاراضي المحتلة وجيران اسرائيل ، وربما تذكير الفلسطينيين بأسباب نضالهم لاستعادة وطنهم .

والقادة السياسيون في عمان مقتنعون بأن تحرك اسرائيل الحالي لاستعمار الاراضي المحتلة وضمها اليها في النهاية ، لن يغير السمة الاساسية لاسرائيل فحسب بل انه سيعرض معاهدة السلام مع مصر للخطر أيضا . وهذا من شأنه أن يضع نهاية لكافة المحاولات الجادة الخاصة بالتوصل الى تسوية سلمية للخلافات العربية - الاسرائيلية ، ويؤدي في النهاية الى حرب مقدسة جديدة أوسع نطاقا وأكثر هلاكا ، مع قوات المسلمين الملتزمين ، وفقا لمعتقداتهم الدينية ، باستعادة حقوق اخوانهم العرب الذين يعيشون في منطقة غرب نهر الأردن أو الذين يزعمون ان لهم حق العيش هناك . ولم يتقاعس الملك حسين قط عن التأكيد على أن هذا الصراع لابد أن يتضمن مواجهة خطيرة بين الدولتين العظميين ، نظرا لأن الولايات المتحدة قد تعهدت بتأييد اسرائيل ، ولأن الاتحاد السوفيتي تحالف مع بعض الدول العربية على الاقل .

وحتى بدون هذه الحرب التي تحمل الكوارث معها ، فان الكثيرين من الاردنيين يشعرون بأن ثمة فشل في حل المشكلة الفلسطينية عن طريق المفاوضات السلمية ربما يؤدي أيضا في النهاية الى انهيار دولتهم ، وهم يستمعون والغضب والقلق ينتابهم الى التهديد الذي يردده كثيرا بعض المتحدثين الاسرائيليين الاكثر تطرفا ، الذين يمدون حدود بلادهم النهائية الى ما وراء نهر الأردن ، يقولون ، عندما يمشون الى وطن لغير اليهود في فلسطين ان الاردن هي فلسطين » . ان هذا التهديد يعتبر حقيقيا وغاية في الاهمية بالنسبة للقادة الاردنيين . وفي اشارة الى خروج ثالث للفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة الذي قد تنظمه اسرائيل ، قال لي ولي العهد الاردني الامير حسن مؤخرًا : « ان تدفق الناس المتزمين والمبعدين سياسيا ، على الاردن لن يخدم سوى هدف واحد : هو صبغ سياستها بالصبغة الراديكالية واثارة الفوضى والقتل في مجتمعا » .

وفي الاراضي المحتلة ، يتطلع العديد من الفلسطينيين أنفسهم الى الملك حسين لقيادتهم و حمايتهم في الوقت الذي يعربون فيه عن خيبة أملهم لعجزه الذي يشبه عجز هاملت في اتخاذ قرار بصدد دور الاردن . وحتى بينهم يصرحون علانية بأن زعيمهم الشرعى الوحيد هو ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فانهم يعربون عن أسفهم لانشغال قادة منظمة التحرير الفلسطينية بالصراعات التنظيمية ، وممارسات الدعاية الدولية والمناورات من أجل الحصول على المعونات المالية ، وهم والملك حسين مقتنعون بأن خلاص النهائي ربما يعتمد على تمثيل الفلسطينيين على مائدة المفاوضات من داخل الاردن . وليس لدى القادة الفلسطينيين ولا القادة الاردنيين أية اجابات جاهزة بصدد المشكلة الراهنة ، ولكنهم يبحثون بلا توقف عن حلفاء آخرين يعملون على استمرار توجيه اللوم الى اسرائيل .

وتنعكس الحيرة في اوساط الاردنيين حول الشخص الذي ينبغي ان يكون المتحدث بلسان سكان الضفة الغربية وغزة . وعلى الرغم من حرص الملك حسين على حماية حقوق الفلسطينيين وابرام اتفاقية مقبولة بصدد الاراضي المحتلة ، فانه ملتزم باعلان الرباط الذي أصدره العرب عام ١٩٧٤ ومفاده ان الفلسطينيين لا يمثلهم أحد سوى منظمة التحرير ، وهو يعتقد أنه من غير الملائم وربما من الخطورة بمكان أن يكون المرء هجوما بصورة مبالغ فيها ، باستغلاله الضعيف والتمرد داخل صفوف منظمة التحرير الفلسطينية واعلان حقه في تولي القيادة الفلسطينية . ونظرا لشعوره بمثل هذا القدر من التقييد ، فانه غير مستعد حتى الآن للاشتراك في المفاوضات للتخفيف من حدة الظروف التي تحبل في طياتها تهديدات متزايدة على الضفة الاخرى للنهر .

ووفقا لما يدور في ذهنى فانه ليس ثمة شك في أن اتفاقيات كامب ديفيد أتاحت أفضل فرصة في يومنا هذا لحل المشكلة الفلسطينية ولتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة ، ولكن هذه الاهداف قد أحبطت نتيجة لاتحركات الواضحة التي قام بها بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، للسيطرة على المنطقة بأسرها ، ونتيجة لرفض الملك حسين الانضمام الى مباحثات السلام . وهذا هو ما بدا لنا انا والسادات وبيجين في كامب ديفيد .

وعلى الرغم من أن اشتراك حسين في هذه المفاوضات الاصلية ، لم يناقشه الرئيس السادات أو أنا على الاطلاق بصورة جدية ، فان الرئيس المصرى قد أبلغنى في كامب ديفيد انه كان يستعرض تقدم المباحثات مع الملك الاردنى وانه كان من المقرر ان يجتمع به في المغرب وهو في طريق عودته الى بلاده ليقدم له تقريراً مفصلاً . بيد ان الملك حسين الغى هذا الاجتماع في اللحظة الاخيرة وعاد الى عمان . وفور أبرام اتفاقية كامب ديفيد ، قمت انا وسايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى بشرح نصوص الاتفاقية بالتفصيل

للملك حسين ، ولكن ذلك كان متأخرا جدا . فقد اقنعتة صيحة احتجاج من جانب اشقائه العرب بأنه يتعين عليه الانضمام الى جبهة الرفض العربية في التنديد بجهود كامب ديفيد بأسرها ، وفي محاولة لمعالجة المساسات لاشتراكه فيها .

وفيما بعد ، وبعد الاعتراف بأن اتفاقيات كامب ديفيد قد اعطت دفعة جديدة لعملية السلام ، اخذ الاردنيون يؤكدون ان المزايا الهامة لهذه الاتفاقية يقابلها في الجانب الآخر تحييد مصر ، وابعاد مصر من المجالس العربية واتساع نطاق الدور المتسلط لاسرائيل في الاراضى المحتلة ، كما يقابلها ضغائن واستقطابات جديدة بين الدول العربية . وايضا لم تتضمن اتفاقيات كامب ديفيد اعترافا بالسيادة الاردنية أو السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية ، ولكنها تركت امر اتخاذ هذا القرار النهائي على مائدة المفاوضات . وفي الآونة الاخيرة حاول الملك حسين راب صدع العلاقات العربية الذي حدث نتيجة مبادرة السلام التى تقدم بها السادات ودفع الأعضاء الآخرين في المجتمع الاسلامى الى اعادة منح مصر العضوية الكاملة .

وقد تشجع الاردنيون عندما أعلن الرئيس ريجان في سبتمبر عام ١٩٨٢ تفسيره لنصوص اتفاقيات كامب ديفيد ، من خلال اقتراح يمكن أن يكون احتمالا مقبولا في المستقبل ، بأن تتحد الضفة الغربية وغزة في ظل السيادة العربية مع الأردن (الملحق الخامس) وعقب ذلك ، وفي الاجتماع الذى عقده القادة العرب في فاس بالمغرب ، أصدر زعماء العرب قرارا ، صيغ بدقة واسهاب يؤيدون فيه اعلان ريجان ، ووفقا لتفسيراتهم الخاصة ، اعترفوا لأول مرة بحق اسرائيل في الوجود (الملحق السادس) .

وعلى الرغم من رفض بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى الفورى لهذه المبادرة التى تقدم بها ريجان ، فان الملك حسين سعى على الاقل الى الحصول على موافقة ضمنية من جانب العرب المعتدلين وموافقة صريحة من جانب ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، على انضمام الاردن وبعض الفلسطينيين الى مباحثات السلام مع اسرائيل ومصر والولايات المتحدة . وقدم الرئيس ريجان للقادة الاردنيين تأكيدات مباشرة وواضحة لا لبس فيها بأن النشاط الخاص باقامة المستوطنات الاسرائيلية سوف يتجمد كشرط لسبدء مباحثات السلام الوسعة . ولقد توقفت معظم العمليات الانشائية التى تمولها الحكومة في الضفة الغربية في اواخر عام ١٩٨٣ ، بسبب قيود الميزانية اساسا . اما الاسرائيليون فانهم ينكرون وجود أى قرار سياسى بوقف النشاط الخاص ببناء المستوطنات .

وفي فبراير عام ١٩٨٣ ، وقبل زيارتي الاخيرة للملك حسين في عمان اصدر المجلس الوطنى الفلسطينى ، القائم بعمل البرلمان الفلسطينى فى المنفى قرارا يوافق فيه على فكرة الاتحاد بين الاراضى العربية المحتلة والاردن . وقد

أصرت منظمة التحرير الفلسطينية على إقامة دولة أولا ثم ربما نسوخ من التحرك نحو الاتحاد ، ويبدو أن الملك حسين يريد الاتحاد ، مع إعطاء الفلسطينيين حق الاختيار فيما يتعلق بإنشاء دولة مستقلة في المستقبل ونظرا لمضمون البيانين العربيين اللذين يعتبران بمثابة تعبير كاف عن حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، ونتيجة للالتزام التحريري من جانب ريجان بتجميد النشاط الاسرائيلي الخاص بإقامة المستوطنات ، فقد أصبح حسين واثقا تماما من أنه يستطيع الانضمام الى مباحثات السلام .

ولقد حثته للقيام بذلك ، مشيرا الى أنه على مائدة المفاوضات مع مصر واسرائيل والولايات المتحدة وممثلين فلسطينيين ، سوف يجد أن موقفه من العديد من المسائل موضع الجدل ، يطابق المواقف التي أعلنت بالفعل في اتفاقيات كامب ديفيد والمواقف التي وردت في إعلان ريجان . وكان في نية الملك حسين التفاوض في ظل إطار الاقتراح الأمريكي والخاص بأن يكون هناك ديان فلسطيني في الضفة الغربية وغزة مرتبط مع الاردن ولكنه أعلن أن هدفه طويل المدى يتلخص في أن يشمل بعض العناصر الواردة في مشروع فاس ، الذي يدعو الى منح الفلسطينيين حقوقا أوسع نطاقا بما في ذلك حق اختيار إنشاء دولة مستقلة . وعلى الرغم من أن ذلك لم يكن ينطوي على ما تحبذه الاردن . (ونظرا لما هو معروف من أن اسرائيل لن تقبل ذلك قط) فسان حسين قد شعر بأنه لم يستطع — كوقوف من مواقفه في التفاوض — أن يعرقل إمكانية تحقيق هذا الهدف الذي يتطلع اليه الكثيرون من الفلسطينيين .

وعلى الرغم من جهود الملك حسين ، فإن مجموعة من العوامل تجمعت في ابريل عام ١٩٨٣ لتحول دون اشتراك الاردن في المفاوضات وهي : رفض حسين لاقتراح ريجان رفضا تاما ، واستسلام عرفات لضغوط المتطرفين ، ومطالبته في آخر لحظة باعتبار الملك حسين غير مقبول ، والامتنار الى التأييد الواضح من جانب القادة العرب الآخرين ، والسكوت النسبي من جانب الولايات المتحدة في مواجهة استمرار احتلال اسرائيل للبنان ، الأمر الذي جعل إيفاء الرئيس ريجان بوعده الخاص بتجميد النشاط الخاص بإقامة مستوطنات أمرا مشكوكا فيه . وفي وقت لاحق أعلن الملك حسين علانية أن العامل الأخير هو أهم العوامل . وبالإضافة الى ذلك ، فإنه كانت هناك في هذا الوقت العصيب بالنسبة لحسين ، انحرافات مزعجة داخل حكومة ريجان عن الموقف الأمريكي الثابت منذ زمن بعيد من المستوطنات الاسرائيلية ، ومفاده أن المستوطنات غير شرعية وتعتبر بمثابة عقبات بالنسبة للسلام . ويتساءل الاردنيون فيقولون إذا كانت الولايات المتحدة تعتبر الآن أن للاسرائيليين مطلق الحرية في الاستيطان في الضفة الغربية على حساب الفلسطينيين ، فما هو هدف مفاوضات السلام ؟ .

وثمة سبب آخر يدعو للقلق وهو الافتقار لأي موقف متماسك من جانب الولايات المتحدة لحل الازمة في لبنان أو حتى اشراك القادة السوريين في محاولة شاملة لاقرار السلام . وقد تم التوصل الى حل لهذه النقطة بعقد اتفاقية الانسحاب الثنائية في مايو ١٩٨٣ بين اسرائيل ولبنان بعد قليل من التشاور مع سوريا بصدد مصالحها في المنطقة . ويخشى الاردنيون من أن عدم ابرام اتفاقية انسحاب شامل يمكن ان يخلق حالة جمود دائمة تؤدي الى تقسيم لبنان ، مع بقاء القوات الاسرائيلية في المنطقة الجنوبية على أن يتم ضمها في النهاية الى اسرائيل على غرار ما حدث بالنسبة لمرتفعات الجولان والضفة الغربية وغزة . وسوف يعد ذلك بمثابة سابقة جديدة يمكن تطبيقها على الاردن في المستقبل وعلى أية حال فانه سيدفع المزيد من العرب الى الخروج من ديارهم ويخلق دفعة جديدة من اللاجئين . ولقد خفت حدة هذا الخوف الذي سيطر على الاردنيين مؤخرا عندما بدأت اسرائيل تستعد لسحب قواتها من لبنان

ويعتبر الاحتلال الاسرائيلي المستمر للبنان بمثابة ورطة سياسية وعسكرية، ولكن من وجهة النظر الاردنية فان هذا الاحتلال قد حقق لاسرائيل هدفا من أهدافها . فحتى تبدأ مباحثات السلام ، تستطيع اسرائيل أن تستغل الوقت في دعم قبضتها على الضفة الغربية وغزة . ويبدو حتى الآن أن هذا الوضع سيعمل على بقاء لبنان في موضع الاهتمام ، مما يساعد على اقضاء المصالح الانسانية للاردن . وأيضا نظرا لأن الاردنيين يدركون أن لبنان ليست سوى حلقة واحدة من سلسلة أكبر من المناطق الساخنة في شرق البحر الابيض المتوسط والخليج العربي والبحر الاحمر ، فانهم يعتقدون ، وهو اعتقاد صحيح ، أن تركيز أمريكا لقوتها السياسية والعسكرية كلية تقريبا على بيروت يعتبر بمثابة استخدام مبذر لمواردها الكبيرة ولا يسفر الا عن نتائج عكسية .

ومع الاعلان عن « تحالف استراتيجي » بين أمريكا واسرائيل في ديسمبر عام ١٩٨٣ ، شعر العرب ان الولايات المتحدة أصبحت أكثر تحيزا ضدهم وتخلت عن فعاليتها فيما يتعلق بممارسة الضغط على كافة الاطراف لتجتمع على مائدة المفاوضات . وكانت استجابة الملك حسين لذلك حادة على غير العادة ، فقد شعر بأن الولايات المتحدة ستقدم ، في ظل هذا التحالف الجديد « الاعتمادات المالية للمستوطنات الاسرائيلية مما يهز بشكل وجوه مقترحات السلام التي تقدم بها الرئيس الأمريكي ريجان » .

وأهم ما يشغل بال الملك حسين هو أن ايدي الراديكاليين والمتطرفين قد ازدادت قوة نتيجة لاستمرار حالة الجمود التي أصابت الجهود الخاصة باقرار السلام ، بسبب حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية واحجام حكومة ريجان عن تناول المسائل الهامة الخاصة بالمستوطنات الاسرائيلية ، وانسحاب قوات

الاحتلال وحقوق الفلسطينيين . ويؤكد الاردنيون على ان صانعي السلام المعتدلين في اسرائيل وفي الدول العربية (مثل الملك حسين) سيفقدون الامل وسوف تثار مشاعر الخوف في نفوسهم ، وأن مصالح الولايات المتحدة نفسها سوف تعاني في حالة استمرارها في التخلي عن دورها الذي تلعبه منذ زمن بعيد بصفتها وسيط السلام في المنطقة . وسوف يتحول الميزان الاستراتيجي بين الدول الكبرى أكثر تجاه الاتحاد السوفيتي حيث أن الشعب العربي في كل مكان يشعر باليأس من بذل جهد متوازن لاقرار سلام مؤيد من القادة الامريكيين .

ويؤمن الملك حسين بأن دورا امريكيا هاما ، يعتبر امرا جوهريا اذا ما اريد تحقيق أي تقدم . ودعا في عام ١٩٨٢ ، الى حملة سلام مشتركة من الحزبين الامريكيين يتزعمها مواطنون امريكيون لهم سمعة طيبة ولا يمكن قبحهم اصواتهم ، وربما يكونون من وزراء الخارجية السابقين . وعلى الاقل ، فان هذه الحكومة الصغيرة سوف تؤكد الحقائق وتقدم المقترحات التي يمكن ان توجه الحكومة الامريكية بعيدا عن الضغوط التي لا داعي لها . وعندما عرض حسين هذا الاقتراح على كبار المسؤولين في واشنطن ، اكد بأن هذه المحاولة لن تضر بالرئيس ريجان سياسيا ، ولكن على العكس من ذلك ، فان هناك احتمالا في ان تتيح الفرصة لدفع عجلة السلام وفي الوقت نفسه ستكون جذابة من الناحية السياسية بالنسبة لمعظم الناخبين الامريكيين . ولكن ليس ثمة استجابة ملحوظة من جانب واشنطن .

ولا يزال المسؤولون الامريكيون يؤكدون على انه نظرا لالتزام امريكا على اعلى مستويات الحكومة بعملية السلام ، فان هناك احتمالا في ان تقوم الاردن بدور فعال يهدف تنفيذ قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . وهم مقتنعون ايضا بأن ثمة قدرا كافيا من التأييد سيأتي من قبل الفلسطينيين والعرب المعتدلين لجعل جهود اقرار السلام هذه ممكنة ومثمرة .

ويعتقد الاردنيون ان معظم العوامل التي احوالت دون اتخاذ هذه الخطوة في ابريل عام ١٩٨٢ ، أصبحت الآن أقل أهمية . فقد زاد كل من تفتت منظمة التحرير الفلسطينية ، وتضاؤل النفوذ السوري على عرصات ، وتحسن العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن ، من احتمال تصرف الاردن بسلطة اكبر من أجل أولئك الذين يعيشون في الضفة الغربية وغزة ، ويسمى الملك حسين الى وسيلة ما من أجل تحمل هذه المسؤولية .

وقد اصيب الملك حسين بخيبة امل نتيجة لحالة الجمود الدبلوماسي التي سادت المنطقة خلال عام الانتخابات الامريكية سنة ١٩٨٤ ووجه هجوما شفهيا بصدد هذا التأجيل ، ولكنه ناضل ، من خلال مبادراته في سياسسته الداخلية والخارجية ، في ابقاء احتمال اجراء مفاوضات في عام ١٩٨٥ . فهو لا يرغب في أن يظل ملتزما بلا داع بالتطرف السياسي السائد في العالم العربي ،

كما انه لا يرغب في أن يحيد عن المطالب العربية الاساسية فيما يتعلق بالحقوق الفلسطينية . ويفضل أن يسلك طريقا وسطا يكاد يكون مستحيلا يضمن قدرا من الاستقلال الاردنى في صنع القرار ، ولكن في الوقت نفسه لا يبتعد عن أشتائه العرب المعتدلين . وقد اتضحت من استمرار مناقشاته مع زعماء الفلسطينيين واعادة انعقاد برلمانه الذى طال مدة حله ، بحضور نصف أعضائه من الفلسطينيين من الضفة الغربية ، ومساعدته على عقد المجلس الوطنى الفلسطينى في عمان في نوفمبر عام ١٩٨٤ ، رغبته في زيادة ارتباطه بالقيادة الفلسطينية داخل الاراضى المحتلة وخارجها . وقد عزز أيضا تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الأردن ومصر منذ شهرين ، نفوذ حسين بصفته قائدا معتدلا يمكنه أن يقوم بتحريك نحو السلام .

ولا يريد الملك حسين أن يكون الممثل الوحيد للفلسطينيين ، فهو يفضل أن يقيم علاقة عمل مع منظمة التحرير الفلسطينية ولا تشكل تهديدا لكسلا الجانبين . وثمة مشكلة متصلة بهذه العلاقة ، وهى أنه إذا كان حسين يعتمد على موافقتهم ، فإن المتشددى فى منظمة التحرير الفلسطينية والذين لا يريدون التوصل الى أية تسوية مع اسرائيل ، يمكنهم أن يعترضوا على رغبة الاردن فى التفاوض من أجل مستقبل الضفة الغربية وغزة . وثمة وسيلة لتجنب هذا المأزق ، وهى موافقة الاردن على طلب واضح من جانب الزعماء الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة ، بأن يتحدث حسين نيابة عنهم بالاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية . ويمكن أيضا ، أن يعمل على استئناف الروابط الوثيقة بين الاردن والولايات المتحدة وإشارة مؤكدة من الولايات المتحدة تدل على استجابتها لرغبة حسين فى التفاوض على التخفيف من حدة المشاكل المالية والعسكرية الأخرى التى يواجهها .

وسوف يحاول الاردنيون الاستمرار فى القيام بدور ثابت فيما يتعلق بالصراع العربى - الاسرائيلى والخلافات العربية الداخلية ، بهدف حماية مصالحهم . ان الملك حسين يحكم بلاده فى خضم هذا النوع من المناهضة السياسية منذ ان كان فى الثامنة عشرة من عمره وهو يعتبر حاكما بارعا فى معالجة المسائل والتحديات المتغيرة دوما . وإذا كانت هناك أية اجابة على السؤال المحير الذى تواجهه الاردن حاليا ، فانه يعتبر الشخص الوحيد الذى يمكنه ان يتقوه بها .

ولقد أكد شقيقه ولى العهد الامير حسن بن طلال مرارا على أن الفكرة النهائية تتلخص فى أن يكون الاردن والاراضى المحتلة فى متوقع وسط بين أفريقيا والدول المنتجة للبترول فى شبه الجزيرة العربية الى الجنوب وبين القوة البشرية الماهرة والتكنولوجيا المتقدمة التى تتميز بها لبنان وسوريا والعراق فى المنطقة الشمالية مع عرب يعيشون فى وفاق وتعاون مع اسرائيل آمنة ومسألة .

مصر

لم تستغرق المسافة بين القاهرة وتل أبيب سوى نصف ساعة — وتقطعها الطائرة في سهولة ويسر ، ولكن الطريق من الناحية السياسية صعب للغاية . وهو قاصر تقريبا على الأمريكيين الذين قاموا « بدبلوماسية المكوك » . وكنت قد قمت بهذه الرحلة على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد بصفتي رئيسا للجمهورية ، ولكن الأمر اختلف في ربيع ١٩٨٣ . لم أكن قد رايت قط جبل سيناء الذى يسميه العرب « جبل موسى » ، لذلك طلبت من المسئولين المصريين فى آخر لحظة قبل مغادرتى البلاد ، أن يصرح لطائرتنا الخاصة بأن تتجه نحو الجنوب الشرقى بدلا من الشمال الشرقى فوق صحراء سيناء حتى يمكننا أن نقوم بجولة حول الموقع التاريخى . ومن المعتقد أن يكون هذا المكان هو جبل حوريب ، حيث تلقى موسى الوصايا العشر من الله . وحتى بالنسبة لمضيفينا الكرماء ، كان هذا الطلب صعبا لأنه يعتبر بمثابة انحراف عن الطريق المعتاد للطيران ، وتأجل اقلاع طائرتنا لمدة ساعة حتى يصدق نهائيا على الرحلة أحد كبار المسئولين المعنيين .

وقامت الطائرة بدورة فوق قمة الجبل التى يبلغ ارتفاعها ٧٥٠٠ قدم . والقينا نظرة على دير سانت كاترين ، الذى يقع فى مواجهة الواجهة الشمالية للجبل العتيق لما يزيد على ١٤٥٠ سنة ، وهو يعتبر أقدم دير مسيحى على وجه الأرض . وهو مكان مقدس بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين ، وكان موضع العديد من المناقشات بين الرئيس السادات ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل وأنا فى كامب ديفيد . وقد اعتبر السادات « جبل الرب » هذا بمثابة رمز للسلام ، ولكن احتمالات تحقيق حلمه الخاص ببناء مجمع للديانات الثلاثة ، بدت بعيدة فى ذلك الوقت ، عام ١٩٨٣ ، نظرا لاحتدام الحرب فى لبنان وتوتر العلاقات بين مصر واسرائيل الى حد الانهيار تقريبا .

وعلى الرغم من وفاة انور السادات منذ سبعة عشر شهرا ، فقد وفينا من طيب خاطر بوعود اخذناه على عاتقنا روزالين وأنا فى اثناء احدى زياراتنا الرسمية ، وهو العودة الى بلاده للقيام بزيارة خاصة على مهل . وبعد وصولنا الى مصر ، قمنا بأول زيارة لنا للقرية التى ولد فيها السادات ، وتقع فى الشمال الغربى من القاهرة وهى ليست ببعيدة عن الطريق الرئيسى الى الاسكندرية . وهناك التقينا بقرينته جيهان وأولادهما وأحفادهما ، وأزواج أولادهما وأقاربهما المقربين . ومن الغريب أن أول موضوع تحدثنا فيه كان

يدور حول الدجاج والبيض ، نظرا لكونه مشروعا تجاريا كانت الاسرة تدرسه .
وقمنا بجولة في بساتين البرتقال في المزرعة الصغيرة ، ثم جلسنا في الشرفة
المشمسة لتحسبى الشاي بالنعناع الذى كان يفضلها السادات ، والذى
كثيرا ما احتسيته معه خلال مفاوضات كامب ديفيد . ثم سرننا في
شوارع القرية .

وكثيرا ما عقدنا مع السادات مقارئة بين منزلى في بليتز بولاية جورجيا
ومنزله الريفى . لذلك استطعت ان اتعرف عليه من كثرة وصفه المتحمس
له . واستمتعنا بحماس جيرانه وهم يفاضلون في توجيه حركة المرور البشرية
التي رافقتنا في الشوارع الضيقة . وعلى الرغم من أننا كنا ننفذ البرنامج
المحدد للزيارة ، فاننا استسلمنا لتوسلاتهم فيما يتعلق بزيارة عدد قليل
من المنازل التي يفاخرون بها بصفة خاصة — التي دفعت تكاليف بنائها
جميعا من ايرادات السيرة الذاتية للسادات ، وهو كتاب « البحث عن
الذات » .

وفي منطقة الدلتا الواقعة بين القاهرة والقرية ، لاحظنا الاراضى
المزراعية الخصبة والاساليب القديمة الخاصة بالرى والزراعة والحصاد .
لقد تناقشنا اننا وروزالين حول تاريخ مصر ، الذى يبدو كخليط خلاب
من العادات المتغيرة وغير المتغيرة ، والاثر البالغ له على الشرق الاوسط
خلال العتدين الآخرين اللذين حكم خلالها السلاد رئيسان جاءا ليعتبرا
نفسيهما بمثابة خليفين سياسيين للفراعنة العظماء ، وهما انور السادات
وجمال عبد الناصر . وفي البقية الباقية من رحلتنا امكن لنا ان نتعرف على
هذا التاريخ القديم والحديث بطريق مباشر . وبعد القيام بجولة شاملة
تضمنت زيارة متحف الآثار المصرية بالقاهرة واهرامات الجيزة برفقة المدير
المصرى للآثار ، سافرنا من القاهرة الى الاقصر على ضفاف النيل . ومن
هناك قمنا بزيارة « طيبة » (الاقصر) ووادى الملوك ومعبد الكرنك وغيره
من الاماكن الاثرية القديمة . وتفقنا المقابر الاكثر شهرة للفراعنة والمدن
القديمة المليئة بنماثيلهم الجميلة ، وامضينا بعض الوقت مع علماء الآثار
الذين كانوا مشغولين بين التقاط الصور الفوتوغرافية للآلاف من القطع
الاثرية وادراج اسمائها في قوائم ، وفك الطلاسم التي كتبت باللغة الهيروغليفية
على بعض الاماكن الاكثر بعدا والاقل شهرة .

وفي صباح احد الايام وبينما كنا نقرب من مدخل مقبرة توت عنخ آمون ،
رائنى مجموعة من الاسرائيليين الذين بداوا على الفور في ترديد نشيد
« فليرافقك السلام » . وتوقفنا لنستمع اليهم ، وقد لاحظت ان عيني لم تكن
العينين الوحيدتين اللتين تلالا . لقد كانت لحظة رائعة . واتجهت نحوهم
لاتحدث معهم ، فشكرونى « لاتاحة الفرصة لنا لزيارة اصدقاءنا الجدد

في مصر « ومثل هؤلاء وغيرهم من مجموعات المسائحين الاسرائيليين . كان المصريون الذين التقينا بهم في منازلهم وفي الاسواق مغتربين وممتئين لانتهاء حالة الحرب ، وأعرب الكثيرون منهم عن امتنانهم لثلاثتنا بالتساوى تقريبا ، إلى والترئيس السادات ولبيجين رئيس الوزراء الاسرائيلي .

وشملت ان ٢٣ ألف سائح اسرائيلي يغسدون الى مصر كل عام وأنهم مسرورون سرورا بالغيا بالترحيب الودى الذى يلقونه . وهذا العدد بالاضافة الى ٥٠ ألف فلسطينى من الاراضى المحتلة يعبرون الحدود ليدخلوا مصر بدون وقوع أى حدث ، ومعظمهم تقريبا من غزة . بيد أن ما يقسرب من ٢٠٠٠ مصرى فقط يزورون اسرائيل سنويا ، القليل منهم للسياحة ، نظسرا القيود السياسية والاقتصادية على السواء .

وقد امضيا عدة ايام على ظهر سفينة مريحة ، اخذت تتهادى على سطح مياه النيل ، مما أتاح لنا أن نرى من وراء عدسات المنظار ومن على مقربة منا أفراد الشعب المصرى وهم يؤدون أعمالهم اليومية ، وهم يحرثون التربة الخصبة بأيديهم وبالفؤوس والجمال أو الثيران مثلما كانوا يفعلون عندما حكم الملوك القدماء بلادهم وعندما كانت القوارب التى تسير فى النهرس تدفعها أشرعة من ورق البردى أو مجاديف العبيد . وفى الطريق ، توقفنا فى اسنا وادفو وكوم امبو . وكانت طائرتنا تنتظرنا فى أسوان ، حيث قمنا بجولة فى منطقة السد العالى قبل ركوب الطائرة لنقلنا الى أقصى الجنوب حيث توجد التماثيل الشهيرة لمعبد « أبو سمبل » ، التى تطل على شاطئ بحيرة ناصر على بعد بضعة أميال من الحدود السودانية .

وفى اثناء الرحلة النيلية التى قمنا بها كانت السفينة ترسو كل ليلة عند مكان مختلف ، وكنت أستيقظ كل صباح قبل الفجر لأقوم برياضة الجرى لبعض الوقت . وقد استمتعت بصفة خاصة بهذه الاوقات التى كنا نستكشف فيها أماكن جديدة ، كما استمتعت بالعزلة نسبيا . والجدير بالذكر أن أحد رجال الامن المصريين قد رافقنى اثناء سبرى فى الطرق المتربة والوعرة ، وفى بعض الاحيان على ضفة النهر ، وفى اوقات أخرى فى المناطق البعيدة عن المجرى وهى المنطقة المزروعة الضيقة بين المساحات الصغيرة من الارض الخصبة وفى شوارع القرى . وفى ذلك الوقت من الصباح لا تكون الشوارع ولا الطرق مزدحمة بالناس ، ولكنها تنشط بالفلاحين المتجهين الى حقولهم او يحملون منتجاتهم الى الاسواق الكبيرة على طول ضفة النهر . وبدا جميعهم وكأنهم يعرفون من أكون ، ولقد كان من الممتع أن أتوقف وأنا فى الطريق وأتحدث عن المحاصيل أو الحيوانات أو الحياة الاسرية . لقد كان رجل الامن من أبناء منطقة الاقصر ، وقد ظل

مشغولا في الاجابة على الكثير من أسئلتى وقام بدور المترجم في كثير من الأحيان .

وفي صباح أحد الايام راينا جملا كبير الحجم على غير العادة وتوقفت لأنظر اليه باعجاب . وكان الفلاح الفخور به في طريقه الى القرية التي كانت السفينة ترسو عندها خلال الليل ، واصر على ان اركب على ظهر الحيوان الضخم . وسرعان ما غيرت الموضوع وعدنا الى السفينة ، حيث اعددت لمقابلة العمدة وغيره من كبار الشخصيات في القرية قبل الإبحار . كان الوقت مبكرا أى بعد شروق الشمس بقليل ، وبمسد تبادل التحيات مع المسؤولين ، سرنا في الشوارع الضيقة لنشاهد المدينة وهي تنبض بالحياة في أول النهار . لقد بدا التجار يفتحون حوانيتهم والفلاحون يرتبون فواكههم وغيرها من منتجاتهم في أكشاك أو على حوائط ومناضد في ميدان كبير .

وثناء ذلك سمعنا جلبة وضوضاء في مكان قريب ، اصوات صياح وضحك . وسرنا لنرى سبب هذه الضوضاء . وتعرفت بعد مرور بعض الوقت على صديقى الفلاح صاحب الجمل الضخم . وسارع العديد من أفراد الجمهور المحتشد لتحييتي . وكان واضحا انهم كانوا يتوقعون موافقتي على ركوب الجمل والسير به . وحاولت ان اقدم كل الاعتذارات الممكنة ، ولكن سرعان ما وجدت ان حتى رجل الأمن الذى يرافقتى قد نسي واجبه الذى يقتضى منه حمايتي وانضم الى الجمع من الناس . وفي النهاية استسلمت أمام المطالب الجماعية بأن أغامر بحياتي أو أن أفقد رجولتى .

وبصعوبة بالغة ، حث الفلاح واصدقاؤه ، الجمل لكى يجثو على ركبتيه ، وقد غطوا سنامه بغطاء من أجمل الاغطية . وكل فرد من الجمهور المحتشد أومأ لى لكى أمتطى الجمل ، ولم يكن من السهل الوصول الى ركاب السرج الذى كان عبارة من مجرد فتحة في حبل متدلى ليس بعيدا عن قمة السرج . وعندما جلست في النهاية على الاطار الخشبي الصلب للسرج خطا الفلاح خطوة الى الوراء وسحب قعود الدابة .

وبمجرد ان بدأ أجمل يترنح في أول تمايل شديد له ، صاح رجل الأمن قائلا : « امسك اللجام بشدة بقدر ما يمكنك » . وكنت على علم بأن هذا التمايل سيعقبه تمايل آخر ثم تمايل مفاجئ ثالث وهو أكثرها مسعوبة . واهتز السرج الى الخلف ثم الى الامام ، وفي كل مرة يهتز أشعر وكأننى أنجدر حتى الأرض . وكنت أترنح وأنا ممسك بالسرج الخشبي ، فأقترب من رقبة الجمل ثم أرجع الى الوراء لأصل الى مكان خرج بالقرب من ذيله وفي هذه الاثناء يهلل الجمهور المحتشد ويصيح حينما أترنح ، ولكنى لم أقترب قط من المكان الذى كان من المفروض أن أكون فيه . وعندما سار الجمل وأنا على ظهره في النهاية في اتزان وبدون ترنح نوعا ما ، كنت

امسك باللجام بشدة ، وقد استطعت بمشقة ان ارجع الى الوراء بينما
حاول الجمل مرارا ان يعضنى . وعلت صيحات وضحكات الجمهور في جميع
أنحاء القرية .

وظللت منتظيا ما يقرب من تقاطعين — ولم يكن الامر سيئا كما اعتقدت —
وفي النهاية نزلت من على ظهره وقد أصبت بعسدد من الكدمات العميقة —
ولكننى لم أصب بأية كسور . ولقد هنأنى الفلاح السعيد وقال اننى الشخص
الوحيد باستثنائه الذى امتطى جملة . وعبرت وأنا اتصبب عرقا ، نصفه
ساخن ونصفه الآخر بارد ، عن امتنانى لصاحب هذه الوسيلة الخطيرة
لنقل على هذا الشرف ، واومأت برأسى الى جمهور المتلهلين وسرت
وأنا أشعر بنوع من التقلص فى عضلاتى ، وحاولت ان استجمع ما يمكننى
من وقار ، واتجهت سوب أحد الحوانيت المجاورة . وقد انفجر الجميع
بالضحك عندما سألنى العمدة « هل ذكرك هذا بمفاوضات السلام الخاصة
بمشكلة الشرق الاوسط ؟ » فأجبتة بقولى : « نعم ولكننى حققت صباح اليوم
تقدما أكبر لقد هبطت من على ظهر الجمل بسهولة أكبر » .

وفي أحد الاكشاك خارج القرية وجدت بعض العصي المصنوعة من
الخيزران وعكاز الرعاة ، وشرح صاحب الكشك كيفية صنعها ، فقال انها
صنعت بتعريض المادة الخام للبخار وتشكيلها كما تريد . وفكرت فى امكانية
استخدامها كهدايا ، ولكننى تركتها عندما رفض صاحب الكشك أن يذكر ثمنها
قائلا « فى هذه القرية لا يمكنك أن تدفع شيئا مقابل ما تريد شراؤه » وبعد أن
أبحرت السفينة وابتعدنا عن القرية قام المضيف باحضار مجموعة كاملة من
بضائع التاجر الى قاعة الاستقبال بالسفينة .

لقد حاولت فى كل مكان على طول نهر النيل ان اتحدث الى أكبر عدد ممكن
من المسئولين المحليين وغيرهم من أفراد الشعب ، وقد اتضح لى أنهم على علم
كاف باتفاقيات السلام مع اسرائيل ، ويكاد يكونوا متحمسين للتعبير عن
تقديرهم لبيجين مثلما يكون للسادات ولى كل تقدير . وفى المنازل غالباً
ما يوجد على الجدران عدد كبير من الصور التوتوغرافية لعبد الناصر
وعدد قليل من الصور للسادات ، وفى بعض الأحيان صورة لى شخصيا .
كما توجد على الجدران كتيبات سياحية وصور واعلام وغيرها من التذكارات
الخاصة بالدول التى كان يعمل بها أبناء الاسرة ، وكانت ليبيا هى أكثر الدول
التي يتم تذكرها كثيرا .

وفي يوم الاحد أدينا الصلاة فى كنيسة قبطية قديمة باحدى القرى التى
سادفناها ونحن فى طريقنا ، وذكرنا راعى الكنيسة بقوة عقيدة هؤلاء المؤمنين
المسيحيين الذين كان راعيهم القديس مرقس . وبعد القداس شاركنا

القساوسة في احتساء الشاي ، وقد أشاروا الى أن الطقوس لم تتغير تغيرا يذكر خلال الستة عشر قرنا الأخيرة . ويبدو أنهم كانوا مشغولين بصورة بالغة بموضوع تحديد اقامة البابا شنودة الذي قسام الرئيس السادات بتقييد نشاطاته والذي كان محدد اقامته والذي كان يأمر من الرئيس مبارك . وقد رفض الاقباط اختيار أى شخص آخر لرئاستهم ، ووعدتهم بأن اتوسست لمصلحتهم لدى المسئولين المصريين . ومنذ ذلك الحين ، قمت بذلك عدة مرات ، وقد تم أخيرا اطلاق سراح البابا شنودة في يناير عام ١٩٨٥ .

وعلى عكس الحال بين المسيحيين وغيرهم من المؤمنين في الدول الغربية، فإنه لم يكن ثمة ظهور لمذاهب أو عقائد جديدة في العالم الاسلامى منذ العصور الوسطى ، ونفس النمط الارثوذكسى مازال مستمرا بين المسيحيين ، السنيين ظلوا طوال عصور طويلة بلا مساس بصفتهم جماعات أقلية بين المسلمين . ومهما يكن من أمر فإنه منذ الثورة الايرانية والجماعات الاسلامية اصبحت أكثر تشددا ، وقد رد قادة مصر وغيرها من الدول العربية في بعض الاحيان على هذه الضغوط الدينية باضطهاد غير المسلمين وهو الامر الذى يتعارض مع طابع المسلمين . وفي تاريخ الاسلام الطويل يمكن للمرء أن يكتشف وجود شعور متزايد مناهض للغرب . ويعتبر سوء معاملة البابا المسيحى القبطى شنودة ، مثالا من الأمثلة على هذا الاتجاه المزعج .

لقد أصبحت مصر دولة موحدة لأول مرة منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، في عام ٣١٠٠ قبل الميلاد ، عندما قام ملك عظيم يسمى مينا بتوحيد القطرين الشمالى والجنوبى . وساعد اكتشاف اللغة الهيروغليفية في نفس ذلك الوقت تقريبا ، الملكة على تسجيل التاريخ الجيد لفضجها الثقافى والسياسى .

وعلى عكس سوريا وغيرها من الدول الواقعة بين نهري دجلة والفرات . فإن مصر لم تكن في مفترق طرق التجارة أو مركزا للحرب اندائمة عندما كانت الحضارات تناضل في بادىء الأمر من أجل الهيمنة . ولم توجد في وادى النيل المسالم نسبيا أية اضطرابات تتعلق بالنزاع مع قوى وافكار أجنبية ، ولذلك فقد ظهرت فلسفات ومعتقدات دينية جديدة ببطء شسديد ، وركز أفراد الشعب اهتمامهم على البناء والحرف والزراعة . ونظرا للرخاء النسبى الذى كانت مصر تنعم به ، فإنها اشتهرت بكونها مصدرا موثوقا به للمواد الغذائية حتى في تلك العصور القديمة ، ولذلك فإنه ليس من الغريب أنه عندما وصل ابراهيم الى أرض الميعاد في كتعان ليجد الجفاف والمجاعة ، واصل رحلته الى دلتا النيل ، ربما الى مكان لا يبتعد كثيرا عن مزرعسة أسرة السادات - لشراء مواد تموينية لأسرته ولرعيته . وهناك لقى ترحيبا كريما وقد أضافت زيارته الممتدة ثروة الى ثروته الكبيرة بالفعل ، ومن المؤكد أن قصة هذه الزيارة معروفة لخلفائه من بعده .

ومعندما هلت مجامسة شديدة أخرى على أرض كنعان ، ذهبت عائلة إسرائيل (معروف أيضا باسم يعقوب) حفيد إبراهيم الى مصر مرة ثانية — وربما الى نفس المكان لانقاذ أنفسهم من الموت جوعا . وهناك مكث أحفاده أربعة قرون ، وعاشوا في بادية الأمر في حرية ثم أصبحوا فيها بعد ذلك عبيدا للفراعنة حتى عاد بهم موسى الى أرض الميعاد . ويشير الأنجيل الى أنهم حتى بعد تحررهم ، أخذ مئات الآلاف من الاسرائيليين الناثين ينظرون بشوق الى هياتهم في مصر .

ومن وقت لآخر كانت مصر تبسط نفوذها على طول الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وعلى سوريا . وفي العديد من المناسبات تعرضت مصر نفسها للغزو من جانب جيرانها القريبين منها في امريقيا ومن جانب أعدائها في سيناء . ومهما يكن من أمر ، فإنه حتى عندما احتلت قوات أجنبية أراضيها ، فإن المصريين ، بوجه عام استطاعوا الاحتفاظ باستقلالهم النسبي وعزلتهم الثقافية وواصلوا تحقيق الازدهار الاقتصادي من التجارة الدولية .

وفي أثناء القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، تحطمت الممالك اليهودية لاسرائيل ويهوذا في فلسطين على أيدي الآشوريين والبابليين ، كما تعرضت مصر لهزائم ساحقة على أيدي نفس هذه القوى الكبرى القادمة من وادي دجلة والفرات . وبعد عشرين عاما ، احتل الفرس ، مصر وكان هذا يمثل بداية فترة طويلة من الاحتلال الاجنبي . وفي عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، قهر الاسكندر الاكبر المنطقة بأسرها وبدأ عهد النفوذ اليوناني الذي أثر في النهاية في الثقافة المصرية القديمة ومازال تأثيره مستمرا . ثم جاء بعد ذلك الرومان ، قبل مولد المسيح بفترة وجيزة ، وأصبحت مصر مرة أخرى مسرحا لدراما مسيحية . فقد تم أرغام أسرة المسيح على ايجاد مأوى لهم هربا من الملك هيرودس الاكبر الذي أمر بقتل جميع الأطفال الذكور في بيت لحم . لذلك هرب يوسف ومريم وطفلهما الى مصر ومكثوا هناك حتى وفاة هيرودس هذا وقد حكم الرومان مصر قرابة سبعة قرون ، وقد أصبحت المسيحية خلال ذاك الوقت الديانة القومية وأصبحت اللغة القبطية هي لغة الشعب المصري . وبعد ذلك ظهر التيار القوي للإسلام في القرن السابع ، وأجبر الرومان على الخروج من الشرق الاوسط (وفي النهاية من جزء كبير من جنوب أوروبا) . ولفترة تزيد على ألف عام والحياة السياسية والثقافية للمصريين ولغيرهم في جميع أنحاء الشرق الاوسط ، تمثل لتعليم النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) .

وتعتبر مصر من أكثر دول المنطقة ، تحملا لتاريخ طويل من الاستعمار الغربي ، حيث أن معظم الدول الأخرى في الشرق الاوسط ظلت جزءا من

الامبراطورية العثمانية حتى الحرب العالمية الاولى . وفى ذلك الوقت خضعت مصر لاحتلال بريطانيا المعظمى لأكثر من جيل . وعندما اقترب نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت الضغوط القومية فى مصر ترغم البريطانيين فى النهاية على منح بعض الاستقلال للشعب ولكن غزو موسولنى لاثيوبيا فى عام ١٩٣٥ اقنع معظم المصريين بأن حماية بريطانيا ربما لم تكن أسوأ خيار بالنسبة لهم لبضع سنوات أخرى . وحتى مع ذلك ، فإن كراهية البريطانيين قد أحدثت انقساماً سياسياً خطيراً داخل صفوف أفراد الشعب المصرى ، فهالت مجموعة من الضباط الشبان نحو تأييد النازيين . ونظراً لهذه الضغوط الداخلية ، لم تنجح بريطانيا فى اقناع مصر بإعلان الحرب على ألمانيا إلا بعد حلول عام ١٩٤٥ ، أى قبل نهاية الحرب بأشهر قليلة .

ويتشجع من البريطانيين ، ساعدت مصر على إنشاء الجامعة العربية فى نفس ذلك العام ، وذلك بانضمام شرق الأردن واليمن والسعودية والعراق وسوريا ولبنان الى مصر كأعضاء أصليين . وفيما بعد انضمت أيضاً الدول العربية الأخرى الواقعة فى شمال أفريقيا وفى شبه الجزيرة العربية ، الى الجامعة العربية . وكان مقرها فى القاهرة وظلت كذلك حتى قام الرئيس السادات بتوقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية فى مارس عام ١٩٧٩ . عندئذ اتفق القادة العرب الآخرون على نقل قاعدة عمليات الجامعة العربية الى تونس عقاباً للسادات .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، واصل المصريون نضالهم من أجل الاستقلال ، ولكن النفوذ البريطانى لم يتضاءل بصورة ملحوظة إلا بعد قيام ثورة ١٩٥٢ . وفى يونيو عام ١٩٥٦ ، انتهى الاحتلال البريطانى العسكرى الذى دام ٧٤ عاماً ، وبعد شهر واحد من ذلك أمم عبد الناصر قناة السويس . وفى نوفمبر ، نجح البريطانيون بمساعدة الفرنسيين والإسرائيليين فى الاستيلاء مرة أخرى على قناة السويس . وأثبتت قوات عبد الناصر العسكرية ضعفها فى تأدية واجبها . وكان الضغط السياسى من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وغيرهما من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة ، هو الشيء الوحيد الذى أرغم قوات الاحتلال على الانسحاب .

وقد خلف هذا التاريخ الطويل من الاستعمار ، ذكريات مريرة للغاية فى أذهان المصريين وغيرهم من العرب . وفى خلال الثلاثين سنة الماضية ، قاوم قادتهم فى عزم وإصرار أى تدخل أجنبى فى شئونهم الداخلية وأعلنوا عدم تحيزهم للدولتين العظميين . ومع ذلك فإنهم كثيراً ما وجدوا أنفسهم قريبين من موسكو أو واشنطن عندما كانت دولهم فى حاجة للمعونة العسكرية أو الاقتصادية .

وقبل الثورة المصرية بأربعة أعوام ، تأسست دولة اسرائيل وقد غير وجودها من طابع المنطقة وحياتها السياسية . ومهما يكن من أمر ، فمسئلتان المصريون وجميع العرب قد اعتبروا ، خلال الايام الاولى من تأسيس وطن قومي لليهود ، بمثابة غلطة قصيرة الأجل ، وبمثابة اجراء اتخذته البريطانيون من اجل تحقيق اهدافهم السياسية الشخصية . ولقد أصيب القادة المصريون وغيرهم من القادة في الشرق الاوسط ، بالدهشة من جراء مدى وعمق ما وصفت اليه القضية اليهودية ، ذلك لانهم ببساطة لم يكونوا على استعداد لمواجهة ، وأخفقوا في الاعتراف بحاجة الشعب اليهودي للملاذ أو مأوى ، وقتلوا من شأى قوة وعناد الصهاينة في الحصول على موطنهم قدم لهم في فلسطين والمحافظة عليه . لقد اعتقد الجانبان في امكانية حل الموقف بالقوة . واعتقد اليهود في احتمال أن يجلوا السكان عن الارض أو يتقسامونها معهم ، أما العرب فقد اعتقدوا انه في امكانهم الحيلولة دون وفود أو اقامة أعداد كبيرة من اليهود في فلسطين .

ظهر جمال عبد الناصر باعتباره قائدا ديناميكيا لجمهورية مصر الجديدة وسرعان ما دعم بلاده بمساعدة الاتحاد السوفيتي كقوة دافعة للعالم العربي . وثمة هدف من الاهداف السياسية التي تطلع العرب الى تحقيقها ، وهو مواجهة التهديد الصهيوني . وبحلول منتصف الستينيات ، كان عبد الناصر وغيره من القادة العرب يستعدون لشن حرب اعتبروها حتمية ، وعندما نشبت الحرب في عام ١٩٦٧ الحقت بالعرب هزيمة خسرت فيها مصر سيناء .

وفي أعقاب وفاة عبد الناصر ، أصبح أنور السادات ، رئيسا للجمهورية ، وبدأ يتحرك بطيئا ولكن مطردا في الابتعاد عن السوفييت والاقتراب من الولايات المتحدة . ولقد توج هذا القرار بطرد الآلاف من المستشارين السوفيت من مصر في يوليو عام ١٩٧٢ واستدعاء كل من السفيرين في موسكو والقاهرة . كانت هذه بمثابة حركة مثيرة ، ولكن في خلال بضعة أشهر عاد السفيران الى منصبيهما وبدأ السوفييت مرة أخرى في امداد مصر بالاسلحة المتقدمة بخطى سريعة لمضاهاة تلك الاسلحة التي تسلمها الولايات المتحدة لاسرائيل .

وبدا الرئيس السادات والرئيس السوري حافظ الأسد في التخطيط سرا لأن تكون الحرب القادمة (التي نشبت في اكتوبر عام ١٩٧٣) حربا ذات اهداف محدودة ، وليست محاولة لحرب شاملة . وربما استغل اتباع السادات الاحداث بعد وقوعها وزعموا الآن أن الهدف الحقيقي للمصريين كان ينحصر في تمهيد الطريق من اجل تحقيق سلام حقيقى بين العرب والاسرائيليين . وهذا الموضوع لا يمكن التفاوض بصدده الا اذا استعيدت الكرامة

العربية وساد أساس من المساواة والاحترام المتبادل في ميادين القتال المحتملة مستقبلا . وقد شعر السادات بأنه من المؤكد أنه إذا تم تحقيق هذه الاهداف المحدودة ، فان أفراد شعبه سيؤيدونه في التحرك نحو استمرار السلام .

وفي هذه المرة وعلى الاقل في المراحل الأولى لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، استخدم المصريون الاسلحة السوفيتية بفعالية أكثر مما فعلوا أثناء حرب ١٩٦٧ . وعلى أية حال ، فان الكرملين لم يستطع مضاهاة الكميات الكبيرة من المواد الحربية التي أرسلتها الولايات المتحدة الى اسرائيل عن طريق جسر جوى . ونظرا لتعرض الجيش المصرى لخطر الدمار ، فان اليكسى نوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى طار الى القاهرة من أجل الترتيب لإعلان وقف إطلاق النار . وعندما رفض الاسرائيليون مراعاة هذا الترتيب ، حذر السوفيت كلا من الرئيس نيكسون والاسرائيليين ووضعا خططا واضحة لإرسال قواتهم الى مصر . ونتيجة للضغط الأمريكى راعى الاسرائيليون شروط وقف إطلاق النار ، ولكن لم يحدث ذلك الا بعد أن أعلنت الولايات المتحدة أن قواتها العسكرية المنتشرة في جميع أنحاء العالم قد وضعت في حالة التأهب القصوى ، استعدادا لصدام خطير بين القوتين العظميين .

وبعد انتهاء حرب ١٩٧٣ التى لم تؤد الى نتيجة محددة ، وبعد أن حقق العرب انتصارهم السيكلوجى ، اعتبر السادات بمثابة بطل عسكرى عظيم يتميز بقوة مكنته من الايفاء بوعد عبد الناصر الذى لم يحققه . وأصبح لدى السادات الذى قام بدراسة الشروط المحتملة لتحقيق تسوية مع الاسرائيليين في موعد مبكر يرجع الى عام ١٩٧١ ، التكافؤ في التفاوض الذى سعى الى تحقيقه . وفي أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ذهب السادات الى مقر البرلمان المصرى واقترح أمام أعضائه ، عقد مؤتمر دولى للسلام يضم الأطراف المتنازعة في الشرق الاوسط وتتناوب على رئاسته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وعلى أية حال ، فعندما عقد مثل هذا المؤتمر في النهاية (بدون اشتراك سوريا) في ديسمبر عام ١٩٧٣ ، أثبتت المحاولة على الفور فشلها . ومن وجهة نظر السادات ، فان اتفاقيات فصل القوات لعامى ١٩٧٤ او ١٩٧٥ في سيناء ومرتفعات الجولان بين مصر واسرائيل وسوريا ، تعتبر بديلا متواضعا ومحدودا لما كان يدور في ذهنه .

لقد تلقت مصر مساعدات كبيرة من السوفيت ، ولكن في أعقاب التفاوض الخاص باتفاقيات الانسحاب من سيناء ، أصبح واضحا أن السادات يوجه مصالح بلاده مرة أخرى نحو الديمقراطيات الغربية . لقد أبلغنى السادات فيما بعد ذلك ، بأنه لم يرغب في تدفق « المستشارين » السوفيت مرة أخرى على مصر ، فقد رأى المعارضة القديمة من جانب السوفيت

لمفاوضات الانسحاب مع الاسرائيليين واعتقد ان هناك احتمالا اكبر في ان توفر الولايات المتحدة السبل لاجراء المزيد من مباحثات السلام .

ونطلع السادات الى خلق مصر عصرية تنعم بالرخاء ومتحالفة مع الغرب . بسبب انه كان حتى على استعداد لان يبرم اتفاقية سلام منفصلة مع اسرائيل مما يعرض مكانة بلاده للخطر في المجتمع العربي . حتى ان رجالها من الشبان كانوا اكثر من تمت التضحية بهم في الحروب ضد اسرائيل . وادرك ان ثمة فوائد كثيرة سوف تعود على اشقائه العرب نتيجة لانتهاء الحرب ، وشعر بأنه اذا استطاعت مصر ان تتحرر من المواجهات المستمرة والمهلكة مع اسرائيل ، فانه سيستطيع المساعدة في تحديد الحياة السياسية والاجتماعية للعرب ، والاشتراف في صد الاعداء المشتركين . وثمة تطور هام في تاريخ الشرق الاوسط ، عندما قرر الرئيس السادات انسه لسم يعد ملتزما باجماع الجامعة العربية ، وانه يمكنه التصرف باستقلال عن سوريا وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها من الدول التي استمرت في رفضها اجراء اية مفاوضات مع اسرائيل .

وبعد ان توليت الرئاسة بفترة وجيزة ، نشبت نزاعات متعددة على الحدود بين مصر وليبيا ، وزاد التأييد السوفيتي لليبيين من عزلة السادات . وقد بدا في قطع روابطه العسكرية والثقافية والتجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وتدهورت العلاقات بين البلدين عندما اعلن السادات عزمه على زيارة القدس في نوفمبر عام ١٩٧٧ . ويبدو ان افراد الشعب المصري قد قبلوا كل هذه التغيرات السريعة التي طرأت على السياسة باتزان نسبي .

وعندما التقيت بالسادات لأول مرة في ابريل عام ١٩٧٧ ، كان ميله الى التعاون معنا فيما يتعلق بمفاوضات السلام قد اتضح بالفعل ، ولكنه لم يحدد اي موعد زمني لاجراءاته . وقد ابلغني بأنه يتطلع الى اتفاق سلام شامل وحقيقي وعادل ، بتأييد من كلا الدولتين العظميين ، من شأنه ان يحقق توازنا جديدا بين الاسرائيليين والعرب ويعامل الفلسطينيين بانصاف . وقد استعرضنا بعض العناصر الأساسية الجوهرية للتقدم ، ثم ايسد السادات فيما بعد ذلك العبارات الواردة في البيان الامريكي - السوفيتي المشترك الصادر في اكتوبر عام ١٩٧٧ (الملحق الثالث) . واعتبرت ذلك بمثابة تمهيد حيوي لاعادة عقد مباحثات جنيف للسلام . وصدرت اعتراضات قويسة على البيان المشترك من اسرائيل ولا سيما من الاصدقاء الامريكيين لاسرائيل . ولا تتعلق هذه الاعتراضات بمضمون نص البيان المشترك بقدر ما تتعلق بالآثار الناجمة عن رئاسة الدولتين العظميين لاجتماع يضم اطراف محجبة ومتنافرة . ولقد غضبت لهذه الانتقادات ويدت لي كل فرص التقدم وهي تضيق .

وبعد ثلاثة أيام بعث السادات برسالة خاصة وشخصية لى وفيها بعث استقال وزير الخارجية المصرى الذى سلمنى اياها احتجاجا على محتوياتها . وتحثنى الرسالة على عدم الاقدام على أى شىء يتعارض مع قدرة السادات على التفاوض مباشرة مع الاسرائيليين ، وكان هذا بمثابة بشر بعزم السادات على زيارة القدس .

وبعد ذلك اجتمعت وموشى ديان ، وزير الخارجية الاسرائيلى ، لاؤكد له ان سياستنا التى انتهجناها من قبل لم تتغير ، وأن السوفيت قرروا ببساطة فى البيان المشترك ، ان يؤيدوا الموقف الأمريكى . ولم يقتنع الاسرائيليون وكانت الآمال المعلقة على مباحثات السلام لا تزال تتضاءل تدريجيا . وبعثت الى السادات برسالة بخط يدى اخبره فيها بمدى « الاهمية بل ربما الجوهرية » بالنسبة له ان يقدم لى مساعدته فى تلك اللحظة العصيبة . وناقشنا مختلف الاحتمالات بالتليفون . وفى يوم ٩ نوفمبر اعلن مرضه المذهل الخاص بالذهاب الى القدس . وبسرعة وجهه بيجين عن طريقى دعوته للسادات لان يلقى كلمة فى الكنيسة الاسرائيلى ، وبعد ذلك بفترة وجيزة ، تمت الزيارة التاريخية .

وفى خطابه الذى القاه امام اعضاء الكنيسة الاسرائيلى ، اعلن السادات فى عبارات محددة الموقف العربى القوى . ومن الشيق أن نعرف انه قرر بعد بعض المناقشات الهامة ، الا يأخذ بمشورة مستشاريه بالقاء الخطاب باللغة الانجليزية للمستمعين فى أنحاء العالم . وبدلا من ذلك القى خطابه باللغة العربية لصالح هيرانه العرب واعرب عن امله لو أنه استطاع ايضا ان يلقى بالغة العبرية . ان وجوده كرمز كان قويا الى الحد الذى طغى على كلماته التى لم تحظ باهتمام بدرجة كبيرة . وكان رد فعل الدول الغربية مؤيدا تأييدا ساحقا ، بينما كان رد فعل القادة العرب المعتدلين ، حذرا فى احسن الظروف المتوقعة ، أما الجمهور الاسرائيلى فقد استجاب بابتهاج وحماس . وقطعت سوريا علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ، ودعا كبار المسئولين فى دمشق وبغداد وطرابلس ومنظمة التحرير الفلسطينية الى اغتيال السادات .

وفى ديسمبر عام ١٩٧٧ ، جاء بيجين الى البيت الابيض ليناقد الاقتراح الخاص باقرار السلام فى سيناء والضفة الغربية . وتم عقد عدة اجتماعات محكومة بين المصريين والاسرائيليين اسفرت عقب انتهاء اعياد الميلاد بزيارة بيجين للاسماعيلية بالقرب من قناة السويس . وقد ابلغنى السادات بسان الجلسة كانت غير مرضية تماما ، بل تعتبر بمثابة نكسة حقيقية لمبادرة السلام . اذ ان بيجين كان يصر على ضرورة بقاء المستوطنات الاسرائيلية على الاراضى المصرية . وبدا يبدو أن النتيجة الوحيدة الثابتة للحركة الشجاعة التى قام بها السادات ، هى انتهاء أى احتمال لعقد مؤتمر جنيف . وفى خلال زيارة سريعة تمت بها فى بداية السنة الميلادية الجديدة ، تشاورت مع قادة الاردن وايران

والسعودية ومصر ، فوجدت العرب الآخرين يؤيدون نوعا ما السادات في مجالسهم الخاصة ، ولكنهم يوجهون اليه النقد في بياناتهم العلنية ، وهم بذلك انما يحترمون تعهدا بالاجماع بالوقوف مع اشقائهم العرب الاكثر تطرفا .

وفي خلال النصف الاول من عام ١٩٧٨ ، تدهور الموقف من سيىء الى اسوأ ، وبعث لى السادات برسالة يبلغنى فيها بأنه عقد العزم على المجيء الى انولايات المتحدة والتنديد علنا ببيجين بصفته خائنا لعملية السلام . وفي شهر فبراير ، وجهت انا وروزالين الدعوة لانور السادات وجيهان للقيام بزيارة شخصية لكامب ديفيد ، وبعد تمضية نهاية الاسبوع فى مباحثات مكثفة ، اقتنع السادات بالمحاولة مرة اخرى من أجل التوصل الى نوع ما من الاتفاق . وقد ساعد سروس فانس وزير الخارجية الامريكى فى الجهود الجديدة ، ولكن خلال بضعة اسابيع ، اتضح أن الاسرائيليين والمصريين لن يتفقوا قط بصدد أى من القضايا الأساسية .

وفي النهاية وفى محاولة يائسة من أجل التوصل الى اتفاسق سياسى ، قررت أن أوجه الدعوة لكل من بيجين والسادات للحضور الى كامب ديفيد حتى يمكننا الابتعاد عن المهام الروتينية لبضعة أيام ، وقد استطعت ، ونحن فى عزلة نسبية ، أن نقوم بدور الوسيط بين وفدى البلدين . لقد قبلا الدعوة على الفور ، وفى شهر سبتمبر عقدنا سلسلة من الجلسات الخاصة استمرت ثلاثة عشر يوما .

ونتيجة لتنازلات كبيرة ، نصت اتفاقيات كامب ديفيد على انهاء الحكم العسكرى الاسرائيلى ، ومنح الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة ، حكما ذاتيا كاملا ، واجراء مفاوضات من أجل تحديد الوضع الدائم للاراضى المحتلة الاخرى ، بالاضافة الى اشتراك الفلسطينيين فى تقرير مستقبلهم . وقد تم توقيع اطار لاتفاقية مصرية - اسرائيلية ، تدعو الى انسحاب اسرائيل من سيناء وحل المستوطنات الموجودة فى الاراضى المصرية واقامة علاقات دبلوماسية بين اسرائيل ومصر ، وفتح الحدود بينهما لتبادل التجارة ، وضمان مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وعلان سيناء منطقة منزوعة السلاح ، وابرام معاهدة سلام دائم لتأكيد هذه الاتفاقيات (الملحق الرابع) .

وفي ١٧ سبتمبر من عام ١٩٧٨ ، وقعنا ونحن مبتهجون الاتفاقيات فى البيت الابيض ، ولكن الاحتفال بذلك كان قصير الاجل . فقد بدا من المستحيل تقريبا تحقيق أى تقدم آخر . وبعد ستة أشهر ، أى فى مارس عام ١٩٧٩ ، قررت الذهاب الى القاهرة والقدس لمحاولة حل المسائل المتبقية ، وتمكنا من ابرام معاهدة السلام ، التى تدعو الى انسحاب اسرائيل كامل من سيناء المصرية ،

واقامة علاقات طبيعية بين البلدين . واعقب هذا النجاح ، ولبضحة أشهر ، تعاون وسهولة في الاتصال بين مصر واسرائيل ، ولكن منذ ذلك الحين ، والمفاوضات متوقفة تماما . ولم يتحقق أى تقدم . ولم يمنح الاسرائيليون أى حكم ذاتى يذكر للفلسطينيين ، وفي الواقع زادت حكومتا بيجين وشامير من تشديد قبضتهما على الاراضى المحتلة . فضلا عن ان الاردنيين والفلسطينيين لم يكونوا على استعداد للانضمام للمباحثات .

اقد أصر السادات دائما على ضرورة اعطاء الاولوية لمسألة منسـ . الفلسطينيين حق تقرير مصيرهم ، وكنا جميعا (ربما باستثناء بيجين) مقتنعين بأن هذه الحقوق مصنونة في الوثيقة النهائية . وكنا جميعا (بما في ذلك بيجين) واثقين أيضا من إمكانية صياغة النصوص النهائية للمعاهدة خلال المدة المحددة لذلك وهى ثلاثة أشهر . ولقد أدرك المصريون أنه اذا ، بدأت اسرائيل في بناء مستوطنات جديدة ، فسان الفلسطينيين والاردنيين وغيرهم من العرب لن يستطيعوا قط أن يقتنعوا بأن التزامات كامب ديفيد ستحظى بالاحترام . وبالنسبة لهم ، فإن منح الفلسطينيين وعدا « حكم ذاتى » ، وأن يكون لهم الحق في ابداء رأيهم على قدم المساواة أو الرأى النهائى في تحديد مصير الاراضى المحتلة ، بينما تستمر عملية بناء مستوطنات اسرائيلية كبيرة وبصفة دائمة ، انما يبدو أمرا غير ملائم الى حد يثير السخرية .

وربما لم يكن أخطر ما أغفل توضيحه كتابه في مباحثات كامب ديفيد ، وعد بيجين الخاص بتجميد المستوطنات خلال مباحثات السلام التالية . لقد اعتقد المصريون أن أسوأ خطأ ارتكبه في كامب ديفيد هو حذف عبارة « تقرير المصير » حيث أنها تنطبق على حقوق الفلسطينيين ، ولكننى أشك في أن بيجين كان سيقبل إمكانية إقامة دولة فلسطينية مستقلة . ولقد أخفقت أنا والسادات في المداومة على اطلاع الملك حسين عاهل الاردن على الاحداث عند صياغة البنود النهائية للاتفاقيات ، الامر الذى ساهم بلا شك في رفضه الانضمام الى المباحثات التالية الخاصة بالحكم الذاتى .

وفي أثناء أحاديثى الكثيرة مع السادات ، كثيرا ما أعربت عن مخاوفى من تزايد عزلة مصر عن العرب الآخرين ، ولكنه كان يسخر من قلقى هذا . فقد كان متأكدا من أن مبادرته تمثل على نحو دقيق أمانى الشعب المصرى في تحقيق السلام وأنه مقتنع على حد سواء بأن معظم جيران اسرائيل من الدول العربية لديهم نفس الطموح حتى بين أفراد الشعب أنفسهم . وقد ندد بشدة بقيادة تلك الدول لجبنها المتسم بقلة التمييز عندما أخفقوا في أن يحذو حذوه .

ولقد أثبت السادات أنه على صواب فيما يتعلق بفشل هذه المحاولات الخاصة بمعاقبة مصر . ومهما حاولوا ، فإن العرب الآخرين لن يستطيعوا أن

يستبعدوا أو يتجاهلوا لفترة طويلة مصر ، بقواتها المسلحة الهائلة ومومعها الوسط ، وراثتها الحضارى العظيم وسكانها المتمسددى العناصر الذين يبلغ تعدادهم ٤٧ مليون نسمة ، وقوتها العاملة الكبيرة فى الخارج ، واستعدادها فادتها الحاليين فى استكشاف مفاهيم جريئة وجديدة . لقد ذكر احد أساتذة جامعة تل ابيب مؤخرا أن موقف العرب من مصر خلال محاولتهم مقاطعتها يذكره بعنوان قديم فى جريدة التايمز اللندنية ، « الضباب يخيم على بحسر المائش . اوروبا معزولة » . وبالنسبة « للرافضين » فى العالم العربى الذين لم يستطيعوا اقناع انفسهم بالتخلى عن تصميمهم على القضاء على اسرائيل ، يعتبر السادات بمثابة خائن ، خدع أشقائه العرب من أجل مجده الشخصى ومن أجل الحصول على مزايا لا مبرر لها لبلاده على حساب الآخرين . وقد ترددت فداءات منكرة تدعو الى نبذ مصر واغتيال السادات ، ولكن الرئيس المصرى لم ينزعج من هذا وواصل فى هدوء سعيه الى تحقيق هدف السلام .

وفى وقت مبكر من صباح اليوم السادس من اكتوبر عام ١٩٨١ ، دق جرس التليفون فى منزلى فى بليتز بجورجيا . وجه احد الصحفيين سؤالاً عن رد فعلى ازاء الهجوم على السادات ، واضاف بسرعة بأن محاولة اغتياله لم تنجح ، وأنه يعانى فقط من اصابات طفيفة . فاعربت عن استنكارى للارهاب ، ثم طلبت الاتصال بمصر . لم استطع الاتصال بالسادات ولكننى تحدثت مع السفير الامريكى ، الذى أكد لى أن الرئيس المصرى على ما برام وأن القتلة الذين حاولوا اغتياله قد قبض عليهم وفى أثناء النهار عاودت الاتصال عدة مرات بالقاهرة ، وشاهدت التليفزيون الذى أعلن النبأ المؤسف . لقد قتل انور السادات بأيدى مدممين دينيين مضللين . كانت وفاته خسارة شخصية كبيرة بالنسبة لى وضربة شديدة لاحتمالات السلام فى الشرق الاوسط .

ومنذ ذلك الوقت والرئيس حسنى مبارك حريص على أن يفى بالالتزامات التى تعهد بها سلفه . لقد اتضح لى تماماً خلال اجتماعاتى الأخيرة التى عقدتها مع القادة المصريين ، أنهم يسعون الى ايجاد سبيل لاعادة تأكيد زعامة مصر فى داخل العالم العربى وانها قوة كبيرة فى عملية السلام فى الشرق الاوسط على السواء . ويتلخص انطباعى فى أنه بالنسبة للوقت الحاضر ، يأتى العالم العربى أولاً ، بينما تظل معاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية بلا مساس . ومبارك الذى يعتبر تلميذاً للسادات ، يفتقر الى الجرأة التى تميز بها السادات وربما يفتقر الى مفاهيمه الاستراتيجية ، ولكنه مصمم على أن يظل وفياً لمنهجه . ويتميز مبارك بالهدوء والصبر ، وهو أكثر اهتماماً وانشغالا بالشئون السياسية والاقتصادية الداخلية لبلاده من سلفه . وقد تصرف عموماً فى ظل ظسـروف عصية ، كما يعتقد هو ومستشاروه المقربون ، أن السادات كان سيفعل ذلك .

ومن المفيد الاستغناء الى الاصوات المصرية ، لأن مصر قد تبوءت مركز الصدارة في السنوات الاخيرة وتزعمت حركة القومية العربية في ظل عبد الناصر ، والسلام المستقل مع اسرائيل في ظل السادات . وبدون مصر ، كان من غير المحتمل ان يتخذ العرب أية مبادرة فيما يتعلق باقرار سلام حقيقى أو الدخول في حرب مع اسرائيل .

ولقد شعر القادة المصريون أكثر من غيرهم بالأمل وخيبة الأمل والانتصار ، والمآسى ، والقرب من أشقائهم العرب والبعد عنهم . ان أرض مصر القديمة مازالت قائمة كاحدى دول افريقيا وكجزء لا يتجزأ مما نسميه الشرق الاوسط . وخلال جيل ، اقامت مصر ارتباطا سياسيا وثيقا بالاتحاد السوفيتى في الوقت الذى رفضت فيه أمريكا ، ثم اقامت علاقة حتى أكثر وثوقا مع الولايات المتحدة في الوقت الذى استبعدت فيه السوفيت . وعلى أية حال فان الأهم من ذلك ان مصر تعتبر ، بصورة ما ، مختبرا للتجارب بالنسبة لمبادرة سلام ترمى الى تسوية النزاع القديم بين العرب واليهود ، ومازال قادتها الحاليون يعترفون بهذه المسئولية الجسيمة .

وفي اى مناقشة تدور حول الظروف السياسية التى تسود منطقتهم ، يؤكد القادة العرب على التمرکز المزعج للقضية الفلسطينية ، ويشيرون الى ان مصر انشغلت « بالمشكلة الفلسطينية » قبل تأسيس اسرائيل بفترة طويلة . ويعتقد الرئيس مبارك ، مثله في ذلك مثل السادات ان الموقف في الشرق الاوسط يعتبر جزءا من مشكلة عالمية ، تتورط فيها في النهاية القوتان العظميان واصدقاؤهما وحلفاؤهما المنحازون .

ويوضح المصريون ان معاهدة السلام بين البلدين مازالت تقوم على أساس اطار شامل يتضمن مراحل التقدم بصدد الضفة الغربية وقطاع غزة ، واستعداد اسرائيل لمنح الفلسطينيين حكم ذاتى كامل ثم حق تقرير المصير ، ويبدون قلقا بالغاً ازاء سياسة اسرائيل فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة . ويصفون الآن الاراضى المحتلة بأنها مليئة « بأحياء جديدة وصغيرة ليهود مسلحين ينظرون الى العرب من حولهم كأعداء » . ويعتقدون ان نمو المستوطنات انها يزيد من استنفال واستمرار الكراهية التى اعتقد السادات انها انتهت بزيارته للقدس وبالاتفاقيات التى تلت ذلك .

ان القادة المصريين المعتدلين الذين يعترفون علانية باستحسان التسوية مع اسرائيل والذين يؤيدون تأييدا شديدا المعاهدة ، قد تلقوا سلسلة من الضربات العنيفة خلال الأعوام الأربعة الماضية . فهم يعتقدون ان التحفظ السياسى في الولايات المتحدة ، والتعهد المصرى بتحقيق السلام مع اسرائيل قد أبطلا بصفة جزئية الاثر الرادع لهاتين الدولتين على اسرائيل . لقد تعرضوا لاحراج بالغ من جانب أولئك الذين يفكرونهم باستمرار من بين العرب الآخرين

انه منذ أن انسحبت مصر كقوة عسكرية مضادة ، غزا الاسرائيليون لبنان مرتين ، وضربوا مرتفعات الجولان ، بالإضافة الى ذلك شددوا قبضتهم على القدس ، وقصفوا بالقنابل المفاعل النووي العراقي ، وصعدوا الى حد كبير من نشاطهم الخاص ببناء المستوطنات في الاراضي المحتلة .

وقد تضاعف حزن المصريين وكربهم نتيجة لرد فعل واشنطن الذي تمثل في معسونة عسكرية اكبر لاسرائيل وعلان قيام « تحالف استراتيجي » على الرغم من التصرفات العنيفة التي اقدمت عليها اسرائيل بلا داع كما اعتبرها المصريون .

ومهما يكن من أمر ، فان المصريين ما زالوا يعلقون الآمال في أن يثمر حلم السادات الخاص بإقرار السلام ، وتأييدهم المستمر لأعماله . ولقد شعروا حتى الآن بخيبة أمل نتيجة لعدم تحقيق الافتراض بأن الاردن ستقبل المقدمات المنطقية الاساسية لاتفاقيات كامب ديفيد وتنضم لعملية السلام ، على الاقل طبقا لعلان ريجان لعام ١٩٨٢ ، الذي يصفونه بأنه « صياغة رقيقة لتجنب عبارة كامب ديفيد البغيضة » .

ويعتقد معظم المصريين أن الملك حسين رجل شجاع ، وابتهجوا لان الملك الاردني قرر استئناف العلاقات الدبلوماسية مع القاهرة في شهر سبتمبر عام ١٩٨٤ وثمة دلالة تبشر بالآمل في أن تخلق مصر والاردن جماعة مركزية للمصالح العربية ، على استعداد للسعي لتحقيق تقرير المصير للفلسطينيين عن طريق المفاوضات . وعلى الرغم من أن الاردن قد تنصلت من اتفاقيات كامب ديفيد ، فان مبارك (وربما حسين) يدرك أن هذه الاتفاقية هي الاعتراف الاسرائيلي الرسمي الوحيد بالحقوق الفلسطينية . وسوف يقوم المصريون بتشجيع المعامل الاردني على اتخاذ الخطوة التالية نحو السلام ولكنهم يعترفون علنا وفي المجالس الخاصة بأن حسين لا يمكنه التحرك بجرأة كبيرة . إذ أنه لابد أن يحصل على تأكيدات من جانب منظمة التحرير الفلسطينية والعرب المعتدلين بأنه لن يتم التخلي عنه أو التنديد به بسبب جهوده . وقد شرح أحد المتحدثين المصريين هذا الموقف المعتدل بقوله : « ان حسين ليس السادات ، والاردن ليست مصر » .

ويرى المصريون الاكثر تفاؤلا بؤرة الاهتمام العالمي ، بل وحتى بعض العوامل السلبية التي تضافى على الموقف نوعا من المرونة وتتيح فرصا حقيقية للسلام . فان مزيدا من الاستقرار في لبنان ونفوذا قويا للاستبد ربما يعطى للقائد السوري شعورا اكبر بالامن . ويعتقد المتحدثون المصريون في امكانية تحقيق مطالب سوريا في لبنان بدون تعريض الوجود أو السيادة اللبنانية للخطر ، بشرط اجماع القادة العرب الآخرين والرأي العام العالمي على تأييد حماية الحقوق اللبنانية . وايضا هناك ثمة احتمال في أن يفتح

تشنت منظمة التحرير الفلسطينية وانهيار سيطرة سوريا على عرقات ، فرصة لحسين لان يتحدث باسم الفلسطينيين في مباحثات السلام او يتحدث معهم فيها . بل وحتى سياسة الاستيطان التي تفتجها اسرائيل قد زادت من المخاوف في الاردن وشجعت حسين على منع حدوث خروج ثالث لفلسطيني الضفة الشرقية ، ولهذا استقر السكان العرب في الاراضي المحتلة . وتعمل الحرب المستمرة بين ايران والعراق والقلق النسيجم عن ذلك في الدول الاخرى بمنطقة الخليج العربي ازاء احتمال انتشار الصراع ، على توضيح مزايا السلام والاستقرار في المنطقة . وتدعم المناقشة العامة التي تدور في اسرائيل حول الاحداث الاخيرة في لبنان والاراضي المحتلة ، وكذلك عسدم الاكتفاء بالواضح لاقرار السلام مع دولة عربية واحدة ، القوى التي تنادى باقرار السلام والاعتدال . ومن المؤكد أن يعزز الترحيب بمسودة مصر الى الحضيرة العربية من نفوذ مبارك . وثمة احتمال في أن تتشكل حكومة واشنطن متحررة من ضغوط عام الانتخابات ، وتكون أكثر جرأة في جهودها . ويرى بعض العرب المعتدلين توافقاً بين حكومة ريجان في فترة رئاسته الثانية والفترة الثانية من رئاسة دوايت أيزنهاور ، عندما تم ارقام اسرائيل على الانسحاب من سيناء في مارس عام ١٩٥٧ . وهم يطلقون آمالهم على رؤية جهود مماثلة من جانب واشنطن مما قد يشجع اسرائيل على الانسحاب من الاراضي المحتلة الأخرى .

وقد راقب المصريون حركة السلام في اسرائيل ، وقد ادهشهم بل واغبطهم ان يجدوا الاسرائيليين متحمسين حتى أكثر من العرب في تأييدهم للحقوق الفلسطينية . ولاحظوا باهتمام بالغ أن ٤٠٠ ألف اسرائيلي خرجوا الى الشوارع احتجاجاً على قتل الفلسطينيين في اثنين من معسكرات اللاجئين خلال غزو لبنان في عام ١٩٨٢ . ويعلق القادة المصريون آمالهم على أن يشتركهم الاسرائيليون الذين يؤيدون اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام ، في ادراك أن السلام بين الدولتين المتورطتين في الصراع على القوى في الشرق الاوسط لم يعد في حاجة للعبة تكون حصيلتها « صفراً » ، حيث لا يستطيع فيها أي من الطرفين أن يفوز الا على حساب الطرف الآخر . ومن الممكن بالنسبة لكل من اسرائيل وجيرانها أن يستفيدوا في الوقت نفسه . ويعترف القادة المصريون بالشلل السياسي الذي اصاب حكومة الائتلاف الاسرائيلية ، الامر الذي جعل القاهرة تواصل انتظارها لمبادرة تتخذها واشنطن لبدء أية مفاوضات .

ويؤكد المصريون على أهمية استعداد العرب لقبول مبدأ التعايش مع اسرائيل . ويؤكدون أن ثمة دليلاً كافياً على أنهم يستطيعون أن يعيشوا في سلام مع اسرائيل بمجرد توقيع اتفاقية سلام رسمية . ويستشهدون باتفاقيات الانسحاب لعامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ التي تضم اسرائيل وسوريا

ومصر ، ومعاهدة السلام المصرية — الإسرائيلية لعام ١٩٧٩ — وكلهما حظيت بالتأييد على الرغم من وفاة السادات ، و « ضم » مرتفعات الجولان وغزو لبنان .

وقد حاولت مصر حث الدول العربية الأخرى ومنظمة التحرير الفلسطينية على الانضمام إلى عملية السلام ، وذلك عن طريق الجهود الدبلوماسية المستمرة والهادئة . وعلى الرغم من عدم حضور اجتماعات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في فاس في سبتمبر عام ١٩٨٢ ، فقد أيدت المشروع العربي الذي انبثق من هذه الاجتماعات ، والذي ألح إلى موافقة كافة دول المنطقة عليه . والمصريون مقتنعون بأن غالبية الدول العربية متفقة على حتمية اقرار السلام مع إسرائيل . ومعظم العرب يطالبون بالحصول على اجابة على سؤالهم « ما هي حدود إسرائيل » ؟ قبل امكن البدء في أية مناقشة ، ولكن البعض على استعداد اكبر لاجاد أو صياغة الاجابة خلال التفاوض .

ويتوقع المصريون من الولايات المتحدة محاولة اقناع الحكومة الإسرائيلية ولكنهم اصابوا بثبوت الهمة ، شأنهم في ذلك شأن العرب الآخرين ، نتيجة لتقلب والتناقض السائد في واشنطن . ولقد اصابوا بالدهشة والغضب نتيجة لاعلان ريجان بعد مؤتمر القمة العربي الذي عقد في فاس ، والذي تضمن نفاذ المبرر أو تنفيذ التسويات العربية ، بينما كان رد الفعل الأمريكي ازاء رفض بيجين الكامل والمباشر ، معتدلا نسبيا . لقد افسدت المعاملة غير العادلة ، من العلاقات الأمريكية — المصرية ومكانة مصر بصفتها دولة معتدلة بين العرب . ويدعو المتحدثون في القاهرة إلى اتخاذ الخطوات التالية لاستئناف عملية السلام الشامل :

— تغيير حقيقى لوقف الاطراف المعنية ، بما في ذلك استعداد الفلسطينيين والاردن للانضمام إلى مباحثات السلام مع إسرائيل واستعداد القادة الاسرائيليين لوقف النشاط الاستيطاني خلال المباحثات .

— التعهد بعدم القيام بأية أعمال عنف خلال المفاوضات .

— اظهار حسن النية من خلال سحب إسرائيل لقواتها من لبنان .

— ادماج مفاهيم العناصر المشتركة في كل من قرار الأمم المتحدة رقم

٢٤٢ ، واتفاقيات كامب ديفيد ، واعلان ريجان ، وقرارات مؤتمر فاس مع افتراض فترة انتقالية قبل تحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة .

— وضع عملية التفاوض في أيدي المعتدلين .

— استخدام « عبارات غامضة ببناءة » لحل ، بصفة مؤقتة ، تلك القضايا الحساسة للغاية مثل القدس التي تتطلب درجة من الثقة والاتصال اكبر مما هو قائم حاليا .

— تشجيع فلسطيني الضفة الغربية وغزة على التفاوض بطريقة مباشرة
أما من طريق إصدار بيان من جانب عرفات ، أو العمدة ، أو القادة الموثوق بهم
الآخرين في الأراضي المحتلة ، أو من جانب البرلمان الأردني الجديد .

— اشتراك كامل وجدي للولايات المتحدة كوسيط (وليس كمدافع) فيما
يتعلق بالقضايا الهامة الخاصة بحقوق الفلسطينيين وانسحاب القوات الاسرائيلية
من الأراضي المحتلة الأخرى .

ويتعين في بعض الأحيان على المصريين والاردنيين والفلسطينيين أن يتحركوا
معا في التعامل مع الاسرائيليين ويتعين اشتراك السوريين حتى يمكن التوصل
الى تسوية نهائية . ويدرك المصريون تماما أنه لكي يتم كل هذا ، يتعين عليهم
أن يلعبوا دورا متكاملًا ، ولكنهم يفضلون البقاء في الخلفية لفترة من الوقت حتى
يمكن التأكد من نوايا كل من الولايات المتحدة واسرائيل والاردن .

وبدون أن تقدم أية تنازلات ملزمة ، استعادت مصر عضويتها في المؤتمر
الاسلامي ، وهي تتحرك بهدوء وبفاعلية لاقامة علاقات حقيقية مع الدول العربية
كل على حدة . وتوجد اقلية صغيرة في مصر ، تعتقد أنه يمكنها بل وينبغي عليها
أن تظل بمنأى عن الاضطراب والدسائس السائدة في الدول العربية الأخرى ،
ولكن الأغلبية لا توافق على ذلك .

وكان أول تحرك هام يعبر عن الموقف المتغير لمصر تمثل في ذلك الاجتماع
الذي عقد بين عرفات ومبارك في ديسمبر عام ١٩٨٣ ، أي بعد الرحيل الاجباري
الثاني للفلسطينيين من لبنان بفترة وجيزة . لقد كان عرفات اثناء تشاوره مع
الرئيس المصري ، يحاول انتقاد سمعته بين العرب بصفته القائد الذي لا منازع
عليه للقضية الفلسطينية . وفي الواقع ، انتهك عرفات التوصيات التي اتخذها
مؤتمر قمة بغداد في عام ١٩٧٨ ، وقرار المجلس الوطني الفلسطيني الصادر
في عام ١٩٨٣ الذي ينص على حظر أي اتصال مع مصر حتى تلغى اتفاقيات كامب
ديفيد ومعاهدة السلام الاسرائيلية . لقد أظهر عرفات الذي وجهت اليه ضربات
عنيفة . استقلاله ، الأمر الذي ساعد على اناقة الفرصة لمبارك للدعوة الى
استئناف الحوار بين الاردن — ومنظمة التحرير الفلسطينية ، بأمل
تجديد مباحثات السلام .

ويعتقد القادة المصريون الآن أن معظم المراد القيادة في منظمة التحرير
الفلسطينية ، معتدلون نسبيا ، ويفضلون حماية عرفات وتأييده في نزوحه المتردد
الى انضمام ممثلي الاردنيين والفلسطينيين ، لمباحثات السلام . وعندما قام
الرئيس مبارك والملك حسين بزيارة الرئيس ريجان في فبراير عام ١٩٨٤ ،
أكد الرئيس المصري تأكيدا علنيا تأييده لعرفات . وفي نوفمبر عام ١٩٨٤ ،
اغتنب المصريون لرؤية الملك حسين يرحب بعقد المجلس الوطني الفلسطيني
في عمان .

وثمة قاعدة منطقية أساسية دائمة بالنسبة للسادات وللرئيس مبارك ،
وتتلخص في أن معاهدة السلام ليست سوى جزء واحد من اتفاقية كامب ديفيد
الشاملة ، وأن مصر سوف تحترم التسوية الشاملة طالما أن إسرائيل تفعل ذلك .
والأمل ينحصر في ألا يقوم الاسرائيليون لا بالطرق العملية ولا بالأساليب
القانونية بإلغاء الاتفاقيات الخاصة بالحقوق الفلسطينية ، والتراجع في سحب
قواتهم العسكرية من الضفة الغربية وقطاع غزة والبندود المحددة الواردة في
قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . ان مثل هذا الاجراء النهائى ، الذى كثيرا
ماهدد القادة الاسرائيليون باتخاذهم سوف يقضى على حلم السادات الخاص باقرار
السلام واعادة كافة شئون الشرق الاوسط الى نقطة البداية - أى إسرائيل
معزولة يحيط بها أعداء حرب موحدون ولا يعرفون الصفح وينتظرون في صبر
بينما يعدون العدة لاغتنام فرصة أخرى لتوجيه ضربة قاضية .

« العربية السعودية »

لقد أتيت لي فرصتي الأولى للعودة الى الرياض كمواطن عسادي ، في أوائل ربيع ١٩٨٣ ، وكان علينا أن ننتظر لبضع دقائق في قاعة الانتظار الخاصة بالمطار حتى ينتهى المسئولون السعوديون من فحصهم الروتينى للوثائق الخاصة بمجموعتنا . وقد استمتعت أنا وروزالين بالقهوة العربية ، التى يتم صبها ببراعة من فم الاتاء المنحنى ذى النقوش المزخرفة في كوب صغير للغاية . وقد عجبنا لقدرة النادل على تجنب اسقاط بضع نقاط من المسائل القائم الكثيف على البساط الجميل ، وما قد يلحق به اذا أفسد هذا العمل الفنى المصنوع من النسيج . وحينما أصبحنا متأهبين للتوجه الى قصر الضيافة ، تمنا برج أكوابنا الفارغة من جنب الى آخر اشارة الى عدم رغبتنا في اعادة ملئها مرة أخرى . ولم يعجب الشراب المخمر القوى شخص أو اثنين بمجموعتنا وتركوا بعضا منه في الاكواب لدى اعادتها الى الصينية . وفي كل مرة ، كان النادل يلقي بالقهوة مصادفة على البساط ، ثم يكدس الاطباق ويغادر المكان . وقد فسر دبلوماسى رسمى ، في وقت لاحق ، ذلك بأن البساط المستعمل يعتبر أكثر قيمة من البساط الجديد ، وان ذلك يعد دليلا على حسن ضيافة المضيف وبيان أن ضيوف الشرف هم محل الاعتبار الاول وأن الأطباق ، والاثاث ، وسائر أدوات الضيافة تحظى بأهمية أقل نسبيا . ان العربية السعودية تعد بلدا غريبا ، بالنسبة للغربيين ، اذ أن عزلتها الجغرافية عملت على حمايتها لفترة طويلة من كل من الهيمنة الاستعمارية وعبء التقاليد والعادات الاوربية الثقيل . وعلى أية حال ، فمع ظهور ثروات السعوديين النفطية والنفوذ المتزايد فى الشؤون الاقليمية والدولية ، أصبحت آراء وقرارات زعمائهم أمرا هاما فى تحديد مستقبل الشرق الاوسط . وأنا أعرف أنهم يتمتعون باستقرار نسبى فى بلدهم ، بيد أنهم يشاركون فى القلق العام بشأن التهديدات المحتملة من الاحداث الجديدة والتى لا يمكن السيطرة عليها فى أفغانستان ، واليمن ، ولبنان ، وايران .

وقد كنت أود زيارة الملك فهد أثناء وجودى فى العربية السعودية ، وخاب رجائى حينما علمت أنه كان يلتقى بزعماء القبائل فى الصحراء ولا يتوقع عودته الى المدينة لبعض الوقت . وبدلا من ذلك ، تم اعداد جدول أعمال كامل لاجراء مشاورات لى والامير عبدالله ولى العهد ، ووزير الدفاع الامير سلطان ، ووزير الخارجية الامير سعود الفيصل ، وزعماء آخرون بالحكومة السعودية ، معظمهم أعضاء بالعائلة الملكية . وقد حدث بعد ذلك أن أبلغت ، فى وقت متأخر من المساء بعد وصولنا ، بأن الملك فهد يود

انضممنا اليه في اليوم التالي في معسكره في الصحراء ، الذي يبعد حوالي ٢٠٠ كيلو متر عن شمال العاصمة .

وفي الصباح استيقظنا على صسوت انهمار الامطار الغزيرة بشكل مروع . وكان ذلك من شأنه أن يجعل تطبيق الطائرة العمودية أمرا مستحيلا ، ومع استمرار انهمار الامطار ، أصبح المرور في الشوارع والطرق المؤدية الى المطار أمرا غير ممكن كلية . وقد بلغت الامطار الساقطة على الرياض خمس بوصات وهو امر لا يصدق . وكان نظام الصرف بها متخلفا تماما ، ولذا فلم يكن ثمة مكان لتصريف المياه ، فامتألت الاماكن الأكثر انخفاضا بالمياه الغزيرة ، وكان الكثير من هذه الاماكن في الشوارع ذاتها . وكانت المضخات المحمولة تعمل بشكل ثابت على ملء عشرات من الخزانات الكبيرة المحمولة على شاحنات، حيث كانت تسحب المياه من المدينة وتلقى بها في الصحراء . وأشرقت الشمس في منتصف الصباح ، وبعد بضع ساعات كان بالامكان المرور في بعض الشوارع مرة أخرى . وتم نقلنا بالسيارة الى اقرب موقع لهبوط الطائرة العمودية وواصلنا طريقنا على الفور .

وقد حلقنا ميلا بعد آخر على ارتفاع منخفض فوق الكثبان الرملية والوديان الجافة بطبيعتها ، وكان بعضها القريب من المدينة لا يزال مهتلئا لدرجة الفيضان . وكانت هناك عدة مزارع مروية ، وقد دهشنا لوفرة الازهار البرية في اماكن كثيرة . وكان يوجد بين التلال المنخفضة والكثبان الرملية أعداد من الخيـسام السوداء المصنوعة من شعر الماعز ، التي تاوى الأسر البدوية الذين يتبعون مع قطعانهم رقع الحشائش سريعة الزوال . وبينما كنا ندور محلقين فوق واحدة أو اثنتين من تلك المستعمرات المؤقتة ، لاحظنا وجود جياد وعدة جمال في كل معسكر ، تستعمل في وسائل النقل المعتادة ، كما كانت توجد في أكثر الاحيان سيارات اللاندروفر المتربة الغالية الثمن تقف على مقربة منها . وقال الطيارون ان تلك السيارات تستخدم للرحلات الطويلة المتكررة الى المدينة البعيدة .

وهبطنا في النهاية في منطقة أكثر ارتفاعا لاستكشاف الهضاب التي يرمسح بحدة الى الف قدم أو أكثر عن سطح الصحراء المحيطة بها . وبعد نصف ساعة أخرى رأينا المخيم أمامنا من بعيد وهو عبارة عن مدينة صحراوية مميزة من الخيام ناصعة البياض المرتبة في شكل دوائر كبيرة . ولم يبد أن هناك طريقا دائما من أي نوع يؤدي الى الموقع ، وانما فقط آثار العربات التي أتت بالسكان المؤقتين الى اجتماعهم مع الملك . ولم أستطع أو اتبين السبب وراء اختيار هذا المكان بالتحديد ، بيد ان الطيار قال ان هذا المكان يكون جميلا على وجه الخصوص في أعقاب انهمار الامطار غير المتكرر في الصحراء . وفيما كنا نحلق مقتربين ، لاحظنا أن خلف كل خيمة من الخيام الرئيسية مباشرة منزل متحرك متطور يجثم فوق هيكل شاحنة مرسيدس كبيرة ، وهو بمثابة اضافات عصرية لدور الخيام

التقليدية الخاصة بشيوخ القبائل السعودية . وكان يوجد على اطراف المعسكر مباشرة مجموعة من مولدات الديزل الكهربائية التي يمكن حملها وعدد كبير من الهوائيات المتطورة البيضاء الشكل لتزويد مئات المنازل الصحراوية بالطاقة واتاحة الاتصالات الدولية لحاكم الدولة ، وتوفير متعة مشاهدة التلفزيون لأولئك الموجودين في المعسكر .

وكل وسائل الراحة العصرية تلك كانت أمرا مفروغا منه ، وكذلك هذا التقليد القديم المتمثل في دخول جلالته الصحراء النائية للالتقاء بشيوخ القبائل من شتى أرجاء المملكة . وهم لم يحضروا لتقديم الثناء وتجديد تعدهم بالولاء ، وإنما أيضا للتباحث مع زعماءهم في السياسة الداخلية والدولية ، وعرض أحوال شئونهم العشائرية ، وطلب السلع والخدمات لعشائريهم .

وبعد أن تناولنا وجبات طعام خفيفة في أحد المنازل المتنقلة ، طلب مني الانضمام الى الملك بينما انطلقت روزالين لزيارة النساء السعوديات ، اللاتي لم أر أيا منهن على الإطلاق أثناء هذه الرحلة أو غيرها من الرحلات الى هذه البلاد . وقد كن في معسكر مختلف تماما ، فوق الكثبان الرملية ويمتأى عن الانظار .

وكنيت قد عرفت فهد بن عبد العزيز آل سعود لسنوات عديدة وتشاورا معه عندما كنت رئيسا للجمهورية في كل من واشنطن والعربية السعودية . ثم أصبح أقوى ولي عهد . كان مسئولا عن القيام بمهام دولية عديدة خصه بها أخوه غير الشقيق الملك خالد . وكان كل من الرجلين من أعضاء أسرة مسعود الملكية ، التي حكمت أجزاء من شبه الجزيرة العربية لما يقرب من قرنين ونصف القرن . وكانت السعودية تشكل طرقا برية رئيسية تربط بين الهند والغرب ، منذ فترات بعيدة قبل إبحار السفن حول قارة أفريقية . وكان حكامها العديدون يتمتعون بالفن والقوة . وبرغم ندرة السجلات التاريخية ، فلا يخفى علينا قصة ملكة سبأ ، التي أتت من العربية السعودية لزيارة الملك سليمان ملك إسرائيل الأكثر قوة في حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . وقد ترتب على ذلك أن اتبع بعض العرب الديانة اليهودية ، وقد تأسست مملكة يهودية في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة ، وتحول كثير من الناس في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد الى المسيحية . وتاريخ الاقليم تشوبه الفوضى بسبب الصراعات السياسية والدينية الكثيرة التي أسفرت عن تغييرات مستمرة في القيادة وفي أشكال الانحياز بين القبائل .

ثم ظهر النبي محمد ، الذي فكر في توحيد القبائل العربية داخل دولة الاسلام وعمل الخلفاء الذين خلفوه بعد مماته في عام ٦٣٢ بعد الميلاد على مد حكم الاسلام الى دمشق في عام ٦٣٥ ، والى القدس في عام ٦٣٨ ، والى الاسكندرية في عام ٦٤٢ ، وبلاد فارس في عام ٦٤٣ . وامتدت العقيدة ، بعد ذلك صوب الغرب الى اسبانيا والشرق حتى الهند . وفي خضم هذا التوسع ، أصبحت دمشق ، وبغداد

بعد ذلك ومدن أخرى المراكز المسيطرة وتقلصت العربية السعودية وتحولت الى مجرد مقاطعة ، وكانت أهميتها التي ظلت محتفظة بها تتمثل في أن بها المدينتان المقدستان للإسلام ، مكة والمدينة . وطوال عدة قرون بعد ذلك ، كان يعاد تنظيم شبه الجزيرة العربية داخل الامارات العشائرية سريعة التغير .

وقد نجح عبد العزيز آل سعود ، والد خالد وفهد ، خلال السنوات الاولى من القرن العشرين ، في توحيد مختلف أقاليم شبه الجزيرة معا تحت سلطانه ، وفي عام ١٩٣٢ قام بدمجها معا في شكل المملكة العربية السعودية . وقد أصبح بإمكان الملك ، من خلال مزيج مناسب من القوة والتفاهم ، والبعث الديني والاصلاح الزراعي ، بالإضافة الى عدد كبير من الزيجات المخططة بعناية ، التغلب على اشكال الغيرة القبلية والصراعات ونجح في أن يظهر بوصفه الزعيم المعترف به لمنطقه جغرافية مترامية الاطراف . وأدار شئون الحكم بكفاءة عظيمة حتى مماته في عام ١٩٥٣ ، وخلفه بعد ذلك ابنؤه سعود ، ثم فيصل ، وخالد ، وفهد في الوقت الراهن .

لقد بدأ الانتاج التجارى للنفط في العربية السعودية عام ١٩٣٨ ، ثم جلب بعد ذلك ثروة هائلة يكاد لا يمكن تصديقها الى جميع أولئك الورثة ورعاياهم . وقد تبوأَت العربية السعودية ، مع أولئك الاغنياء مكان الصدارة في القيسادة السياسية والاقتصادية ابان السبعينات ، مما فرض ضغطا كبيرا على العائلة الملكية . ومع ذلك ، فقد حافظوا على الاستقرار السياسى داخل المملكة وعملوا على تعزيز دور قيادتهم بدرجة كبيرة بين سائر العرب من خلال حل خلافاتهم الداخلية بالتشاور السرى وداخل حجرات مغلقة ، وبتوزيع جزء من دخلهم البترولى ، والاستفادة من تفوقهم بوصفهم حراس للاماكن الاسلامية المقدسة . واستطاع الحكام السعوديين الحفاظ على توازن مقبول بين التحول الى مميزات الدولة الحديثة المادية والابقاء في الوقت نفسه على درجة مناسبة من الالتزام الدينى . كما عوضوا أيضا سلطتهم المطلقة بتقارب ملحوظ الى رعاياهم .

وقد أخبرنى الملك خالد أثناء زيارتى الأولى للعربية السعودية أنه يفتح أبوابه كل يوم لعشرات المواطنين الذين يريدون رؤيته ، ويقدم لزواره الطعام والشراب . كما يسمح لنساء العائلة الملكية بعرض مشكلاتهم وطلباتهم عليه ، فى احدى الامسيات من كل اسبوع . وهو كثيرا ما يجوب صحراء المملكة بصحبة قافلة من الجرارات المقطورة التى تحمل مستشفى متنقل متكامل ويرحب شخصيا بمن يحتاجون العلاج الطبى . وحينما أبديت دهشتى بشأن الوقت الطويل الذى ينفق لهذه الاعمال الادارية الروتينية ، رد قائلا ان المملكة ما كان لها أن تبقى اذا ما تولى زعماءها عن هذا الالتزام الخاص بالخدمات الشخصية لانائها .

وأثناء زيارتي الأولى برفقة أعضاء العائلة الملكية ، أفتابني احساس بالدهشة في البداية والتشكك الى حد ما ، الا انني اقتنعت بعد ذلك بالأهمية العظيمة للمعتقدات الدينية التي تصبغ تصريحاتهم العامة والخاصة وتحدد شكل تصرفاتهم ومواقفهم التفاوضية .

ويمكن للعائلة الملكية ، برغم سلطانها ونفوذها ، ان — تتمتع بهرونة اصدار القرارات العملية ، بيد انه من المفيد ادراك ان عقيدتهم الاسلامية هي الى حد بعيد أساس القوانين التي تحكم بلادهم ، ومنها تستمد شرعية وسلطة العائلة الملكية وحكمها ، وأساس الدور القيادي الذي يقسم به السعوديون في العالم الاسلامي .

وفي أواخر مايو ١٩٧٧ ، حينما قام ولي العهد الامير خالد بأول زيارة رسمية له للبيت الابيض ، أعدنا عشاء عمل لضيوفنا ، وكبار المسؤولين بالادارة ، وللأعضاء البارزين بالكونجرس . وقد سأل احد الأمريكيين ، وهو رئيس مجلس النواب توماس (تيب) أونيل . السعوديين كيف استطاعوا تحقيق مثل هذا النمو الاقتصادي السريع في بلادهم بلا ظهور واضح لقوى ثورية ، كما يلاحظ في سائر الامم المتدنية المحافظة التي تشهد تغيرا سريعا .

رد ولي العهد بأفضل تفسير يوضح مدى التأثير الراسخ للعقيدة الدينية في أبناء أمته . فقال ان السعوديين لم يكن لديهم منذ امد بعيد ضروريات الحياة التي كان ينعم بها مواطنو العالم الغربي ، الا انه مع ظهور ثروتهم النفطية أصبحوا الآن قادرين على تحسين احوالهم المعيشية ، وتعليم ابنائهم واعداد مزيد من العمالة الدائمة من أجل المستقبل البعيد حينما تخفق احتياطات النفط المستنفدة في توفير احتياجاتهم الاساسية . كما أن تعاليم القرآن تحثهم على العيش المتواضع وكيفية التكيف مع دورة الرخاء والحرمان المادي دون أن يخضع أسلوب حياتهم الاساسي لتأثيرات خارجية . وقال أن الواجب الاعظم للعائلة الملكية هو التكيف مع ضغوط التحديث والحيولة دون انتهاك الحضارة الغربية لتعاليم الاسلام . وقد تضرع أن يكون لمعتقداتهم الدينية على الدوام المقام الاول ، اذا ما نشب صراع لا يقبل المصالحة يوما ما . وأردف قائلا أن زعماء العربية السعودية بشر وعرضة للخطأ مثل الآخرين ولكنهم يعرفون انه طالما أن الناس مقتنعون باستقامتهم الدينية ، فان العائلة الملكية ستظل محتفظة بولاء رعيته . وقد تأثرنا جميعا تأثرا عميقا بكلماته المترددة نوعا ما ولكنها بليغة .

وقد لاحظت منذ الحين أن السعوديين في تصريحاتهم العلنية الخاصة بشرح فلسفتهم ، ومبادئهم السياسية . والاوليات ومواقفهم من القضايا الدولية الراهنة ، نادرا ما يفوتون فرصة التأكيد على مركزية مسئوليتهم

الخاصة في حماية الاماكن الاسلامية المقدسة واعداد القيادة والدعم المالى والوحدة في العالم الاسلامى .

والآن ، ونحن في الصحراء ، تقدمت الى الخيمة المركزية ، فاستقبلنى الملك وابن أخيه ، وزير الخارجية الامير سعود الفيصل ، مرحبين ، وكانت ارضية الخيمة مغطاة بأبسطة شرقية ، وكانت هناك بعض الوسائد الاسطوانية التى يستند عليها عند الجلوس . ومع ذلك فقد طلب منى التوجه الى منزل متنقل مريب مكيف ومريح لاجراء مناقشاتنا . وقد كان من المقرر أن نلتقى ساعة او نحو ذلك ثم تنضم وبقية المجموعة المرافقة لى الى شيوخ القبائل لتناول وجبة المساء ، ولكننى والملك خالد ختمنا حديثنا واسع النطاق بعد أكثر من خمس ساعات . وقد بدا الحديث بالشكوى من ضيقه الشخصى بسبب ضرورة الحد من استهلاكه من المشاي المحلى بالسكر . اذ أنه كان يستمتع من قبل باحتساء اربعين أو خمسين كوبا يوميا أثناء مشاوراته المستمرة تقريبا مع زائريه . وكان هذا يشكل العنصر الرئيسى فى نظام غذائى صارم فرضه عليه أطباؤه لتقليل وزنه ومداوانته من العلل الجسدية الاخرى التى وصفها بأنها بسيطة وغير هامة نسبيا .

كان الملك أكثر تواقا لوصف شئون دولته الداخلية : كنواحي التقدم فى العمالة ، والتعليم ، والاسكان ، وحقوق المرأة والزراعة ، والنقل ، والدفاع والعلاقات السياسية المتمركزة حول العائلة الملكية . وقد لخص بالتفصيل برامج تنمية الخدمات والمهارات البشرية المتضمنة فى سلسلة من « الخطط الخمسية » المتتابعة . ثم أكد ، كما اعتاد السعوديون أن يفعلوا على نحو متكرر كثيرا منذ الثورة الإيرانية ، على أن ذلك بهدف « تحديث » وليس « تفريب » مجتمعهم .

وقد بدا على سجيته بدرجة أكبر حينما حول دفة الحديث الى دور الدين فى حياة شعبه ، وهو الموضوع نفسه الذى ناقشناه فى البيت الابيض . واعترف بأن مبادئ القرآن الاخلاقية السامية لا تلتقى تماما فى مناسبات كثيرة مع مجريات شئونهم الدينية او الدنيوية ، بيد أنه أكد على ان هذه المبادئ توجه علاقاته الشخصية مع زعماء القبائل ومع اقل رعاياه مرتبة . وقال ان العقيدة الاسلامية تعمل ، علاوة على ذلك ، على توفير الاساس المشترك الذى تحاول جميع الدول العربية من خلاله العمل على تسوية خلافاتهم وان تتفق معا حتى على أصعب القضايا وأكثرها مدعاة للشقاق .

وقد أبدى فهد أسفه لصورة العرب العامة السلبية فى الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى وما ترتب على ذلك من افكار خاطئة عن بلاده وشعبه : حيث يعتقد أن قوة العربية السعودية ونفوذها ايما يعتمدان فقط على الثروة وأن حقول النفط هى ائمن ما تملكه ، وأن حكومة العائلة الملكية غير مستقرة أو

تفتقر الى تأييد رعاياها ، وان عربا آخرين اقل حظا والفلسطينيون على وجه الخصوص يمكن أن يذهبوا في طي النسيان ، وان التطورات الاقتصادية الخاطفة أو القضايا السياسية قد تطفئ على الالتزامات والمبادئ التي تحكم منذ أمد بعيد الحكام في عائلتهم . وأكد من جديد أن شعبه قد عاش لأجيال بلا نفط وأنه هو وقيادات أخرى يعدون العدة بشكل روتيني لمواجهة المستقبل عندما تستنفد احتياطياتهم تماما .

وقد أثنى على وجه الخصوص على موافقتي بيع طائرات اف-١٥ العربية السعودية في ١٩٧٨ وتزويده بطائرات الاواكس بأطقم أمريكية للإنذار المبكر من هجمات جوية محتملة ضد بلاده عبر الخليج الفارسي . ولم يستطع فهد أن يفهم كيف يمكن للولايات المتحدة أو أي من حلفائنا الأوربيين الاعتراض على قوة دفاعية عسكرية سعودية مناسبة ، مطلوبة لحماية حدود بلاده الممتدة وغير الحصينة نسبيا . وأكد على أن توجه السعودية الثابت يتعارض مع الحساد العالم الشيوعي وأن ثمة رغبة طبيعية توجد بين مئات الملايين من المسلمين على سطح الأرض لأن يكونوا علاقات صداقة ويعملوا في تناسق مع الديمقراطيات الغربية .

وقد عمل كل من الملك ووزير الخارجية على وجه الخصوص على أن اتبين أن حماية المدن الاسلامية المقدسة هي أكبر مسؤولياتهم العسكرية ، وقد دفعنا الى فحص خريطة أشتارا فيها الى المواقع الدينية والمسافات الطويلة التي تضمها بلادهم الواسعة نسبيا . إذ أنه بالاشتراك في حدود الخليج الفارسي الحيوية حيث تدور رحى الحرب العراقية الايرانية على أعقابهم ، ووجود قوى شيوعية في بلدان مجاورة ، ولا يفصلها عن اسرائيل غير مسافة قصيرة لا تتجاوز بضعة أميال فقط ، فإن العربية السعودية تعتبر نفسها محاطة بجيران غير جديرين بالثقة ومن المحتمل أن يكونوا لها العداء .

ان التزام السعوديين تجاه الاخوة العرب ، وخاصة تجاه الفلسطينيين الذين تعرضوا للتضحيات بصورة قاسية ، يعد أحد العناصر الأساسية في تعزيز معتقداتهم الدينية وفي مساهمتهم في ضمان السلام والاستقرار في المنطقة وفي عام ١٩٧٧ ، حينما كنت أقوم باستكشاف كل درجة ممكنة من درجات المرونة مع زعماء الشرق الأوسط لاجراء مفاوضات ، كان السعوديون منفردين تقريبا في اصرارهم في كل مرة على أن الفلسطينيين لهم الحق في دولة مستقلة . وأوضح الملك فهد أن نظام تحويل النقد ، الذي يسمح للعمال الوافدين من دول فقيرة بإرسال أجورهم التي يتحصلون عليها من العمل في الدول الغنية الى وطنهم يوضح تماما الاعتماد المتبادل اقتصاديا بين الدول العربية ، وأكد على أن الثقافة المشتركة والدين المشترك واللغة المشتركة والفرص التجارية قائمة بين شعوب العالم العربي .

وعلى أية حال ، فئة أيضا قوى مركزية طاردة كثيرة تعمل على فرض عزلة على الشعوب العربية . ويعرب الزعماء السعوديون على الدوام عن ثقتهم التامة في أنهم يستطيعون أنفسهم الاحتفاظ بثروتهم ، واستقرارهم ، ووضعهم كحماة للأماكن المقدسة ، بيد أنهم مدفوعون قسرا للفضال مع فلول مؤمنة في دول أخرى في خضم انقسامات دينية ثورية ، وغالبا ما يكون ذلك من أكثر الصراعات أراقة للدماء . وقد بحث الملك فهد الثورة الإيرانية ، واحتلال مئات من المتطرفين الدينيين لأقدس المساجد في مكة في ١٩٧٩ ، - وعمليات النسف الأخيرة في الكويت ، بوصفها تهديدات خطيرة على الاستقرار ما لم يكن هناك تخفيف للتوهج الثوري المضلل . ويرى أن الأردن يشعر باطراد بتهديد لكانه الذاتي أو حتى لوجوده بسبب تفاقم الأزمة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، وإن الرغبة في إحلال سلام وحل هذه القضية يهدد التزام الملك حسين تجاه قاعدة الإجماع العربي ، وهي القاعدة الأساسية للدبلوماسية السعودية ، وبسبب تلك التحديات تجاه الانسجام والاستقرار كان الدبلوماسيون السعوديون واضحين مثل غيرهم في محاولاتهم للإبقاء على استقلال لبنان وتخفيف حدة التوتر بين بيروت ودمشق . وقد عانوا في هذه العملية ، مثل الآخرين ممن تحدوا هذا المستنقع السياسي، من نتائج الانتقام الإرهابي من خلال اغتيال بعض دبلوماسيهم . وعلى أية حال ، فإنهم يعتبرون ، طبقا لكلمات الأمير بندر بن سلطان ، السفير السعودي لدى الولايات المتحدة وأحد المفاوضين الرئيسيين في لبنان ، أن أحراز نجاح في هذا الجهد ليس أكثر من مجرد ضمادة في الاسعافات الأولية ما لم يتم التوصل إلى حل شامل للصراع العربي - الإسرائيلي .

وفي إيران تحدى آية الله خوميني كاتمة الجهود الرامية إلى حل مشكلة الحرب الطويلة والمكلفة للغاية بين بلاده والعراق ، بيد أن التهديد الأكبر المحتمل للاستقرار الإقليمي لا يكمن في احتمال مهاجمة إيران لدول الخليج الفارسي الأخرى وإنما في تصديرها لحماس الشيعة الديني والثورة السياسية إلى نظم حكم إسلامية وأكثر محافظة . ويمكن أن يكون ذلك بمثابة تحدى مباشر لحكومة الرياض ، التي ترأسها العائلة الملكية السنية المسلمة .

وبرغم أن سوريا تدعم إيران الفارسية في حربها ضد العراق العربية ، فإنه لما يدعو إلى الدهشة وجود اتجاه ودي نسبيا بين الزعماء السعوديين تجاه الأسد . إذ أنهم أوضحوا لي أنه تجري مشاورات مستمرة على مستوى عال بين الرياض ودمشق وأن ثمة تفاهما واضحا بشأن العلاقة بين البلدين حتى بما في ذلك تورط سوريا في حرب الخليج الفارسي .

والسعوديون يعترفون بذلك الانقسامات والحروب الخطيرة بين أشقائهم، بيد أنهم في ردهم على الانتقاد الغربي ، كثيرا ما يشيرون إلى النزاعات التي تتردى ما بين حروب أهلية حروب عالمية بين المسيحيين . ويؤكدون ، من خلال

الاعتراف بصعوبة التوصل الى اتفاق جماعى بين زعماء العرب على انه يتعين عليهم جميعا ان يكونوا مستعدين لتقديم تنازلات جوهرية ، تترجمهم احيانا في الغرب على انها دليل ضعف ، او مخادعة لان كلا منهم مجبر على تعديل خيار او رأى عبر عنه من قبل . ويصر السعوديون على ان أية محاولة من جانب الولايات المتحدة او آخرين لزيادة تشتت العرب او للحيلولة دون احلال وفاق بينهم انما تتعارض مع افضل المصالح الخاصة لكل من يرغب في احلال السلام والاستقرار .

وليس ثمة ريب في ان السعوديين يودون احلال الاستقرار في المنطقة ويجاهدون باستمرار من أجل تحقيقه ، ومتى يكون هناك غياب أو انحلال مطرد للوحدة العربية الشاملة ، كما كان الحال عبر السنوات العديدة الماضية ، فان السعوديين يكونون أول من يهتم بذلك . وقد بدأ المصريون في التسو ، بعد طردهم من المجالس العربية ، في استعادة جزء من نفوذهم التوحيدى السابق ، ولكن دون التخلي عن تعهدهم تجاه السلام مع اسرائيل أو روابطهم القومية بالغرب . وهذا يعنى أن الليبيين والسوريين واليمنيين الجنوبيين مازالوا يشعرون بالازدراء ، أو على اقل تقدير بعدم الثقة تجاههم . حتى في هذه الحالة الصعبة فان السعوديين يعملون في هدوء على علاج أية تصدعات خطيرة في الصفوف العربية .

ويعد الصراع بين القوتين العظميين أيضا عنصرا مسببا للخلاف بين العرب ، فالسوفيت يرغبون دائما في توسيع نطاق نفوذهم في المنطقة . وها هي سوريا معتمدة على نحو متزايد على السوفيت من أجل الاسلحة والخبرة العسكرية ، ومجاهدو تحرير أفغانستان يناضلون ببسالة للحيلولة دون الهيمنة السوفيتية الكاملة ، وأثيوبيا ترحب فيما يبدو بألاف من «المستشارين» الدائمين الكوبيين والسوفيت ، واليمن الجنوبي يعتبر داخل الحظيرة السوفيتية تماما ، واليمن الشمالى بوقع في اكتوبر ١٩٨٤ معاهدة صداقة وتعاون مع موسكو . وفي الوقت نفسه ، تتمتع الولايات المتحدة في أغلب الاحيان بعلاقات طيبة مع سائر الحكومات العربية ، بيد أن الاجراء العسكرى غير المحتسك في لبنان والاعلان عن « تحالف استراتيجى » أمريكى - اسرائيلى في أواخر عام ١٩٨٣ أسفر عن قلق عميق بين أكثر أصدقاء أمريكا ولاءا من العرب . اذ أنه حينما ظهرت البوادر الأولى لهذا القرار ، وصفه السعوديون بأنه « مدمر للغاية للعلاقات الوطيدة والدائمة بين الولايات المتحدة والعالم العربى » .

وبرغم الوجود السوفيتى في أفغانستان ، والقلق والتهديدات على شعبة جزيرتهم من جانب اليمن الجنوبى ، بل وحتى الحرب بين العراق وإيران ، فان الزعماء السعوديين يعتبرون النزاع العربى - الاسرائيلى أهم العقبات الخطيرة لآى حل دائل للخلافات . وقد أعادوا الى ذاكراتى أن جميع حالات الانذار النووى

خلال الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية قد حدثت بسبب التطورات في الشرق الأوسط ، وهم يعتبرون منطقتهم الى حد بعيد أكثر مكان محتمل لحدوث أية مواجهة عسكرية للقوتين العظميين في المستقبل .

وبالإضافة الى التحديات الأخرى التي تواجه القيادة السعودية ، فـسـان التأثير المجدي الكامن للثروة النفطية العربية يتضاءل . اذ انه حينما كانت تتدفق أموال الأوبك بلا قيود ، كان لدى الدول الرئيسية المنتجة للنفط أموال غير محدودة تقريبا لمساعدة الاشقاء العرب الآخرين ماليا أو التأثير عليهم ليكونوا أكثر تعاوناً فيما يتعلق بالحفاظ على التوافق وتجنب أى نضال قد يعرض للخطر هذا الاقتصاد النامي على نحو مطرد . وقد انتهى الى حد ما زمن التحويل غير المحدود ، مسع قيام الثورة الإيرانية ، وحرب الخليج والانخفاض الحاد في أسعار البترول العربي والطلب عليه .

لقد كان من المسلم به ، في الماضي بشكل عام ان الولايات المتحدة ستقوم بالدور الرئيسي في العمل بين الاطراف المختلفة لدفع مزيد من الخطوات نحو السلام وتسوية الخلاف . وعلى أية حال ، فقد أعرب الزعماء العرب عن تحديهم على نحو متزايد في الشهور الأخيرة لهذا الأمر المسلم به اذ أنهم يعربون عن تشككهم علناً في أن يكون الزعماء الأمريكيون على استعداد لمواجهة النتائج السياسية الداخلية عند محاولة حث اسرائيل على التفاوض ، أو الانسحاب من الاراضي المحتلة ، أو تنفيذ الالتزامات الأساسية الواردة في قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ أو اتفاقيات كامب ديفيد .

ما هو شعور السعوديين تجاه الاسرائيليين ووجودهم ؟ أنهم حذرون تماماً عادة في تعليقاتهم العلنية ، بيد انه مما لا ريب فيه ان الزعماء السعوديين يشاركون اجماع المشاعر العربية تقريبا بالاستياء والعداء تجاه انتهاك اسرائيل للأرض التي كان يحتلها من قبل ويحكمها أشقاءهم المسلمون . وهم يعتبرون الاحتلال الاسرائيلي لاي جزء من فلسطين مماثل لاحتلال الصليبيين ، الذين كانوا قادرين على مواصلة تواجدهم الباهظ التكاليف والدموي والمحفوف بالمخاطر على فترات متقطعة زهاء قرن من الزمان على هذه الحافة الشرقية من البحر المتوسط . وهم يعتبرون ان ذلك قلما حدث في اي وقت على الإطلاق في التاريخ حيث يتعين ضبط الانماط الثابتة لهذا الجزء من العالم الذي نعيش فيه

وقد اشار متحدث سعودي الى اسرائيل بوصفها « كيان مزروع » يعتمد على التنفيس الصناعي الدائم والمفرط من الخارج ، ومع ذلك فهي غير مستعدة أو غير قادرة على أن تصبح جزءاً من المنطقة .

ويدرك السعوديون ، مع ذلك ، ان الرغبة الساحقة في الأردن ومصر وكثير من الفلسطينيين المشردين انما تتمثل في التحرك بسرعة أكبر قليلاً مما حدث

في مثال الصليبيين الذي استغرق مائة عام ، وقد اعرىوا عن تأييدهم لحسل النزاع المستمر باستمرار من خلال المفاوضات السلمية ، شريطة ألا تعرض النتائج المحتملة للخطر الحقوق الأساسية للفلسطينيين كما عبرت عنها قرارات الأمم المتحدة المختلفة .

وقد كان الملك فهد فخورا باعلان فاس ، الذي انبثق عن « بيان فهد » الذي قدمه في أغسطس ١٩٨١ ، واعتبر هذه المشروعات العربية كأساس مناسب يمكن أن يقوم عليه احراز مزيد من التقدم نحو السلام . وبرغم أن العبارات التي صيغت في فاس تبدو من وجهة النظر الغربية عامة للغاية ويصعب حل رموزها ، فإن السعوديين لا يرون سوى خلافات ضيقة بين هذا الاعلان ، وبين بيان ريجان الذي سبقه بأسبوع واحد . وقد قال الأمير سلطان مؤخرا في إحدى المقابلات « اننى لا اعتقد أن ثمة دولة عربية تود الدخول في حرب مباشرة مع اسرائيل . وقد أعلن العرب رأيهم في قمة فاس . وهم الآن يريدون ويرغبون في سلام يقوم على الحق والعدل . وما زالت بوابة السلام مفتوحة والعمل في هذا الاتجاه مستمر .

وبرغم النفوذ الواضح الذي يتمتع به القادة السعوديين ، فليس ثمة ريب في أن الأمريكيين وكثيرين آخرين يتوقعون منهم الكثير جدا ويخفقون في ادراك أو الاعتراف بأن السعوديين ، مع كل ثروتهم ومكانتهم ، لا يتمتعون بنفوذ مطلق في الشرق الأوسط . وأنا أعلم أن الأمريكيين توقعوا في مناسبات عديدة من اصدقائنا السعوديين « التخلي » عن بعض العرب الآخرين أو أن يكونوا أنفسهم زعماء جسورين عند المراهنة على قضايا ذات أهمية . فقد توقعنا منهم أن يهدئوا من ادانة العرب للسادات بعد مبادرته للسلام ، وأن يؤيدوا بقوة اتفاقيات كامب ديفيد ، ويحثوا الاردن والفلسطينيين على الانضمام الى محادثات السلام آنذاك مرة أخرى في أبريل ١٩٨٣ ، وسوريا على قبول شروط اتفاقية الانسحاب بين اسرائيل ولبنان في وقت لاحق من ذات العام . وغالبا ما كنا نصاب بالاحباط بل وبالغضب أحيانا — حينما لا تتحقق توقعاتنا .

وكشخص يعرف السعوديين على نحو أفضل ، فمن الايسر فهم حذرهم فيما يتعلق بالتعامل مع المسائل المثيرة للجدل الى أبعد حد ، والسبب في محدودية نفوذهم . إذ أن — اتجاهات السعوديون نحو الدبلوماسية واسلوبهم السياسى المتحفظ أنها شكلته ظروف وجودهم . فعدد سكانهم الاصليين صغيرا نسبيا ، وقوتهم العسكرية ليست قوة رئيسية ، وتحيط بهم دول مجاورة خطرها محتمل لا يستطيعون أن يتحملوا اثارها بدرجة كبيرة ، وقياداتهم ذاتها تستند على التفاهم وتشكيل اتفاق بين قادة مستقلين ومتقلبين في عالم عربى منقسم على نفسه بدرجة كبيرة . وقد كنت أشعر بشكل ثابت تقريبا ، حينما كنت رئيسا للجمهورية أن اهدافنا الأساسية كانت متفقة مع اهداف القادة السعوديين وأنها تكاد تكون

مفيدة كلما أمكن ذلك . وقد أضيف أن السعوديين وكثيرين غيرهم يغالون في تقدير نفوذ الولايات المتحدة بدرجة كبيرة وانهم لم يفهموا قط لماذا لا نستطيع « التخلي » عن أصدقائنا في الشرق الأوسط متى كان ذلك ملائماً لأغراضنا .

ويميل زعماء العربية السعودية الى كبح الميول تجاه احداث ثورة او فوضى سياسية في منطقتهم ، دون التخلي عن جوهر عقيدتهم الدينية او أهداف العالم العربي المشتركة كما حددها في الاونة الاخيرة الاتفاق الجماعي في الرأي . وهم يؤثرون الاستقرار بين الانظمة القائمة ، والحلول الوسط حينما يتعرض الاجماع العربي للخطر ، واحلال السلام في المنطقة ، والتوجه السياسي تجاه الغرب . أن السعوديين يعتبرون اسرائيل ككيان مثير للقلق والاضطراب يمكن التخلص منه في النهاية ، فانهم قد يقدمون تأييداً ضمنيًا ، في الوقت نفسه ، لترتيب سلام يقوم على أساس قرار الامم المتحدة ٢٤٢ أو اعلان فاس ، الذي يعتبرونه وثيقة الصلة بدرجة كبيرة من اتفاقيات كامب ديفيد أو لبيان ريجان كأساس للتفاوض .

ويستطيع الزعماء السعوديون ، بأسلوب حذر ، أن يكونوا قوة حاسمة ومفيدة في الشرق الاوسط حينما يتبين أن نفوذهم يمكن أن يسفر عن تغيير مسن هاتنه أن يعمل على احلال السلام والاستقرار في المنطقة كبديل للحرب والاضطراب السياسي المستمر .

« المستقبل »

ليس ثمة حل سحري للغز الشرق الاوسط . ومن المعبث النظر الى القضايا المعقدة للغاية ووجهات النظر المتضاربة بأى درجة من درجات التفاؤل . فمفاد توقيع معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية ، أريقت دماء كثيرة بلا داع وتلاشت الآمال الخاصة باجراء مفاوضات للسلام . ومن المستحيل فى الوقت نفسه ، الغنى عن السعى من أجل السلام برغم العقبات التى لا يمكن تخطيها تقريبا .

والاسئلة التى يجب وضعها فى الاعتبار لا نهاية لها على وجه التقريب : فما هى الاحتمالات التى يخبئها المستقبل ؟ وما هى المتطلبات الأساسية للسلام وهل يمكن أن يكون هناك سلام ثابت نسبيا بحيث يعمل على مجرد دوام الظروف والاتجاهات المراهنة ؟ وهل سيرضى هؤلاء المضطهدون بالانتظار فى هدوء وسكينة من أجل تسوية سلمية مشكوك فيها فى المستقبل البعيد ؟ وهل يتعين أن يتدهور الموقف باطراد حتى تدفع أزمة أخرى بالاطراف المعنية الى التحرك ؟ وهل هناك توقع أفضل للنجاح من جهد دبلوماسى هادئ ومتواصل أو من تحريك على وجسور تجاه المفاوضات ؟ وما هو الأساس المشترك القائم بالفعل الذى يتسنى للاطراف المتنافسة أن تبني عليه مستقبلا أكثر أمنا ؟ بل والأكثر رعبا من ذلك كله ، هل يمكن أن تؤدي الخلافات المراهنة الى استعمال أسلحة نووية أو الى مواجهة عسكرية مباشرة بين القوتين العظميين ؟ .

لقد أمضيت جزءا كبيرا من حياتى العامة فى التعامل مع تلك التساؤلات ، وقد تحادثت ، فى فترة حديثة جدا ، الى مئات من الشخصيات الموضوعية لى احصل على وجهة نظر أوسع وأكثر توازنا الى أقصى حد ممكن . ولقد كنت مقتنعا على الدوام فى أعظم الاوقات احباطا بالرأى القائل بأن شعوب المنطقة — بما فى ذلك حتى السوريين والاسرائيليين والفلسطينيين الذين لا يثتقون تماما بخصوصهم — يريدون انجاح جهود السلام . وقد تكون اللغة الطنانة ومطالب جميع الاطراف قاسية ، بيد أن هناك نقاطا واضحة للاتفاق يمكن أن تكون بمثابة أساس لاحتراز تقدم . أن المناقشات الخاصة مع الزعماء العرب تبشر بالأمس بدرجة تفوق كثيرا أى تحليل لتصريحاتهم العلنية ، كما يسود فى اسرائيل عنصر معتدل قوى نادرا ما يلقى أذانا صاغية أو يحظى بالتقدير فى البلدان المجاورة . والموقف فى الشرق الاوسط مازال مزعزا بسبب عاملين حاسمين . الأول ، هو أن العرب يرفضون منح اسرائيل اعتراف رسمى وصريح بالحق فى الوجود فى سلام داخل حدود آمنة محددة بوضوح . والثانى ، هو أن الاسرائيليين يرفضون الانسحاب من الاراضى المحتلة ومنح الفلسطينيين حقوقهم الانسانية الأساسية ، بها فى ذلك حق تقرير المصير .

ومن بين التعقيدات الأخرى : عدم وجود صوت فلسطينى رسمى وواضح ورفض كل من الطرفين الاشتراك فى محادثات للسلام بدون شروط مرهقة ، والموجود الدائم لقوات خارجية ، واستمرار اراقة الدماء فى لبنان بسبب النزاع الأهلى ، وكذا سياسة التوسع فى اقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة ، والتوترات بين مصر واسرائيل بسبب غزو لبنان ، والنفوذ المتزايد للسوفييت فى المنطقة ، الأمر الذى يعزز مقدرتهم على اعاقا إجراء مفاوضات ، والحرب الفظيعة المدمرة الدائرة بين ايران والعراق ، وظهور التطرف الاسلامى ، وعدم وجود أى جهد ممتد من قبل الولايات المتحدة لدفع السلام القائم على اتفاقيات تم التوصل اليها بالفعل .

انها قائمة مهيبة — ولكن هناك أكثر من ذلك . فالقوى المضادة تميل الى أن تصبح أكثر راديكالية من خلال التكبر المصاحب للانتصار أو اليأس الناجم من الهزيمة . وفى أية مواجهة ، تكون أكثر تصريحات القلة بذاءة هى تلك التى يتذكرها وينمىها على الدوام أولئك الذين يحتقرون بعضهم البعض . فانعدام الأمان يولد جذور الارتياح ، وهذا يؤدى الى قمة القلق بين الاسرائيليين والفلسطينيين مما يحول دون أى تجاه اعتراف متبادل أو التخفيف من حدة الكراهية ، والتهديد بالفناء أو الحرمان من الهوية كشعب .

ان الشرق الأوسط غير مستقر ، ودائم التغير ، ومن الصعب التنبؤ بما قد يحدث داخل منظمة التحرير الفلسطينية وبين الفلسطينيين والعرب الآخرين ، وبين الفصائل السياسية الداخلية فى لبنان وبين تلك الجماعات والقوى العسكرية الخارجية ، وعلى شواطئ الخليج الفارسى ، وفى اسرائيل فيما يتعلق بسياساتها فى الأراضى المحتلة . ومن المؤكد أن الضغوط الاقتصادية خاصة على اسرائيل سوف تتزايد . وهذه التغيرات يمكن أن تساهم إما فى تحقيق السلام أو اراقة المزيد من الدماء .

بل ان الهلع النهائى من التدمير المتبادل لا يمكن تصوره كلية . اذ انه من المفترض الى حد بعيد أن اسرائيل لديها أسلحة نووية أو القدرة على نشرها بسرعة وأن السوفييت تعهدوا بحماية دولهم العميلة من هجوم كهذا بأية وسائل لازمة . فما الذى ستفعله الولايات المتحدة؟ انها لن تقف مكتوفة الأيدي اذا ما اشتعل الموقف فى الشرق الأوسط . وهذا مجرد احتمال بعيد ، بيد أنه من الجلى أن وصول أى طرف الى درجة اليأس من شأنه أن يعجل بحدوث مواجهة اقليمية أكثر خطورة مما حدث من قبل . ولا يجب ان يكون هناك مزيد من التأجيل اذا لم تضيق الفرص الحالية الى الأبد .

وبرغم الحاجة الواضحة الى حل الخلافات ، فان جهود السلام لا تحيا بذاتها ، ولا تعتمد على نفسها . فاسرائيل وغالبية نظم الحكم العربية أصبحت مشغولة على نحو متزايد بمشكلات داخلية ، تشمل بعث الهوية الدينية ، وظهور

آمال بين جمهور الناخبين الأكثر ثقافة ، وظهور طبقات متوسطة ، والخوف من مزيد من تدخل قوى خارجية بما في ذلك القوتين العظميين ، والانخفاض الحاد في عوائد النفط . وهذه العوامل سببت تلقا عظيمها لبعض الدول العربية التي ركزت أكثر حتى الآن على الأمور الخارجية ، بما في ذلك السلام مع إسرائيل والتوصل الى حل عادل للمشكلة الفلسطينية . ويتجه الزعماء العرب ، الآن ، الى تحرير أنفسهم من العبء الفلسطيني . وعلاوة على ذلك ، فقد أجبرت الأزمة الاقتصادية المتزايدة القادة الاسرائيليين على التركيز على الشسئون الداخلية . كما تركت انتخابات عام ١٩٨٤ إسرائيل عاجزة الى حد ما في مجال الدبلوماسية الدولية وربما غير قادرة على بدء أى تحرك جسور تجاه اجراء مفاوضات حقيقية مع السوريين ، او الاردنيين او الفلسطينيين .

ومن الجلى أن الموقف غير مفعم بالأمل ، ولكنه أيضا ليس ميئوسا منه . إذا أمكن حث الزعماء على التركيز على التقدم الذى تم احرازه بالفعل ونقاط الاتفاق العديدة القائمة الآن واستكشاف أى سبل جديدة ممكنة تجاه السلام .

لقد كنت والرئيس جيرالد فورد رئيسين مشاركين لمؤتمر حول الشرق الاوسط عقد في جامعة امورى بأتلانتا ، بولاية جورجيا ، في نوفمبر ١٩٨٣ . وقد دعونا كثيرين من رجالات السياسة الأمريكيين ممن ساعدوا في اجراء المفاوضات خلال السنوات القليلة الماضية بالاضافة الى متحدثين رسميين بارزين من مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والعربية السعودية ، والاتحاد السوفيتى . وقام خبير فلسطينى متخصص فى الشئون الفلسطينية بتحليل وجهات نظر شعبه ، وقدم نحو ستة من الاسرائيليين عرضا لكثير من الآراء التى كانت سارية فى بلادهم آنذاك . وقد دارت مناقشات حامية ، بما فى ذلك استجواب كل متحدث علنا من جانب الصديق والعدو . وقامت الأطراف كلها بفتح الجراح القديمة من جديد ولخصها ، الا أن ايا منها لم يخرج من أية محاضرة وهو يشعر بالغضب .

وقد أمكن ، من خلال المحاضرات التى ادارها فى جو اكاديمى رئيسان سابقان للولايات المتحدة ، ان نتخلص من التحفظات القديمة والاشترار فى تبادل الآراء والمعلومات ، بل لقد كان هناك حتى فى خلال فترات الاستراحة بسير المناقشات العامة تبادل مثير ومثمر أكثر للأفكار والآراء بين المشاركين . وقد كان من المثير رؤية باحثين ودبلوماسيين من القدس ، وقل أبيب ، ودمشق ، والقاهرة وعمان ، ومراكز جامعية وحكومية أخرى . وقد أصبح كل منهم متلهفا للتعرف على الآخر . وكان كثيرون منهم قد كرسوا حياتهم لدراسة أعمال بعضهم البعض ، بيد أنه لم تتح لهم فرصة للالتقاء على الاطلاق .

وقد تآثر القادة المجتمعون على وجه الخصوص بدرجة الاتفاق الجماعى التى وردت فى الاتفاقيات والقرارات التى أيدتها بالفعل مختلف الفصائل والدول، وأدركوا مدى قيمة هذا التفاهم كأساس لإجراء مفاوضات فى المستقبل . وفى نهاية المؤتمر طلبت مجموعة من كبار المتحدثين من الرئيس فورد ومنى نقل ما تم استخلاصه الى وزير الخارجية ،ومستشار الامن القومى ، والزعماء الديمقراطيين والجمهوريين فى كل من المجلسين بالكونجرس الأمريكى . وقد استجبنا لطلبهم فى غضون اسبوع واحد .

وكما رأينا ، أقرت كل من اسرائيل والدول العربية العديد من قرارات الامم المتحدة وثيقة الصلة بالموضوع . فمزال قرار الامم المتحدة ٢٤٢ متداولاً ويعد بمثابة الوثيقة الشاملة التى تقبلها معظم الحكومات فى الشرق الاوسط ، ومن خلاله تولدت مشروعات أخرى . ويدعو قرار الامم المتحدة ٣٣٨ ، الذى تم قبوله بوجه عام ، الى اجراء مفاوضات مباشرة بين الأطراف المتنازعة ، وهو يمثل أساساً هاماً لمزيد من التقدم . وماتزال المعاهدة المصرية — الاسرائيلية دليلاً حياً على انجازات الدبلوماسية والامكانيات التى مازالت قائمة ، ورغم الانتقاد العنيف الموجه لها من مصادر عديدة . ورغم ما يجرى عادة من تأكيد لتباينات بين اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ، وعلان فينيسيا الذى أصدرته الدول الأوروبية عام ١٩٨٠ ، ومشروع عهد عام ١٩٨١ وبيان ريجان وقرار فاس عام ١٩٨٢ فانها تحمل فى طياتها عناصر هامة مشتركة يمكن التوسع فيها اذا تمت متابعتها باخلاص . ففى جميع الاتفاقيات والمقترحات الرسمية ، ثمة اتفاق على مبادلة الاراضى المحتلة مقابل الاعتراف المتبادل ، والامن والسلام الحقيقيين . وحتى مع كل هذه التناقضات ، فان ذلك فى حد ذاته يعد بمثابة أساس مناسب لإجراء مفاوضات حقيقية بين الأطراف المعنية — شريطة أن يعربوا عن رغبتهم باخلاص فى السلام ، واستعدادهم للامتناع عن وضع شروط غير مقبولة ، واحترام الوثائق التى وقعوا عليها بأنفسهم من قبل . ويتعين أن يكون هناك عنصر الجسارة لكسر حالة الجهود القائمة ، وقبول محادثات السلام دون أى ضمان لما تسفر عنه من نتائج ، وكذا الشجاعة من جانب بعض الزعماء العرب للتخلص من الفيتو الفعال الخاص بالاجماع او الاتفاق الجماعى .

وقد تم احراز تقدم ملموس بالفعل ، وتجلى ذلك فيما يلى :

✽ أثبتت السادات انه من خلال المفاوضات الحقيقية مع اسرائيل ، يكون السلام والانسحاب من الاراضى المحتلة ممكناً .

✽ تم احترام معاهدة السلام عام ١٩٧٩ بين مصر واسرائيل واتفاقية الانسحاب السوري — الاسرائيلى عام ١٩٧٤ بدقة متناهية . وأجرى لبنان واسرائيل مفاوضات مباشرة . وثمة تاريخ طويل من التمسكون بين الأردن

واسرائيل في مسائل تتعلق بالضفة الغربية وغزة والفلسطينيين الذين يعيشون هناك . ولذا ، فان معظم الدول العربية المجاورة قبلت الوجود الدائم لاسرائيل كحقيقة لا جدال فيها ولم يطالبوا بعد الآن بانتهاء دولة اسرائيل ، برغم استمرار وجود بقايا هذا الاحساس .

✽ حتى بين أولئك الذين يعترفون بحق المصير بالنسبة للفلسطينيين ، هناك اجماع متزايد على أن نوعا من الاتحاد الفيدرالى أو الكونفيدرالى قد يكون بمثابة ترتيب مقبول بين الأردنيين والفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة .

✽ قبل الجميع تقريبا المبدأ الخاص بإيجاد فترة انتقالية بين الموقف الراهن غير المرض واثاحة الفرصة في النهاية للشعب لتقرير مصيره في مناخ من السلام .

وتبين لى في أوائل ربيع عام ١٩٨٣ أن الملك حسين مستعد للتحرك تجاه اجراء محادثات للسلام تحت الاطار الشامل لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ أو بيان ريجان ، وأننى لمقتنع بأنه مازال يتطلع الى هذه الفرصة . ويجب توفير بعض المتطلبات الأساسية له حتى يتحرك : مثل ، استعداد واضح من جانب اسرائيل للتفاوض باخلاص ، ووجود دليل على عزم الولايات المتحدة على استئناف عملية السلام ، وموافقة ضمنية على الأقل من جانب العربية السعودية وربما بعض العرب المعتدلين الآخرين ، وتفسير منطقي لتحديثه باسم الفلسطينيين . ولم يكن واضحا في عام ١٩٨٣ التقاء أى من هذه المتطلبات الأساسية معا ، بيد أنه كان قادرا الى حد ما على التقدم بدونها . ومازالت هناك فرص لتحقيق هذه المتطلبات جميعا .

وبرغم أن بيجين وحكومته ممثلة في الليكود رفضت على الفور الافكار التى اقترحها الرئيس ريجان ، فقد استجاب كثيرون من الاسرائيليين أن لم يكن معظمهم على نحو ايجابى لانضمام الاردن الى محادثات السلام مع مشاركة من ممثلين فلسطينيين وفقا للمبادئ العامة لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، أو اتفاقيات كامب ديفيد ، أو بيان ريجان . ويمكن أن يكون ذلك ممكنا مع زعامة مسوية فى واشنطن . اذ أن عقد حسين للبرلمان الاردنى الذى يمثل نصف اعضائه من فلسطينى الضفة الغربية يعطى مؤشرا ما على أن ذلك قد يكون هو السبيل الذى يبحث عنه لعرض الموقف الفلسطينى في محادثات السلام فى المستقبل . ولم يستطع حسين التوصل الى اتفاق نهائى مع اسرائيل بشأن القدس أو حتى الضفة الغربية وغزة ، ولكن فى الوقت الراهن وبعد أن استأنف الاردن علاقاته الدبلوماسية مع مصر ، فإنه يستطيع المساعدة فى اتخاذ خطوات تقديمية تجاه اتفاق أكثر شمولا . فالملك حسين أضعف من أن تعتمد عليه توقعات السلام ، بيد أنه ما زال عضوا مشاركا ضروريا فى مفاوضات المستقبل . وقد تعمل التهديدات المتزايدة لوجود الاردن أو التخفيف من بعض مسؤولياته

الحالية الى حفزه على القيام بهذا الدور الحيوى . والاسد يرفض مبدئيا اجراء مباحثات ثنائية بين اية دولة عربية منفردة واسرائيل ، ويبدل ما في وسعه لنعهما من ذلك ، الا انه اكد لى ولآخرين استعدادة للتفاوض مع اسرائيل وأطراف أخرى معينة على أساس قرارى الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ . كما أن سوريا ايضا حريصة للغاية على مراعاة شروط اتفاقية الانسحاب عام ١٩٧٤ مع اسرائيل . ورغم انه لا يمكن التنبؤ بما قد يقدم عليه الاسد ، فربما لا يتلقى دعم المحسنين اليه من السوفيت أو العرب اذا ما هدد بمهاجمة الاردن فى حالة توجه حسين الى مائدة المفاوضات .

واسرائيل قد ارتبطت بالتزامات أساسية بالنسبة للسلام كما اكدتها اتفاقية كامب ديفيد ، وانسحابها من سيناء ، وقرار الامم المتحدة ٢٤٢ وغيره من القرارات التى اقترتها رسميا . وثمة بعض التوضيحات والتفسيرات التى يتعين على العرب أن يجادلوا بشأنها ، بيد أن ذلك جزءا من اية عملية للتفاوض . كما أن حكومة الوحدة الوطنية برئاسة شيمون بيريز بذلت جهدا ، على الاقل خلال الشهور الاولى من الحكم ، لتحسين احوال معيشة الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة . وترى القاهرة بوضوح ارتباطا مباشرا بين احراز تقدم فى خطى عملية التطبيع بين مصر واسرائيل وبين التخلص من القيسود الادارية والسياسية المتعلقة بالفلسطينيين فى الاراضى المحتلة .

والواقع أن العرب أدركوا فى مشاوراتهم ومن خلال تصريحاتهم العامة الحاجة الى التفاوض مع الاسرائيليين حتى يتوصلوا الى تسوية سلمية للخلافات . وبرغم أن الكلمات الحذرة ليست واضحة ولا تهدىء من القلق والاستياء السائدين حتى أولئك الاسرائيليين الذين ينتظرون فرصة احراز تقدم نحو السلام ، فإن الزعماء العرب يقررون أن هذا الغموض والابهام هو الهدف الذى تسعى المفاوضات الى حله .

ويتعين أن تأتى المبادأة لمبادرات السلام من الولايات المتحدة ، باستثناء ما قد يظهر من أزمات صعبة قد تجبر اسرائيل على اللجوء الى الأمم المتحدة وعقد مؤتمر دولى لحماية مصالحها وحتى فى ظل تلك الظروف غير المتوقعة ، فإن الاشتراك المتعمق للولايات المتحدة سيكون الزاميا بالنسبة للمفاوضات .

ومع ذلك ، فقد أبدت ادارة الرئيس ريجان اهتماما ضئيلا بالدبلوماسية كوسيلة لحل النزاعات الاقليمية . وهو يميل ، بعكس السياسات التى انتهجها سابقوه الديمقراطيون والجمهوريون ، الى تفضيل التهديد أو استخدام القوات المسلحة الامريكية بدلا من التفاوض . وقد كان هذا التفضيل على وجه الخصوص مؤلما ومعوقا فى الشرق الاوسط ، إذ أن دبلوماسية هنرى كيسنجر المكوكة أثناء حكم الرئيس نيكسون وفورد ومبادرات كامب ديفيد فى ظل حكم ادارتى كانت لعدة سنوات مظهرا مثيرا وقيما على

مسرح الاحداث في الشرق الاوسط . وفي ظل حكم ريجان ، بلغت عملية السلام حد التعثر المؤلم ، كما ان الهزيمة المفاجئة في لبنان اضررت او دمرت بعنف نفوذنا في هذه المنطقة . وباستثناء خطاب واحد صيغ ببراعة في سبتمبر ١٩٨٢ سرعان ما طواه النسيان في واشنطن ، لم تكن ثمة جهود مدعومة لاحلال سلام في المنطقة تتعامل مع الاسباب الاساسية لحالة العداء والحرب . ومع ذلك ، فقد بذلت بعض الجهود للمساعدة في ترتيب انسحاب مرض للقوات الاسرائيلية من لبنان .

وليس ثمة ما يدعو الى الدهشة ، في ان اجسد اناسا في الشرق الاوسط يدينون الولايات المتحدة بقسوة — لانها نشيطة للغاية فيما يتعلق ببنادقها وقواتها ، وعدم نشاطها بدرجة كافية على مائدة المفاوضات ، ولانها خاضعة تماما للاسرائيليين وتتمتع بحصرية تامة في بيع الاسلحة لجميع الاطراف ، ولانها تمنح ضمانات خاصة لزعماء ثم تغفل عنهم حينما تستفحل الضغوط المحتومة عليهم . وثمة انتقاد على نطاق واسع لواشنطن لكونها عاجزة عليهم . ولكونها في نفس الوقت تتمتع بسلطة مطلقة ولكنها جبانة اكثر من اللازم .

وبرغم هذا الانتقاد ، فما زال الجميع تقريبا يعترفون بأهمية دور الولايات المتحدة . فقد قال لي السفير والمفاوض الخاص فيليب حبيب ، اثر محاولته الفاشلة في عام ١٩٨٣ لحل الخلافات بين لبنان واسرائيل وسوريا : « لم يقل لي اى شخص على الاطلاق في جميع رحلاتي التي جيت فيها أنحاء المنطقة ، « ارجع الى وطنك أيها اليانكي (١) » ، وانما كان الرد « امكث هنا أيها اليانكي ، واتفق معي » .

وقد كان معروفا عن الزعماء الأمريكيين ومتوقعا منهم لسنوات عديدة ان يمارسوا حدا اقصى من النفوذ بأسلوب موضوعي ، غير متحيز لتحقيق سلام . وحتى تستأنف القيام بهذا الدور الحيوي يتعين على الولايات المتحدة ان تكون وسيطا موثوقا به ، وعادلا ومستقيما ، وغير متردد ، ومتحمسا ، وشريكا مع كل الاطراف ، وليس قاضيا لاي طرف . وبالرغم . انه سيكون هناك حتما ميل في بعض الاوقات نحو طرف او آخر ، فان واشنطن تستطيع القيام مرة اخرى بدور الوسيط الشريف في الاعداء البعيد . وكما ثبت بالفعل ، فان أية مفاوضات ناجحة يتعين ان يشارك فيها الرئيس ووزير الخارجية مشاركة واضحة وكاملة .

ومهما يكن مدى تأهيل المفاوضين المعينين على مستوى السفراء ، فانهم ليسوا اكثر من مجرد رسل ومن غير المحتمل تماما ضمان نوع الاقتراحات او التنازلات التي يقدمها رؤساء الحكومات الاخرى والتي يمكن ان تؤدي الى انجازات ملموسة .

(ف) اليانكي : تعريف لاحد ابناء ولاية من ولايات الشمال الامريكية — المترجم

وثمة مبادئ واهدافا أمريكية محددة اما أنها كانت تاريخيا بمثابة الدليل المرشد للمفاوضين الامريكيين أو معترف بضرورتها الآن من أجل التوصل الى سلام شامل في الشرق الاوسط ، وهى :

✳ ضرورة الحفاظ على أمن اسرائيل .

✳ ينبغي حل الخلافات بين الخصوم بالوسائل السلمية ، وبالتأكيد بسلا تدخل عسكري سوفيتي أو أمريكي مباشر .

✳ يتعين التوفيق بين الاطراف من خلال التفاوض مع جميع اطراف النزاع ، على أن يمثل كل طرف تمثيلا عادلا وأن يكون له الحق في المشاركة في مناقشات حرة .

✳ ينبغي احترام سيادة الدول وقديسية الحدود الدولية لتجنب هليسة اراقسة الدماء المستمرة .

✳ التخلي عن الارهاب ، الذي يعمل على افساد مبادرات السلام ودوام العداء والقتال .

✳ ضرورة حماية حقوق الانسان ، بما في ذلك الحقوق العامة المعترف بها في دستور الامم المتحدة والقانون الدولي .

ويتضمن ذلك الحق في تقرير المصير ، وحرية التعبير ، ومعاملة جميع الاشخاص على قدم المساواة ، والتحرر من الهيمنة العسكرية والسجن بدون محاكمة لمدة طويلة ، وحق الأسر في لم تشملها من جديد ، وحق الشعوب غير المتحارية في العيش في سلام .

ان مواجهة القضية المثيرة للخلاف في الشرق الاوسط ليست بالمهمة السهلة، اذ انها محفوفة بالمخاطر السياسية . واستعداد الولايات المتحدة وأطراف التفاوض الآخرين لقبول هذه المخاطرة ومواجهة احتمال الفشل ، أو الرفض أو فقدان الشعبية يعد أحد العناصر المفقودة في عملية السلام .

ولا يمكن حل النزاعات داخل اسرائيل والخلافات بين العرب بعضهم والبعض الآخر وبينهم وبين اسرائيل بلا اجراء مناقشات وجها لوجه للحد من النفضاء والتهديد بمواصلة أو تصعيد الحرب . والواقع أن البعض قد تجنّب القضايا الخطيرة من خلال الاعتماد كثيرا على الجهود الدولية الجماعية كبديل لمبادرات السلام المباشرة . وتعتبر قرارات الأمم المتحدة والتصريحات التي تصدر من جانب واحد جميعها طيبة للغاية فيما صدرت بشأنه ولكنها ليست بديلا عن المفاوضات حول أكثر المسائل تحديدا واثارة للخلاف .

وليس ثمة ما يدعو دولة ما للتخلي عن أهدافها الأساسية كشرط مسبق لأجراء المفاوضات ، وقد أعرب أنور السادات عن الحد الأقصى لوجهات النظر العربية في خطابه التاريخي أمام الكنيست الاسرائيلي (وهو نفس الخطاب الذي كان يمكن أن يلقيه الرئيس السوري حافظ الأسد دون تغيير كلمة واحدة أساسية) . وقد حافظ السادات على نفس الأهداف حتى مماته ، ولكنه ، في الوقت نفسه ، خطى خطوة واسعة تجاه السلام بالنسبة لشعبه والعدل بالنسبة للفلسطينيين من خلال الاعتراف بالحاجة الى زيادة احراز تقدم من خلال المفاوضات .

والمشكلة الأساسية وأكثر المشاكل إثارة للخلاف هي ، بالطبع ، ما يمكن عمله بالنسبة للفلسطينيين ، الذين عاشوا أكثر من جيل كلاجئين أو لاكثر من سبع عشرة سنة في ظل الاحتلال العسكري المتواصل . ولا يمكن إجراء مفاوضات ناجحة لاحتلال سلام دائم الا اذا شملت هذه المفاوضات الفلسطينيين . والمسؤولون الأمريكيون يعترفون بهذه الحقيقة حتى رغم أنهم يرفضون الاعتراف أو التفاوض مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد قال السفير حبيب « في مجال تسعى للتوصل الى سلام في الشرق الاوسط ، لا يمكن التوصل الى حل بدون حل المشكلة الفلسطينية . . . فالمشكلة الفلسطينية ، ايا كان تحديدك لها ، هي لب المشكلة » .

وأكد جورج شولتز هذا الاعتقاد في جلسات استماع مصدق عليها بوزارة الخارجية . ومع ذلك ، فإن الاعتراف بالمشكلة لم يؤد الى أية محاولات مستمرة لحلها .

ويتعين ألا يغيب عن البال ان اتفاقيات كامب ديفيد ، التي وقعها السادات وبيجين ، والتي صدقت عليها الحكومات الموقعة ، والتي أقرها بيان ريجان عام ١٩٨٢ ، تطالب « بحكم ذاتي كامل » بالنسبة لسكان الاراضي المحتلة ، وانسحاب القوات الاسرائيلية وانهاء الحكم المسدني والعسكري والاعتراف بالشعب الفلسطيني ككيان سياسي منفصل . وان يشارك الفلسطينيون أنفسهم في مزيد من المفاوضات ، ويعرض الوضع النهائي للصفة الغربية وغزة « لكي يصوت عليه الممثلون المنتخبون من سكان الضفة الغربية وغزة . وعلاوة على ذلك ، فإن الاتفاقيات اعترفت بصفة عامة بأن استمرار معاملة غير اليهود في الاراضي المحتلة بوصفهم طبقة أدنى من طبقات المجتمع يتعارض مع مبادئ الاخلاق والمعدل التي تقوم عليها الديمقراطيات . لقد كان بيجين والسادات لفترة قصيرة ، على الأقل ، قادرين على أن يثبتا أن المشكلات الخاصة بحقوق الفلسطينيين التي تبدو غير قابلة لتذليلها يمكن التغلب عليها .

وقد مرت معاهدة السلام بين مصر واسرائيل حتى الآن . ببعض الاختبارات المشاقة : وتجلى ذلك في وفاة السادات ، والانسحاب الاسرائيلي من سيناء ، والغزو الاسرائيلي للبنان . وهذا الارتباط القانوني في حاجة الى تعزيزه لذاته

بوصفه مثالا للمزايا التي يمكن ان تسفر عن السلام . ويمكن لمصر أن تكون بمثابة جسر طبيعي بين مفاوضات السلام المحتمل وسائر العالم العربي ، وهو دور سيسعد القاهرة القيام به وستشجعه الولايات المتحدة تماما . ويسود ، في الوقت الحاضر ، « سلام فاتر » بين مصر واسرائيل ، الا انه من المأمول والمتوقع أن يؤدي انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان واستئناف محادثات السلام طبقا لصيغة كامب ديفيد أو بيان ريجان الى تحسين العلاقات .

لقد كانت مشكلة الالفاظ حاضرة دائما ، حسبما أتذكر أثناء مناقشات كامب ديفيد الحامية الوطيس ، ولا يمكن التغلب على هذه المشكلة الا من خلال المفاوضات المخلصة . فعلى سبيل المثال ، يعد مبدأ « تقرير المصير » بالنسبة للفلسطينيين أمرا مفروغا منه بالفعل في كل من اتفاقيات كامب ديفيد وفي بيان ريجان ، الذي وافق عليه كثير من العرب . وقد فسر بعض الاسرائيليين العبارة بأنها تحدد على وجه الحصر اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الاراضي المحتلة . بيد أن زعماء عرب كثيرين يتخيّلون اقامة نوع من الاتحاد الفيدرالي بين الضفة الغربية وغزة والاردن . كما أثرت مشكلة أخرى تتعلق بدلالات الالفاظ بشأن تفسيرات المعنى الأساسي لاتفاقيات كامب ديفيد وبيان ريجان الذي يتفق معها . وبالرغم من أن كثيرين من الزعماء الاسرائيليين الحاليين لم يصوتوا لصالح اتفاقيات كامب ديفيد ، فإنهم يصرون الآن على أن « كامب ديفيد » هي الاطار الوحيد الذي سيتفاوضون من خلاله ، ومع ذلك فإن عنوان « كامب ديفيد » غير مقبول بالنسبة للملك حسين كأساس لمحادثات سلام محتملة .

وثمة مشكلة أخرى صعبة تتعلق بتأثير الاتحاد السوفيتي على احتمال استئناف محادثات السلام في الشرق الاوسط ، كما أن هناك عدم اتفاق في الرأي بشأن ما ستفعله سوريا .

ويبدو أن الدور الذي سيقوم به اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية هو البقاء ، والتجنب والافساد — البقاء في المنطقة ، وتجنب أية مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة ، والحيلولة دون بذل أي جهد للتوصل الى تسوية سلمية دائمة يستبعد منها الكرملين . وقد تمثلت إحدى النتائج غير الملائمة للحرب اللبنانية الأخيرة في أنها عملت على تعزيز مقدرة السوفيت بصورة أساسية لتحقيق تلك الاهداف . وبلغ نفوذ السوفيت الآن في الشرق الاوسط أعظم مستوى قبل قيام السادات بطردهم من مصر ، مستفيدين في ذلك من أخطاء حكومة ريجان فهم مستقرون بشكل ثابت في سوريا ، التي تدافع عن شكل من أشكال التفاوض تشترك فيه عدة دول من بينها الاتحاد السوفيتي ، كما يبدو متصورا وفقا لقرار الأمم المتحدة ٣٣٨ . وقد أعرب الاردن بل ومصر أخيرا ، بعد أن أصيبا بالاحباط من تخاذل الزعماء الامريكيين ، عن بعض الاتفاق مع هذا الاتجاه المحبذ لتعدد الدول . ومن الناحية الأخرى ، تتمثل الاستراتيجية الامريكية — الاسرائيلية في

استبعاد الاتحاد السوفيتي من أية مفاوضات وإلى حصر سوريا في مناقشات تتضمن الانسحاب من لبنان . وقد يعد البيان السوفيتي - الأمريكي المصادر في أكتوبر ١٩٧٧ أساسا لاشتراك سوفيتي محتمل في المستقبل (ملحق ٣) .

كما يجب أن تنضم سوريا أيضا لعملية المفاوضات ، قبل إمكان التوصل إلى سلام شامل ونهائي ، لأنها تمثل طرفا للمشكلة وطرفا للحصل المحتمل . والزعماء السوريون لديهم مخاوف أمنية حقيقية ، إلا أنهم لا يريدون أن يصبحوا العوبة في يد الاتحاد السوفيتي . ولديهم رغبة في الحصول على معونة اقتصادية وتعاون من العالم الغربي . ومع ذلك ، فمن المحتمل عدم تلبية احتياجاتهم بدون الاعتراف بحقوق إسرائيل في السلام والأمن ، والموافقة على وجود لبنان حر ومستقل . ومن المحتمل ألا يتعاون الرئيس الأسد في أي وقت قريب في جهد شامل للسلام ، كما ستستمر تهديداته بتقويض مثل هذه المحادثات . ومع ذلك ، فإنه يمكن ، من خلال التزام أمريكي قوى لكل من المفاوضات والمفاوضين ، تجاهل تهديدات الأسد إذا لزم الأمر وانتظار فرصة أخرى لتحقيق سلام بين سوريا وإسرائيل .

وهناك بعض المتطلبات الأساسية وبعض الاعتبارات التي قد تساعد في عملية البحث عن حل دائم لنزاعات الشرق الأوسط وهي :

✳ يجب أن يعترف العرب صراحة وبالتحديد بأن إسرائيل حقيقة واقعة وأن لها الحق في العيش في سلام ، خلف حدود آمنة ومعترف بها . واستنادا إلى ذلك ، يجب أن يحل الخلاف الداخلي داخل إسرائيل لتحديد حدود إسرائيل اندائية .

✳ يجب أن تؤكد إسرائيل من جديد استعدادها للانسحاب من الأراضي المحتلة ، وفقا لما يطالب به قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وأن تصادق من جديد على اتفاقات كامب ديفيد . ويمكن القيام بذلك على مراحل ، الأمر الذي قد يسمح بدرجة من الثقة المتبادلة والكاملة في غضون وقت محدد طبقا لما تحدده المفاوضات .

✳ يجب الاعتراف بالحقوق الانسانية للفلسطينيين ، بما في ذلك الحق في تقرير المصير . وذلك من شأنه أن يفتح الباب أمام إمكانية إقامة اتحاد كونفدرالي بين الفلسطينيين والأردن .

✳ ينبغي ألا يكون التركيز على لبنان على حساب عملية سلام نشطة . ويجب أن يكون هناك جهد متزامن (أو في اتجاهين) : لحل الازمات الراهنة مثل أزمة لبنان ولحل الاسباب الأساسية لنزاع الشرق الأوسط . وهما لا يتعارضان مع بعضهما البعض ولكنهما مرتبطان ببعضهما البعض على نحو لا ينقسم . ولا ينبغي السماح للرافضين بأن يحولوا دون التحرك نحو الاعتراف

بإسرائيل وبإمنها أو نحو منح الفلسطينيين حق تقرير المصير عن طريق خلق
الازمات أو العمل على دواؤها .

✳ ينبغي إلغاء شروط اجراء المفاوضات : فبالرغم من عدم الاعتراف بها ،
فانها حقيقة واقعة مثال ذلك : « يجب ازالة جميع المستوطنات الاسرائيلية قبل
ان نتفاوض » .

« لن تتم محادثات سلام حتى تخرج اسرائيل (سوريا) من لبنان » .
« لن نتفاوض الا في اطار كامب ديفيد (قرار الامم المتحدة ٢٤٢ ، قرار فاس ،
مشروع ريجان) » . ينبغي (لا ينبغي) تواجد منظمة التحرير الفلسطينية « .
يجب اولا ازالة التهديدات الموجهة ضد بلادي من داخل لبنان » .

✳ ان الحل الوسط امر ضروري من جانب كل من الطرفين في اية
مفاوضات . اذ يجب ان يتمتع كل مشارك (في المفاوضات بحرية السعى لتحقيق
غاياته الخاصة وأن يحظى ببعض التأكيد الواضح بأن تلك الآراء ستكون محل
اعتبار . ويجب وضع فواصل واضحة بين ما تمليه أحلامهم وأيديولوجيتهم وما
هو ممكن عمليا . اذ لن تستطيع اسرائيل اقامة مملكة داوود من جديد ، كما لن
يستطيع الفلسطينيون امحاء اسرائيل من خريطة العالم . ولن يستطيع اى
منهما ان يتنبأ أو يفرض على الآخرين النتيجة النهائية للمحادثات . وينبغي ان
يمى كل منهما ان اى اتفاق يجب ان يكون اختياريا ومقبولا من الجانب الآخر .

✳ لكل من سوريا واسرائيل الحق في أن تتوقع الا تتعرض اى منهما لهجوم
من جانب قوات احتلال اخرى من لبنان .

✳ لا يمكن توقع ان يأخذ الخصوم زمام المبادرة . اذ ان الكراهية وانعدام
الثقة في الشرق الاوسط متأصلتان أكثر مما ينبغي ، وكبرياء اى من الاطراف
المتنازعة كذلك عظيم بدرجة لا تسمح بتقديم تنازلات كما أنه من المحتم تقريبا ان
تلقى الدعوات التي لا تخفى عليهم الرفض .

✳ بدون قيادة أمريكا ، يعد المؤتمر الدولي وفقا لقرار الامم المتحدة ٣٣٨
البديل المنطقي الوحيد ، ويكاد يصعب تخطى العقبات التي تعترض هذا الطريق
نحو السلام . وقد تتمثل الخطوة الاولى الأفضل بالنسبة لوزير الخارجية
الامريكي في استكشاف الخيارات بصورة غير رسمية بين القوى المتنازعة
للتحقق بقدر المستطاع من وجود اساس لاتفاق محتمل . وفي هذا المجال يمكن
البدء في اجراء محادثات شبه رسمية ثم رسمية بعد ذلك ، اما في شكل مؤتمر
تشارك فيه عدة دول أو محادثات ثنائية . وبدون انتهاك تعهد كيسنجر
للإسرائيليين يمكن للمسؤولين الأمريكيين تحديد مدى استعداد منظمة التحرير
الفلسطينية لتابعة محادثات السلام دون الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية
أو التفاوض معها .

ويتعين على الولايات المتحدة في أية جهود للسلام في المستقبل أن تقسم كلا من العرب والاسرائيليين ، قولا وفعللا ، بأنها تعزم أن تكون عادلة وغير متحيزة تجاه جميع الاطراف .

ويتعين على الولايات المتحدة ان تكون مستعدة ، عندما تتطور عملية المفاوضات بصورة مبشرة ، الانضمام للآخرين (بما في ذلك الاوربيين واليابانيين) في تقديم الحوافز الاقتصادية اللازمة لدعم التفاهم الذي سيكون هئسا في البداية ، وأن تكون مستعدة لمساعدة صانعي السلام على اتقاء خطر الراديكاليين والمتطرفين الذين سيسعون لتقويض ما يتم عمله وتطويره بعناية .

وفي التحليل النهائي ، فان مختلف الشعوب في الشرق الاوسط لديها وجهات نظرها ، وشكاواها ، وأهدافها ، وآمالها الخاصة بها . بيد أن اسرائيل ما زالت هي المفتاح ، والدوامة الصغيرة التي تدور حولها رياح الكراهية ، والتعصب ، واراقة الدماء . فما زال شعب اسرائيل الذي لا يقهر يحاول تحديد ديمقراطيته الناشئة — شخصيته الاساسية في الحاضر وفي المستقبل ، وحدوده الجغرافية ، والشروط التي يمكن بمقتضاها احترام الحقوق المشروعة للفلسطينيين وصياغة تسوية مع الدول المجاورة . وهذه القرارات الداخلية يتعين التوصل اليها بالتشاور مع العرب الذين لا يكون شسوعورا بالود أساسا نحوها ، وهو الأمر الذي ربما يكون احتمالا سياسيا صعبا لم يشهد له التاريخ مثيلا .

ويسعى كثيرون من الاسرائيليين بشوق ، شأنهم في ذلك شأن جيرانهم ، الى درجة من التواجد المتطبع . ويتعين على العرب أن يعترفوا بالواقع ممثلا في اسرائيل تماما كما يتعين على الاسرائيليين أن يعترفوا بالمطالب الفلسطينية في المساواة في الحقوق المدنية وحقوقهم في التعبير عن انفسهم بحرية في جزء من حدود وطنهم .

لقد ورد في الانجيل أنه حينما أريق دم بين ابنائه ، قال الرب لقابيل ، « أين هابيل أخوك » ؟ فقال « لا أعلم . أحارس أنا لأخي » . فقال : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ الى من الارض . فالآن أنت ملعون من الارض التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك ، (سفر التكوين ٤ : ٩ — ١١) . وما زالت دماء ابراهيم الاب الروحي للشعب المختار تنساب في شرايين العرب واليهود والمسيحيين ، والكثير منه أريق طمعا في أرث الاب المبجل في الشرق الاوسط . ان الدماء المسفوحة في الأرض المقدسة ما برحت تصرخ الى الله — صرخة ألم مبرح من أجل السلام .

ملاحق

- ١ — قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ .
- ٢ — قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٨ ، الصادر في اكتوبر ١٩٧٣ .
- ٣ — البيان السوفيتى الأمريكى ، الصادر في سبتمبر ١٩٧٧ .
- ٤ — اتفاقيات كامب ديفيد ، سبتمبر ١٩٧٨ .
- ٥ — خطاب الرئيس رونالد ريجان ، سبتمبر ١٩٨٢ .
- ٦ — بيان الزعماء العرب في ناس ، بالمغرب ، سبتمبر ١٩٨٢ .

ملحق رقم (١)

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة

رقم ٢٤٢ ، الصادر في ٢٢ نوفمبر ، ١٩٦٧

ان مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط ، واذ يؤكد عدم جواز حيازة الارض بطريق الحرب ، والحاجة الى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تحيا في أمن ، واذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد تعهدت بالالتزام بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

١ - يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يقتضى اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ينبغي أن يشمل تطبيق كل من المبادئ التالية :

(أ) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراضى احتلت في الصراع الأخير .

(ب) انتهاء كل دعاوى او حالات الحرب والاحترام والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة ووحدة اراضيها واستقلالها السياسى وحقتها في الحياة في سلام داخل حدود آمنة معترف بها متحررة من التهديدات بالقوة أو باستخدام القوة .

٢ - يؤكد أيضا ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية في المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان حصانة الاراضى والاستقلال السياسى لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات تشمل اقامة مناطق منزوعة السلاح .

٣ - مطالبة السكرتير العام بتعيين ممثل خاص يتجه الى الشرق الاوسط لاجراء اتصالات مع الدول المعنية من أجل تنشيط الاتفاق ومساعدة الجهود المبذولة لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا لاحكام ومبادئ هذا القرار .

٤ - مطالبة السكرتير العام بإبلاغ مجلس الأمن في أسرع وقت ممكن بالتقدم في الجهود التى يبذلها الممثل الخاص .

ملحق رقم (٢)

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة

رقم ٣٣٨ الصادر في ٢١ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

ان مجلس الأمن :

- ١ - يدعو جميع أطراف القتال الحالى بوقف كل إطلاق للنيران وانتهاء كل نشاط عسكري فورا في مدى ١٢ ساعة على الأكثر من اتخاذ هذا القرار - في المواقع التي يحتلونها الان .
- ٢ - يدعو جميع الاطراف المعنية بالبدا فورا بعد وقف إطلاق النيران في تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بكامله .
- ٣ - يقرر مجلس الأمن ، أن تبدأ فورا وفي نفس الوقت مع وقف إطلاق النار المفاوضات بين الاطراف المعنية تحت اشراف مناسب تهدف الى اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .



ملحق رقم (٣)

البيان الأمريكى - السوفيتى المشترك حول

الشرق الاوسط الصادر في نيويورك في ١ أكتوبر ١٩٧٧

بعد تبادل وجهات النظر بشأن الوضع غير الآمن المستمر في الشرق الاوسط ، يصدر وزير خارجية الولايات المتحدة سيروس فايس وعضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، ووزير الشؤون الخارجية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أ . أ . جروميكو البيان التالى نيابة عن بلديهما ، اللتين ترأسان معا مؤتمر جنيف للسلام حول الشرق الاوسط :

- ١ - ان كلا الحكومتين مقتنعتان بأن المصالح الحيوية لشعوب هذه المنطقة ، بالإضافة الى مصالح تعزيز السلم والامن الدولى عامة ، تملى على وجه الاستعجال ضرورة تحقيق تسوية عادلة ودائمة للنزاع العربى - الاسرائيلى . ويجب أن تكون هذه التسوية شاملة ، تضم كل الاطراف المعنية

وجميع المشكلات . تعتقد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أنه يجب حل كافة المشكلات المحددة الخاصة بالتسوية ، داخل اطار تسوية شاملة لمشكلة الشرق الاوسط ، بما في ذلك المسائل الرئيسية مثل انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراضي احتلت في نزاع ١٩٦٧ ، وحل المشكلة الفلسطينية ، بما فيها تأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وانهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية عادلة على اساس الاعتراف المتبادل ببيدء السيادة ، ووحدة الاراضي ، والاستقلال السياسى .

تعتقد الحكومتان ، بالإضافة الى التدابير الخاصة بتأمين أمن الحدود بين اسرائيل والدول العربية المجاورة كاقامة مناطق منزوعة السلاح ، والاتفاق على أن تتواجد فيها قوات او مراقبين تابعين للامم المتحدة ، أن الضمانات الدولية لهذه الحدود بالإضافة الى مراقبة شروط التسوية يمكن أيضا توفيرها اذا ما رغبت الاطراف المتعاقدة في ذلك . ويبدى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة استعدادهما للمشاركة في تلك الضمانات ، وفقا لعملياتهما الدستورية .

تعتقد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أن السبيل الوحيد الصحيح والفعال للتوصل الى حل جوهري لكل نواحي مشكلة الشرق الاوسط برمتها هو المفاوضات داخل اطار مؤتمر جنيف للسلام ، المنعقد على وجه الخصوص لتحقيق تلك الاهداف ، مع مشاركة ممثلى جميع الاطراف المتورطة في النزاع في عمله بما في ذلك ممثلى الشعب الفلسطينى ، واضفاء الصبغة الرسمية القانونية والتعاقدية على القرارات التى يتم التوصل اليها في المؤتمر .

يؤكد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والولايات المتحدة عزمهما ، انطلاقا من اهليتهما كرئيسين معا لمؤتمر جنيف ، ومن خلال جهودهما المشتركة واتصالاتهما بالاطراف المعنية ، على تسهيل استئناف عمل المؤتمر بكل السبل في تاريخ لا يتجاوز شهر ديسمبر ١٩٧٧ . ويلاحظ الرئيسان معا انه ما زالت توجد هناك مشكلات عديدة ذات طابع اجرائى وتنظيمى يجب اتقاق المشتركين في المؤتمر عليها .

٢ — استرشادا بالهدف الخاص بتحقيق تسوية سياسية عادلة في الشرق الاوسط وانهاء الموقف المتفجر في هذه المنطقة من العالم ، تناشد الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية جميع اطراف النزاع ادراك الحاجة الى ان يضع كل طرف منهما في الاعتبار بدقة حقوق ومصالح الطرف الآخر المشروعة وأن يبدوا استعداد متبادلا للتصرف وفقا لذلك .

ملحق رقم (٤)

إطار السلام في الشرق الأوسط

الذي تم الاتفاق عليه في كامب ديفيد

الوثائق التي تمت الموافقة عليها في كامب ديفيد

في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

اجتمع محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، ومناحم بيجين ، رئيس وزراء إسرائيل ، مع جيمي كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، في كامب ديفيد في الفترة من ٥ إلى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨ ، واتفقوا على الإطار التالي للسلام في الشرق الأوسط . وهم يدعون أطراف النزاع العربي الإسرائيلي الأخرى إلى الانضمام إليه .



مقدمة

ان البحث عن السلام في الشرق الأوسط يجب ان يسترشد بالآتي :

— ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هي قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل اجزائه (*) .

— بعد اربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الانسانية المكثفة ، فان الشرق الأوسط مهد الحضارة ومهبط الاديان العظيمة الثلاثة ، لم يتمتع بعد بنعم السلام . ان شعوب الشرق الأوسط تتشوق الى السلام حتى يمكن تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لتابعة اهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الامم .

— ان المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذي لقيه من برلمان اسرائيل وحكومتها وشعبها ، وزيارة رئيس الوزراء بيجين للاسماعيلية رداً على زيارة الرئيس السادات ، ومقترحات السلام التي تقدم بها كلا الزعيمين ، وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبي البلدين ، كل ذلك خلق فرصة لم يسبق لها مثيل لا يجب اهدارها ان كان يراد انقاذ هذا الجيل والايال المقبلة من مآسى الحرب .

(*) نصوص القرارات ٢٤٢ و ٣٣٨ ملحقه بهذه الوثيقة .

— ان مواد ميثاق الامم المتحدة والقواعد الاخرى المقبولة للقانون الدولي والشرعية توفر الآن مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول

— ان تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٢ من ميثاق الامم المتحدة ، واجراء مفاوضات في المستقبل بين اسرائيل وأية دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والامن معها ، هو أمر ضروري لتنفيذ جميع البنود والمبادئ في قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ .

— ان السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة في المنطقة وحققها في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دون التعرض لتهديدات أو أعمال عنف . وأن التقدم تجاه هذا الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح في الشرق الاوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادي والحفاظ على الاستقرار وتأكيد الامن .

— ان الامن يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية . وبالإضافة الى ذلك ، وفي ظل معاهدات السلام يمكن للاطراف ، على أساس من المتبادل ، الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق ذات تسليح محدود ، ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية ، وقوات اتصال ، واجراءات يتفق عليها للمراقبة والترتيبات الاخرى التى يتفقون على انها ذات فائدة .

اطار عمل

ان الاطراف اذ تضع هذه العوامل في الاعتبار ، مصممة على التوصل الى تسوية عادلة وشاملة دائمة لصراع الشرق الاوسط عن طريق عقد معاهدات سلام يقوم على قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ لكل فقراتهما . والهدف من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار . وهم يدركون أن السلام ، لى يصبح سلاما دائما ، يجب ان يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعماق تأثير . لذا فانهم يتفقون على أن هذا الاطار مناسب في رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب ، بل وكذلك بين اسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يبدون استعدادا للتفاوض على السلام مع اسرائيل على هذا الاساس . وان الاطراف اذ تضع هذا الهدف في الاعتبار ، قد اتفقت على المضي قدما على النحو التالي :

(١) الضفة الغربية وغزة :

١ — ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والاردن ومثلو الشعب الفلسطينى في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ، ولتحقيق هذا الهدف ، فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على ثلاث مراحل :

(١) تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمي للسلطة مع الأخذ في الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف ، يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات . ولتوفير حكم ذاتي كامل لسكان الضفة الغربية وغزة ، فإن الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية ستسحبان وفقا لهذه الترتيبات بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتي من قبل السكان في هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية . ولناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية ، فإن حكومة الاردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الإطار . ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ الحكم الذاتي لسكان هذه الاراضي واهتمامات الامن الشرعية لكل من الاطراف التي يشملها النزاع .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد تضم وفود مصر والاردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه . وستتفاوض الاطراف بشأن اتفاقية تحدد مسؤوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب للقوات المسلحة الاسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى في مواقع امن معينة وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لتأكيد الامن الداخلي والخارجي والنظام العام . وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية ، قد تضم مواطنين اردنيين . بالإضافة الى ذلك ، ستشارك القوات الاردنية والاسرائيلية في دوريات مشتركة وفي تقديم الافراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) ستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس ، عندما تقوم سلطة الحكم الذاتي (مجلس اذاري) في الضفة الغربية وغزة . وستجرى المفاوضات في أسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية ، لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والاردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية . وستدور هذه المفاوضات بين مصر ، واسرائيل والاردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة . وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنها مترابطتان في احدى هاتين اللجنتين تتكون من ممثلي الاطراف الاربعة التي ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها ، وتتكون اللجنة الثانية من ممثلي اسرائيل وممثلي الاردن والتي سيشارك معها ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن ، واطروحة في تقديرها الاتفاق الذي تم التوصل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة . وستركز المفاوضات على أساس جميع النصوص والمبادئ لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وستقرر هذه المفاوضات ، ضمن

أشياء أخرى ، موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن . ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباتهم العادلة ، وبهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون في تقرير مستقبلهم من خلال :

١ - الاتفاق في المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلي السكان في الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة والمسائل الأخرى البارزة بحلول نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - عرض اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - إتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان في الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التي سيحكمون بها أنفسهم تمثيلاً مع نصوص الاتفاق .

٤ - المشاركة - كما ذكر أعلاه في عمل اللجنة التي تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن .

٢ - سيتم اتخاذ كل التدابير والإجراءات الضرورية لضمان أمن إسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها . والمساعدة في توفير مثل هذا الأمن ستقوم سلطة الحكم الذاتي بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية . وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة . وستكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعنيين لبحث الأمور المتعلقة بالأمن الداخلي .

(٣) خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتي لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الأطراف صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في عام ١٩٦٧ مع اتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع الاضطراب وأوجه التمزق . ويجوز أيضاً لهذه اللجنة أن تعالج الأمور الأخرى ذات الاهتمام المشترك .

(٤) ستعمل مصر وإسرائيل مع بعضهما البعض ومع الأطراف الأخرى المهمة لوضع إجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والدائم لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر وإسرائيل

١ - تتعهد كل من مصر وإسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية المنازعات . وأن أي نزاعات ستتم تسويتها بالطرق السلمية وفقاً لما نصت عليه المادة ٣٣ لميثاق الأمم المتحدة .

٢ - يوافق الطرفان من أجل تحقيق السلام فيما بينهما على التفاوض باخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما خلال ثلاثة أشهر من توقيع هذا الإطار ، بينما تتم دعوة الأطراف الأخرى في النزاع للتقدم في نفس الوقت

للتفاوض و ابرام معاهدات سلام مماثلة لغرض تحقيق سلام في المنطقة . وان
اطار ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل سيحكم مفاوضات السسلام
بينهما . وسيتفق الطرفان على الشكليات والجدول الزمني لتنفيذ التزاماتهما في
ظل المعاهدة .

(ج) مبادئ مرتبطة

١ — تعلن مصر واسرائيل ان المبادئ والتصوص المذكورة ادناه ينبغي
ان تطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وبين كل من جيرانها مصر والادرن
وسوريا ولبنان .

٢ — على الموقعين ان يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كذلك القائمة
بين الدول التي هي في حالة سلام بعضها مع البعض الاخر . وعند هذا الحد ،
ينبغي ان يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الامم المتحدة ، ويجب ان تشمل
الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

(١) اعتراف كامل

(ب) الغاء المقاطعات الاقتصادية

(ج) ضمان ان يتمتع مواطنو الاطراف الاخرى في ظل سلطتهم القضائية
بالحماية التي تكفلها الاجراءات القانونية المناسبة .

٣ — يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التنمية الاقتصادية في اطار
اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة في خلق جو من السلام والتعاون
والصداقة ، الامر الذي يعتبر هدفهم المشترك .

٤ — يجوز تشكيل لجان للنظر في الدعاوى التي ترفع لحسم متبادل لجميع
المطالب المالية .

٥ — دعوة الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات الخاصة بموضوعات
متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات واعداد جدول زمني لتنفيذ تعهدات الاطراف .

٦ — دعوة مجلس الامن التابع للامم المتحدة للمصادقة على معاهدات
السلام وضمن عدم انتهاك نصوصها . ودعوة الاعضاء الدائمين في مجلس الامن
للتوقيع على معاهدات السلام وضمن واحترام نصوصها . وكذا دعوتهم لمطابقة
سياسة وتصرفات الاطراف مع التعهدات التي يحتويها هذا الاطار .

عن حكومة جمهورية مصر العربية :	انور السادات
عن حكومة اسرائيل :	مناحم بيجين
الشاهد على التوقيع :	جيمي كارتر
	رئيس الولايات المتحدة الامريكية

« اطار الاتفاق لمعاهدة سلام »

بين مصر واسرائيل

توافق مصر واسرائيل ، من أجل تحقيق سلام فيما بينهما ، على التفاوض بحسن نية توقيع معاهدة سلام فيما بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع هذا الاطار :

وقد تم الاتفاق على :

أن يتم المفاوضات تحت علم الامم المتحدة في موقع أو مواقع يتفق عليها الجانبان .

تطبق كافة مبادئ قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ في هذا الحل للنزاع بين مصر واسرائيل .

ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك ، يتم تنفيذ بنود معاهدة السلام في فترة تتراوح ما بين عامين الى ثلاثة أعوام من توقيع معاهدة السلام .
وقد وافق الطرفان على المسائل التالية :

(١) الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب .

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء .

(ج) استخدام المطارات التي يتركها الاسرائيليون بالقرب من العريش ، ورفح ، ورأس النقب ، وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط ، ويتضمن ذلك استخدامها تجاريا من قبل كافة الدول .

(د) حرية المرور للسفن الاسرائيلية في خليج السويس وقناة السويس طبقا لمعاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ التي تنطبق على جميع الدول ، واعتبار مضائق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية مفتوحة أمام الدول للملاحة أو الطيران دون اعاقاة أو تعطيل .

(هـ) انشاء طريق بين سيناء والاردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والاردن .

(و) تركز القوات العسكرية على النحو التالي :

تمركز القسوات

(١) عدم تمركز أكثر من فرقة عسكرية واحدة (ميكانيكية أو مشاة) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كيلو مترا شرقى خليج السويس وقناة السويس .

(ب) تتمركز قوات تابعة للأمم المتحدة فقط وشرطة مدنية مسلحة بأسلحة خفيفة لإداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التى تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة فى مساحة يتراوح عرضها ما بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا .

(ج) أن تتواجد فى المنطقة فى حدود ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية قوات اسرائيلية عسكرية محدودة لا تتعدى أربع كتائب مشاة ومراقبون من الأمم المتحدة .

(د) تلحق وحدات دوريات حدود ، لا تتعدى ثلاث كتائب ، بالبوليس المدنى للمحافظة على النظام فى المنطقة التى لم تذكر آنفا .

يتم التخطيط الدقيق لحدود المناطق سالفة الذكر وفقا لما يتقرر خلال مفاوضات السلام .

يجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لبنود الاتفاق .

تتمركز قوات الأمم المتحدة فى المناطق التالية :

(١) فى جزء من المنطقة التى تقع فى سيناء الى الداخل لمسافة ٢٠ كيلو مترا تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

(ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران ، ولا يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على ذلك بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين .

بعد توقيع اتفاقية سلام ، وبعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن : الاعتراف الكامل ، بما فى ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، وانهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز أمام حركة السلع والأشخاص ، والحماية المتبادلة للمواطنين وفقا للقانون .

« الانسحاب المؤقت »

تسحب جميع القوات الاسرائيلية خلال فترة تتراوح من ثلاثة الى تسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام شرقى خط يمتد من نقطة تقع شرق العريش الى رأس محمد ، ويتم تحديد الموقع الدقيق لهذا الخط بالاتفاق بين الطرفين .

عن حكومة جمهورية مصر العربية : أنور السادات

عن حكومة اسرائيل : مناحم بيجين

الشاهد على التوقيع : جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

ملحوظة : صدرت نصوص الوثائق فى ١٨ سبتمبر .

الخطابات الملحقه بالوثائق التي تمت

الموافقة عليها في كامب ديفيد ، في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

سيدي الرئيس :

اتشرفه بأن ابغلكم بأنه خلال الاسبوعين التاليين لعودتي الى اسرائيل سأطرح على البرلمان الاسرائيلي « الكنيست » مشروع قرار للبت فيه يتضمن الاجابة على السؤال التالي :

اذا تمت خلال المفاوضات الخاصة بإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل ومصر لتسوية جميع المشكلات المعلقة « هل تؤيدون اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المناطق التي يقيمون فيها شمال وجنوب سيناء ، أم انكم تؤيدون بقاء هؤلاء المستوطنين في تلك الأماكن ؟ » .

ان التصويت على هذا السؤال — سيدي الرئيس — سيتم بحرية تامة بعيدا عن جميع تقاليد البرلمان المتبعة التي تقضى بأن يتقيد النائب برأى حزبه . ورغم ان الائتلاف الحكومي يحظى بتأييد ٧٠ نائبا من بين ١٢٠ نائبا هم كل أعضاء الكنيست ، ففى اعتقادى أنه سيكون فى استطاعة كل عضو فى الكنيست سواء من المؤيدين للحكومة أو فى مقاعد المعارضة الادلاء بصوته بوحى من ضميره الشخصى .

المخلص

(توقيع)

مناحم بيجين

(الرئيس ، كامب ديفيد ، ثورونت ، مريلاند)

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

سيدي الرئيس :

ارفق طيه نسخة من الرسالة التي بعث بها الى رئيس الوزراء مناخم بيجين موضحا كيفية طرح قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لاتخاذ قرار بشأنها فى وقت لاحق .

وفيما يتعلق بهذه القضية ، غاننى أفهم من رسالتكم ان موافقة الكنيست على اجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام تعتبر شرطا مسبقا لاية مفاوضات من أجل إبرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

المخلص

(توقيع)

جيمى كارتر

المرفقات : خطاب من رئيس الوزراء بيجين .
(سيادة الرئيس أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ،
القاهرة) .

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

سيدى الرئيس

- الحاقاً باطار التسوية فى سيناء الذى ينبغى التوقيع عليه هذا المساء ،
أود أن أؤكد من جديد موقف جمهورية مصر العربية بشأن المستوطنات :
- ١ - يجب اجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقاً لجدول
زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام .
 - ٢ - أن موافقة حكومة اسرائيل ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ
الاساسى تعتبر بناء على ذلك شرطاً مسبقاً لبدء مفاوضات السلام التى
تستهدف الوصول الى معاهدة سلام .
 - ٣ - فى حالة فشل اسرائيل فى الوفاء بهذا الالتزام ، فإن « اطار »
التسوية سيكون لاغياً وغير قائم .

المخلص

(توقيع)

محمد أنور السادات

(سيادة الرئيس جيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية) .

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

سيدى رئيس الوزراء

لقد تسلمت رسالتكم بتاريخ ١٧ سبتمبر ، توضحون فيها كيف أنكم تنوون
طرح قضية مستقبل المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء على الكنيست لى يتخذ
بشأنها قراراً ومرفق هنا نسخة من رسالة الرئيس السادات فى شأن هذا
الموضوع .

المخلص

(توقيع)

جيمى كارتر

مرفقات : خطاب من الرئيس السادات .

(سيادة مناحم بيجين ، رئيس وزراء اسرائيل) .

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

سيدى الرئيس

لكتب اليكم لأعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بشأن القدس :

١ - تعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية . ويجب احترام واعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية في المدينة .

٢ - ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .

٣ - ان من حق السكان الفلسطينيين في القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة ، بوصفهم جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية .

٤ - ان القرارات الصادرة من مجلس الامن ، وخاصة القرارين رقم ٢٤٢ ورقم ٢٦٧ ، يجب أن تطبق بشأن القدس . وتعتبر كافة الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة باطلة ويجب الفاؤها .

٥ - يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول الى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الاماكن المقدسة والمرور بها دون تمييز أو تفرقة .

٦ - يجوز وضع الاماكن المقدسة لكل دين تحت ادارة واشراف ممثلى هذا الدين .

٧ - ينبغي أن تبقى الوظائف الاساسية في المدينة دون تقسيم . ويمكن اقامة مجلس بلدى مشترك يتكون من عدد متساوى من كل من العرب والاسرائيليين للاشراف على تنفيذ هذه الوظائف .

وبهذه الطريقة ، فإن المدينة سوف تبقى دون تقسيم .

المخلص

(توقيع)

محمد انور السادات

(سيادة الرئيس جيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة) .

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

سيدي الرئيس

يشرفنى أن أبلغكم ، ياسيادة الرئيس ، بأن البرلمان الاسرائيلى (الكنيست)
اصدر قانونا فى ٢٨ يونيو سنة ١٩٦٧ يقضى : « بأن يكون من سلطة الحكومة
عن طريق مرسوم يصدره اخضاع أى جزء من أرض اسرائيل — فلسطين للقانون
والقضاء والسلطة الادارية للدولة على النحو المبين فى المرسوم » .

وقد قامت حكومة اسرائيل ، على اساس هذا القانون باصدار مرسوم فى
يوليو ١٩٦٧ ينص على أن القدس مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم وانها عاصمة
لدولة اسرائيل .

المخلص

(توقيع)

مناحم بيجين

(الرئيس ، كامب ديفيد ، ثورمونت ، ميريلاند) .

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

سيدي الرئيس :

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، والتي توضح الموقف
المصرى بشأن القدس . وقد أرسلت نسخة من هذه الرسالة الى رئيس الوزراء
مناحم بيجين لاحاطته علما بهما .

ان موقف الولايات المتحدة بشأن القدس هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير
(آرثر) جولدبرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو عام ١٩٦٧ ،
وهو ما أكدته من بعده السفير (تشارلز) بوست أمام مجلس الأمن التابع للأمم
المتحدة فى أول يوليو ١٩٦٩ .

المخلص

(توقيع)

جيمى كارتر

(سيادة الرئيس أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، القاهرة) .

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

سيدى الرئيس

الحاكا « باطار السلام فى الشرق الاوسط » ، اكتب اليكم هذه الرسالة
لاحيطكم علما بموقف جمهورية مصر العربية بشأن تطبيق التسوية الشاملة .

لضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ومن أجل حماية الحقوق
الشرعية للشعب الفلسطينى ، فان مصر سوف تكون على استعداد للاضطلاع
بالدور العربى الذى تحدده هذه البنود بعد التشاور مع الاردن وممثلى الشعب
الفلسطينى .

المخلص

(توقيع)

محمد انور السادات

(سيادة الرئيس جيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، البيت
الابيض ، واشنطن) .

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

سيدى رئيس الوزراء :

اننى اقر هنا بأنكم احطمونى علما بما يلى :

(١) انكم تفسرون وتفهمون عبارات « الفلسطينيين » او « الشعب
الفلسطينى » الواردة فى كل فقرة من وثيقة اطار التسوية المتفق عليها باعتبار
انها تعنى « عرب فلسطين » .

(ب) ان الحكومة الاسرائيلية تفهم تعبير « الضفة الغربية فى كل فقرة يرد
فيها من وثيقة اطار التسوية على انه يعنى يهودا والسامرة » .

المخلص

(توقيع)

جيمى كارتر

(سيادة مناحم بيجين ، رئيس وزراء اسرائيل) .

ملحق رقم (٥)

خطاب الرئيس ريجان الى الامّة

بشأن المصفاة الغربية والفلسطينيين اول سبتمبر ١٩٨٢

لقد كان اليوم من تلك الايام التي ينبغي أن نفخر بها جميعا . اذ انه يمثل الترحيل الناجح لمنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت ، بلبنان . وما كان لهذه الخطوة السلمية أن تتخذ على الاطلاق بدون المساعي الحميدة للولايات المتحدة وخاصة العمل البطولي الحقيقي للدبلوماسي الأمريكي العظيم ، السفير فيليب حبيب . واننى اذ أشكر جهوده ، ويسعدنى أن أعلن أن فرقة مشاة البحرية الأمريكية التي ساعدت في الاشراف على عملية الترحيل قد أتمت مهمتها . وسيخرج شبابتنا من لبنان في غضون السبوعين وقد خدموا ، أيضا ، قضية السلام بشرف ويمكن لنا جميعا أن نفخر بهم للغاية .

ولكن الموقف في لبنان مجرد جزء من المشكلة الشاملة للصراع الدائر في الشرق الاوسط . لذا ، وطوال الاسبوعين الماضيين ، وبينما كانت الاحداث الدائرة في بيروت تحتل الصفحة الاولى ، كانت أمريكا تعمل في هدوء من وراء الكواليس لاعداد الاساس لسلام اوسع في المنطقة . ولرة ، لم تكن هناك جهود ضائعة لم تكتمل . ذلك لان البعثات الدبلوماسية الأمريكية توجهت الى عواصم الشرق الاوسط والتقيت هنا في الولايات المتحدة وعدد كبير من الخبراء لوضع مبادرة أمريكية للسلام من أجل شعوب الشرق الاوسط التي تعاني منذ امد بعيد ، العرب والاسرائيليين على حد سواء .

وقد بدا لى ، مع التوصل الى اتفاق في لبنان ، أن امامنا فرصة لجهد أكبر للتوصل الى سلام في المنطقة . وقد عقدت العزم على التمسك بها . وطبقا لكلمات الكتاب المقدس ، لقد حان الوقت « لتابعة الاشياء التي تصنع السلام » . واود أن اعرض عليكم مساء اليوم ، الخطوات التي اتخذناها والاحتلالات التي يمكن أن تسفر عنها لاحلال سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

ان أمريكا ملتزمة منذ امد طويل باحلال سلام في هذه المنطقة المضطربة . ولاكثر من جيل ، سعت الادارة الأمريكية المتعاقبة لاستكشاف عملية عادلة وقابلة للتنفيذ يمكن أن تؤدي الى سلام عربى - اسرائيلى حقيقى ودائم . واسهامنا في البحث عن سلام في الشرق الاوسط ليس مسألة خيار ، وانما هو ضرورة أخلاقية والاهمية الاستراتيجية للمنطقة بالنسبة للولايات المتحدة معروفة جيدا .

بيد أن سياستنا تحركها أمور تفوق المصالح الاستراتيجية . اذ علينا ايضا التزام لا يمكن نقضه تجاه بقاء ووحدة اراضى الدول الصديقة . ولا يمكننا تجاهل

حقيقة أن رفاهية الكثير من الاقتصاد العالم مرتبط بالاستقرار في الشرق الاوسط الذى تمزقه الصراعات . وأخيرا ، فان اهتماماتنا الانسانية التقليدية تملى علينا بذل جهد متواصل لحل النزاعات سلميا .

وحيثما تولت ادارتنا السلطة في يناير عام ١٩٨١ ، قررت أن يتبع الاطار العام لسياستنا في الشرق الاوسط الخطوط العريضة التى وضعها أسلافى .

كانت هناك مسألتان أساسيتان كان علينا بحثهما أولا ، كان هناك التهديد الاستراتيجى للمنطقة ممثلا في الاتحاد السوفيتى وأعدائه ، الذى يتضح على أفضل نحو في الحرب الوحشية في أفغانستان ، وثانيا ، عملية السلام بين اسرائيل وجيرانها العرب . وفيما يتعلق بالتهديد السوفيتى ، عملنا على تعزيز جهودنا لكى نطور مع أصدقائنا وحلفائنا سياسة مشتركة لا عاقبة السوفيت وأعدائهم عن تحقيق مزيد من التوسع في المنطقة وإذا لزم الامر الدفاع عنها . وفيما يتعلق بالنزاع العربى - الاسرائيلى ، اعتقنا اطار كامب ديفيد بوصفه السبيل الوحيد للتقدم . ومع ذلك ، فأننا نقر أيضا بأن حل النزاع العربى - الاسرائيلى ، نفسه وفي حد ذاته ، لا يمكن أن يضمن سلاما في أرجاء منطقة واسعة ومضطربة كمنطقة الشرق الاوسط .

وكان هدفنا الاول طبقا لعملية كامب ديفيد هو ضمان الانجاز الناجح لمعاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية . وتحقق ذلك بعودة سيناء سلميا الى مصر في ابريل عام ١٩٨٢ . ومن أجل تحقيق ذلك ، عملنا بجد مع أصدقائنا المصريين والاسرائيليين ، وأخيرا مع الدول الصديقة لنا ، لتشكيل القوة متعددة الجنسيات التى تعمل الآن في سيناء .

وطوال هذه الفترة من المفاوضات الصعبة التى استغرقت وقتا طويلا ، كان نصب أعيننا دوما على الخطوة التالية لكامب ديفيد ، ممثلة في محادثات الحكم الذاتى لتهيئ الطريق للسماح للشعب الفلسطينى بممارسة حقوقه الشرعية . ومع ذلك ، وبسبب الاغتيال المأساوى للرئيس السادات والازمات الأخرى في المنطقة ، لم يكن باستطاعتنا بذل جهد رئيسى حتى يناير ١٩٨٢ لاستئناف تلك المحادثات . اذ قام وزير الخارجية (الكسندر) هيج والسفير (ريتشارد) فيربانكس بثلاث زيارات لاسرائيل ومصر هذا العام لمواصلة محادثات الحكم الذاتى . وتم احراز تقدم ملحوظ في تطوير الشكل الاساسى للمنهج الأمريكى الذى سيقدم لمصر واسرائيل بعد شهر ابريل .

وأقنعنى الاهتمام الناجح لانسحاب اسرائيل من سيناء والشجاعة التى أبدتها رئيس الوزراء بيجين والرئيس مبارك في هذه المناسبة فيما يتعلق

باحياء اتفاقياتها ، بأن الوقت قد حان لاتبباع سياسة أمريكية جديدة لمحاولة تخطى الخلافات الباقية بين مصر واسرائيل بشأن عملية الحكم الذاتى . ولذا ، فقد طالبت فى شهر مايو ، باتخاذ تدابير محددة ووضع جدول زمنى للمشاورات مع حكومتى مصر واسرائيل بشأن الخطوات التسالية فى عملية السلام . ومع ذلك ، وقبل الشروع فى هذا العمل ، احتل الصراع فى لبنان مكان الصدارة فى جهودنا . وتوقفت محادثات الحكم الذاتى أساسا فيها كنا نفكر فى فك اشتباك الاحزاب فى لبنان واييقاف نار الحرب المستمرة .

وقد اتاحت لنا حرب لبنان المأسوية ، فرصة جديدة للسلام فى الشرق الاوسط . وينبغى علينا أن ننتهز هذه الفرصة الآن ونعمل على احلال السلام فى هذه المنطقة المضطربة الحيوية للغاية بالنسبة لاستقرار العالم حيث مازال هناك متسع من الوقت لتحقيق ذلك . وباقتناع شديد منذ ما يزيد على شهر ، وقبل اتهام المفاوضات الحالية فى بيروت ، طلبت من وزير الخارجية (جورج) شولتز مراجعة سياستنا مرة أخرى والتشاور مع عدد كبير من الأمريكيين البارزين حول أفضل السبل لتعزيز فرص السلام فى الشرق الاوسط .

وتشاورنا مع كثير من المسئولين ممن اشتهروا على مر التاريخ فى العملية ، ومع أعضاء من الكونجرس ، ومع شخصيات من القطاع الخاص ، واجريت مشاورات مكثفة مع مستشارى الخاصين حول المبادئ التى سألخصها لكم الليلة .

لقد تم الآن ترحيل منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت ويمكننا أن نساعد اللبنانيين الآن فى إعادة بناء بلادهم التى مزقتها الحرب . ويتعين علينا ، ولأجيال القادمة ، التحرك سريعا لتحقيق هذا الانجاز . اذ ان وجود لبنان مستقر ومزدهر من جديد أمر جوهري لجميع آمالنا بالنسبة للسلام فى المنطقة . وشعب لبنان يستحق بذل أفضل الجهود من قبل المجتمع الدولى لتحويل احلام السنوات العديدة الماضية المروعة الى جسر جديد مشرق بالامل .

بيد أن فرص السلام فى الشرق الاوسط لا تبدأ وتنتهى فى لبنان . فبينما نساعد لبنان على إعادة البناء ، ينبغى أيضا أن نتحرك لحل الأسباب الأساسية للصراع بين العرب والاسرائيليين .

وقد أوضحت الحرب فى لبنان كثيرا من الأمور ، وثمة نتيجتان هامتان بالنسبة لعملية السلام :

الأولى : ان الخسارة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقلص من توق الشعب الفلسطينى الى حل عادل لمطالبه .

الثانية : انه في حين ان نجاح اسرائيل العسكرى في لبنان قد اوضح ان قواتها المسلحة لاتدانيها قوة في المنطقة ، الا انها لا تستطيع بمفردها تحقيق سلام عادل ودائم لاسرائيل وجيرانها .

والسؤال الآن هو كيف يمكن التوفيق بين مخاوف اسرائيل الأمنية الشرعية والحقوق المشروعة للفلسطينيين . والاجابة على هذا السؤال لايمكن ان تتم الا على مائدة المفاوضات . اذ ينبغي ان يدرك كل طرف ان النتيجة يجب ان تكون مقبولة للجميع وان السلام الحقيقي يتطلب حولا وسط من قبل الجميع .

ولذا ، فاني ادعو الليلة لبداية جديدة . اذ ان هذه هي اللحظة المواتية لكل اولئك المعنيين مباشرة للاشتراك معا او تقديم تأييدهم — لأساس عمل من اجل السلام . ومازال اتفاق كامب ديفيد يشكل أساس سياستنا . وصيفته تمنح جميع الاطراف المهلة التي يحتاجونها لاجراء مفاوضات ناجحة .

وافني اطالب اسرائيل بأن توضح ان الامن الذي تتوق اليه لا يمكن تحقيقه الا من خلال سلام حقيقي ، سلام يتطلب شهامة ، ورؤية وشجاعة .

واطالب الشعب الفلسطيني بأن يدرك ان امانه السياسية مرتبطة على نحو لا ينفصم بالاعتراف بحق اسرائيل في مستقبل آمن .

واطالب الدول العربية بقبول واقع اسرائيل ، وحقيقة ان السلام والعدل لا يمكن تحقيقهما الا من خلال المفاوضات الجادة والعادلة والمباشرة .

ومع توجيه تلك المطالب للآخرين ، ادرك ان الولايات المتحدة عليها مسؤولية خاصة . اذ انه لاتوجد دولة اخرى في وضع يتيح لها التعامل مع الاطراف الأساسية للنزاع على أساس من الثقة والمسؤولية .

وقد حان الوقت لان تدرك جميع شعوب الشرق الأوسط الواقع الجديد . مدولة اسرائيل حقيقة واقعة ، وهي تستحق شرعية لا اعتراض عليها داخل مجتمع الأمم . ولكن شرعية اسرائيل حتى هذه النقطة لم يعترف بها الا عدد قليل جدا من الدول وانكرتها كل الدول العربية ما عدا مصر . ان اسرائيل قائمة ، ولها حق في ان تطالب جيرانها بأن يعترفوا بتلك الحقائق .

وأظهرت الحرب في لبنان حقيقة أخرى في المنطقة . اذ ان خروج الفلسطينيين من بيروت صور على نحو مأساوى أكثر من أى وقت مضى تشرّد الشعب الفلسطيني . وينتاب الفلسطينيين شعور قوى بأن قضيتهم أكثر من مجرد مشكلة لاجئين . وأنا اتفق مع ذلك وقد اعترفت اتفاقية كامب ديفيد بهذه الحقيقة حينما تحدثت عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومطالبه العادلة . وبالنسبة لاحلال السلام ، فيجب ان يشمل ذلك جميع من تأثروا كثيرا بدرجة كبيرة بالنزاع . ولن يكون بمقدور اسرائيل الثقة في ادراك ان جيرانها

سيحترمون أمنها ووحدة أراضيها الا من خلال اشتراك أوسع للفلسطينيين والأردن ، على نحو عاجل للغاية في عملية السلام . فمن خلال عملية المفاوضات فقط يمكن لجميع دول الشرق الأوسط تحقيق سلام آمن .

تلك اذن هي اهدافنا العامة . فما هي المواقف الامريكية الجديدة ، ولم نتخذ هذه المواقف ؟

لقد كان لكل من مصر واسرائيل ، في محادثات كامب ديفيد حتى الآن ، هرية التعبير صراحة عن وجهات نظرهما بالنسبة لما يجب أن تؤول اليه نتيجة تلك المحادثات . ومن المفهوم أن تختلف وجهات نظرهما حول كثير من النقاط .

وقد فكرت الولايات المتحدة عند هذا الحد في القيام بدور الوسيط . وتجنبنا التعليق العلني على الموضوعات الاساسية اذ كنا ندرك على الدوام ، ومازلنا ، أن الاتفاق الاختياري ، لهؤلاء الاطراف المتورطين على نحو مباشر تماما في النزاع يمكن أن يكون وحده بمثابة حل ثابت . الا انه اتضح لى أن ادراك أوضح للموقف الامريكي حول الموضوعات الاساسية يعد أمرا ضروريا لتشجيع تقديم تأييد أوسع لعملية السلام .

ويجب أن تكون هناك أولا ، كما تحدد في اتفاقيات كامب ديفيد ، فترة من الوقت يحصل خلالها السكان الفلسطينيون من الضفة الغربية وغزة على حكم ذاتي كامل يشمل شئونهم الخاصة وينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار مبدأ الحكم الذاتي بواسطة سكان الأراضي ، وكذا المخاوف الامنية الشرعية للأطراف المعنية .

والهدف من الفترة الانتقالية لمدة خمس سنوات تبدأ عقب انتخابات حرة بشأن حكم ذاتي فلسطيني هو أن تثبت للفلسطينيين أنهم يستطيعون تدبير أمورهم الخاصة ، وأن مثل هذا الحكم الذاتي الفلسطيني لا يمثل تهديدا لأمن اسرائيل .

ولن تؤيد الولايات المتحدة استغلال أية أراضي أخرى بهدف اقامة مستوطنات في أثناء الفترة الانتقالية . والواقع ان تبنى اسرائيل الفوري لمبدأ تجميد انشاء مستوطنات ، أكثر من أى اجراء آخر ، قد يخلق الثقة المطلوبة لاشتراك أوسع في تلك المحادثات ، أن اقامة المزيد من المستوطنات ليس ضروريا بأية حال لأمن اسرائيل ولا يؤدي الا الى تقليص ثقة العرب في امكانية التفاوض بشأن النتائج النهائية بحرية وبوضوح .

وأود أن يكون الموقف الامريكي مفهوما بوضوح : فالهدف من هذه الفترة الانتقالية هو الانتقال السلمي والمنظم للسلطة المحلية من اسرائيل الى السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ، وفي الوقت نفسه ، ينبغي الا يتعارض هذا الانتقال للسلطة مع متطلبات أمن اسرائيل .

وحيثما نتطلع الى مستقبل الضفة الغربية وغزة ، بعد الفترة الانتقالية ، فإنه يتبين لى أن السلام لا يمكن تحقيقه من خلال انشاء دولة فلسطينية مستقلة فى هذه الأراضى . كما لا يمكن تحقيقه على أساس السيادة الاسرائيلية او السيطرة الدائمة على الضفة الغربية وغزة .

ولذا فان الولايات المتحدة لن تؤيد اقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وغزة ، ولن تؤيد ضم اسرائيل الى ممتلكاتها الدائمة عليهما .

ومع ذلك ، فمنه سبيل السلام . وهو ان الوضع النهائى لهذه الاراضى ينبغى التوصل اليه . بالتفاوض خلال الاخذ والرد فى المفاوضات . وترى الولايات المتحدة على نحو خاص ان حكم الفلسطينيين الذاتى للضفة الغربية وغزة بالاتحاد مع الاردن يقدم افضل فرصة للتوصل الى سلام دائم وعادل .

ويقوم منهجنا بأمانة على مبدأ ضرورة حل النزاع العربى الاسرائيلى من خلال المفاوضات التى تشمل تبادل الأرض مقابل السلام . وهذا التبادل قد نص عليه قرار مجلس الامن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى تضمنته بدوره وبكل أجزائه اتفاقيات كامب ديفيد . وما زال قرار مجلس الامن السابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ صالحا برمته كحجر الأساس لجهود أمريكا للسلام فى الشرق الاوسط .

ويتمثل موقف الولايات المتحدة فى ان شرط الانسحاب الوارد بالقرار ٢٤٢ — فى مقابل السلام — ينطبق على جميع الجبهات ، بما فى ذلك الضفة الغربية وغزة .

وحيثما يتم التفاوض بشأن الحدود بين الأردن واسرائيل ، فان وجهة نظرنا بالنسبة للامدى الذى يتعين على أساسه مطالبة اسرائيل بالتخلى عن بعض الأراضى ، ستتأثر بدرجة كبيرة بمدى السلام الحقيقى والتطبيع وترتيبات الامن التى تقدم مقابل ذلك .

وأخيرا ، فإننا ما زلنا مقتنعين بأن القدس يجب ان تظل غير مقسمة ، ولكن يجب ان يتقرر وضعها النهائى من خلال المفاوضات .

وسوف تؤيد الولايات المتحدة ، فى المفاوضات التى تتم فى المستقبل ، المواقف التى تبدو لنا أنها حلول وسط عادلة ومعقولة ، ومن المحتمل أن تسفر عن اتفاق ثابت . كما أننا سنقدم أيضا بمشروعاتنا الخاصة حينما نرى أنها يمكن أن تكون مفيدة . وستعارض الولايات المتحدة ، بلا شك ، أى مشروع من جانب أى طرف وفى أية نقطة من نقاط عملية التفاوض — من شأنه أن يهدد أمن اسرائيل . اذ ان التزام أمريكا بأمن اسرائيل التزام صارم .

وخلال الأيام القليلة الماضية قدم سنراؤنا لدى إسرائيل ومصر والأردن والعربية السعودية ، لحكومات هذه الدول المضيئة المقترحات التي عرضتها هنا الليلة بكامل تفاصيلها .

واننى لمقتنع بأن تلك المشروعات يمكن أن تحقق العدالة والأمن والدوام لسلام عيسى — إسرائيلى .

وسوف تساند الولايات المتحدة هذه المبادئ بتفان تام فهي تتفق بالكامل مع متطلبات أمن إسرائيل وأمانى الفلسطينيين . وسوف نعمل بجهد لتوسيع المشاركة في مائدة السلام التي تم تحديدها في اتفاقيات كامب ديفيد . واننى آمل بحماس أن يفتنم الفلسطينيون والأردن ، بتأييد من رفاقهم العرب ، هذه الفرصة .

ان الاضطراب المأساوى في الشرق الأوسط يرجع الى فجر التاريخ . وفي عصرنا الحديث نقلت الصراعات الواحد تلو الآخر المكوس الوحشية الى هناك وفي عصر التحدى النووى والاعتماد الاقتصادى المتبادل ، تمثل هذه الصراعات تهديدا لجميع شعوب العالم ، وليس للشرق الأوسط فحسب . وقد آن الأوان لنا جميعا ، في الشرق الأوسط وفي أنحاء العالم ، لأن ندعو الى وقف الصراع ، والبغضاء والتحيز ، لقد حان الوقت لنا جميعا لبدء جهد مشترك من أجل إعادة البناء والسلام والتقدم .

لقد قيل الكثير — وهو للأسف قول حق في أحيان كثيرة ان قصة البحث عن سلام وعدل في الشرق الأوسط هي مأساة الفرص الضائعة .

اننا الآن في اعقاب التوصل الى تسوية في لبنان نواجه فرصة لسلام أوسع . وينبغى ألا ندعها تفلت من قبضتنا هذه المرة .

ويجب أن نتخطى الصعاب والعقبات الحالية والنظر بوضوح وحزم لمستقبل أكثر إشراقا . واننا لنتعهد ، وكذا الأجيال القادمة كلها ، بأن نفعل ذلك . لاننا ان اضعنا هذه الفرصة ولم نبدأ فوراً ، فاننا ربما ننظر خلفنا الى تلك اللحظة عندما تحين فرصة تالية مواتية ويدرك كم كلفنا جميعا هذا الفشل .

تلك اذن ، هي المبادئ التي ستقوم عليها السياسة الأمريكية نجسها النزاع عيسى — الاسرائيلى . وقد أخذت على نفسى التزاما شخصيا بتحملها ، وبأنها بمشيئة الله ، سوف يعتبرها كل العقلاء والرحماء عادلة ومنجزة وفي صالح جميع من يودون رؤية السلام مستتباً في الشرق الأوسط .

والليلة ، عشية ما يمكن أن يكون فجرأ لامل جديد لشعوب الشرق الأوسط المضطرب — ولكل شعوب العالم الذين يحلمون بمستقبل عادل وآمن اطلب منكم ، رفاقى الأمريكيين ، تأييدكم وصلواتكم لهذا المشروع العظيم .

ملحق رقم (٦)

مقتطفات من بيان (فاس) بجامعة الدول

العربية الصادر في ٩ سبتمبر ١٩٨٢

فيما يلي الجزء الذي يتناول القرار الخاص بالنزاع العربي الاسرائيلي الوارد في بيان جامعة الدول العربية ، الصادر في ٩ سبتمبر . كما يتناول البيان أيضا النزاع الدائر في لبنان وحرب الخليج والنزاع الاثيوبي - الصومالي ان القمة اذ تعرب عن تقديرها للمقاومة التي تبديها قوى الثورة الفلسطينية والشعبين الفلسطيني واللبناني ، والقوات المسلحة السورية ، لتؤكد من جديد تأييدها للشعب الفلسطيني في النضال من أجل استعادة حقوقه الوطنية التي لا يمكن التخلي عنها .

واقترعا من القمة بقوة الأمة العربية لتحقيق الغايات المشروعة وانهاء العدوان على أساس المبادئ الأساسية التي أرستها مؤتمرات القمة العربية ، وبالنظر في رغبة الدول العربية لمواصلة العمل بكل الوسائل لتحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط ، واذ تضع في الاعتبار خطة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة التي تعتبر الشرعية الدولية هي الأساس لحل المشكلة الفلسطينية ، وخطة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز الخاصة بالسلام في الشرق الأوسط، وفي ضوء المناقشات والملاحظات التي أبدتها جلالاته ، وفخامة وسمو الملوك والرؤساء والأمراء ، تقرر القمة المبادئ التالية :

— ١ —

انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بما في ذلك القدس العربية .

— ٢ —

ازالة المستوطنات التي اقامتها اسرائيل على الأراضي العربية بعد عام ١٩٦٧ .

— ٣ —

ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة .

— ٤ —

التأكيد من جديد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الأساسية التي لا يمكن التخلي عنها تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثله الوحيد والشرعي ، وتعويض كل أولئك الذين لا يرغبون في العودة .

— ٥ —

وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت اشراف الأمم المتحدة لفترة انتقالية لا تزيد على بضعة أشهر .

— ٦ —

اقامة دولة فلسطينية مستقلة على أن تكون القدس عاصمتها .

— ٧ —

يضمن مجلس الأمن قيام سلام بين جميع دول المنطقة ، بما في ذلك الدولة الفلسطينية المستقلة .

— ٨ —

يضمن مجلس الأمن احترام هذه المبادئ .

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
— مقدمة :	١٥
اسرائيل :	٣٣
سوريا :	٦٨
لبنان :	٨٩
الفلسطينيون :	١٠٨
الاردن :	١٣٨
مصر :	١٤٥
المملكة العربية السعودية :	١٦٦
المستقبل :	١٧٨
— ملحق :	١٩١

- ١ — قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، نوفمبر ١٩٦٧
- ٢ — قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٨ ، اكتوبر ١٩٧٣
- ٣ — البيان الامريكى السوفيتى ، اكتوبر ١٩٧٧
- ٤ — اتفاقيات كامب ديفيد ، سبتمبر ١٩٧٨
- ٥ — خطاب الرئيس رونالد ريجان سبتمبر ١٩٨٢
- ٦ — بيان الزعماء العرب فى فاس بالمغرب ، سبتمبر ١٩٨٢

مراجعة مطبعية : على كامل دسوقى

